اتجاهات التربية عبر العصور

دراسة تحليلية مقارنة

تأليف

دكتور / عرفات عبد العزيز سليمان
أستاذ نظم التعليم والتربية المقارنة
كلية التربية الاسماعيلية - جامعة قناة السويس

القاهرة
الطبعة السادسة
١٩٩٨

١

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء
لنا من أمرنا رشداً »

مقدمة

تنوعت الكتابات عن التربية فى العصور السابقة على عصرنا الحاضر ، وتعددت موضوعاتها وزواياها ، ولا يزال الحديث عنها متسعاً للمزيد من البحث والكتابة .

فنحن — كثيرا — ما نحس بارتباطنا بالماضى ؛ فنتحدث عنه ، أو نتمثل به ، أو نتخذه سبيلا من سبيل تقديرنا لحاضرنا ، أو كأحد المعايير لتقويمه .

والإنسان فى حياته — غالبا — ما يقرن بين أمسه ويومه ، ليلقى الضوء على جوانب عمله ، ليقف على مدى تحقيقه لغاياته ، أو وصوله لأهدافه ، وكذلك ، تفعل الأمم والشعوب بالنسبة للأوضاع الثقافية والعلمية ، باعتبارها مظهراً هاماً من مظاهر حياتها وتقدمها .

وإذا كانت المقارنة — أيا كانت — تعنى الاهتمام والإدراك والتقدير ، فإنها بالضرورة تعبر عن هذه المعانى أو المفاهيم بالنسبة للتربية .

والمتخصصون فى شئون التربية ، وكتاب الحركات العلمية ، سواء ، الناطقون منهم بالعربية أو غيرها ، يتناولون موضوعات التربية فى العصور السابقة تحت مسميات متنوعة ، ومن جوانب مختلفة ، وربما كان نصيب الدراسات المقارنة فيها قليلاً .

ومن أجل ذلك ، يركز هذا الكتاب — بصفة خاصة — على دراسة اتجاهات التربية فى بعض من تلك العصور ، دراسة تحليلية مقارنة ، فى ضوء

القوى الثقافية ، الموجهة لتلك الاتجاهات التربوية ، كمساهمة متواضعة ، يسرنى أن أقوم بها فى مجال فسيح بتراثه الفكرى القديم ، والمتجدد فى نفس الوقت .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليـــه ، وأن تتحقق الغاية المرجوة منه ؟

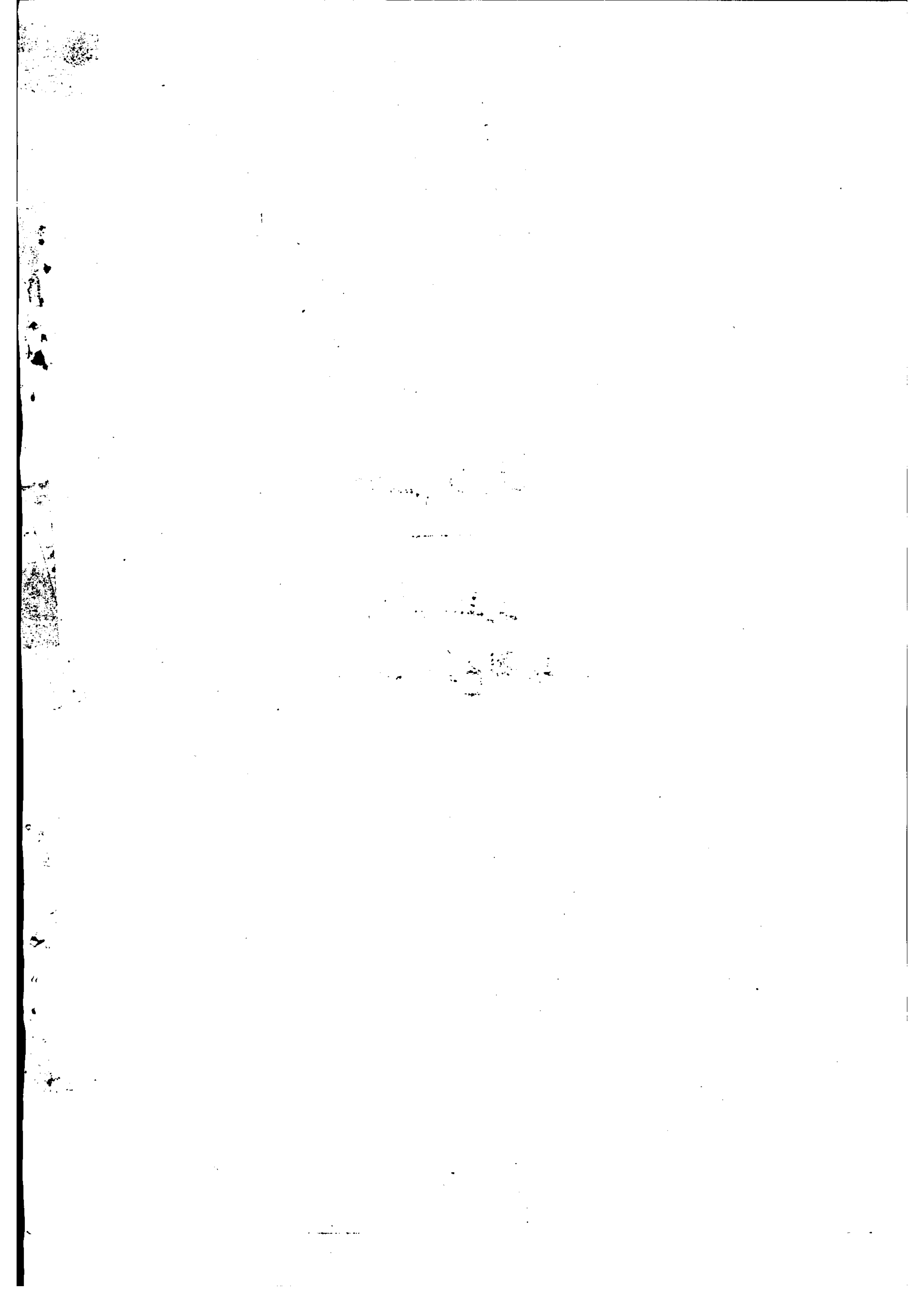
القاهرة مارس ١٩٩٨

المؤلف

القسم الأول

الاطار النظرى

لدراسة تاريخ التربية



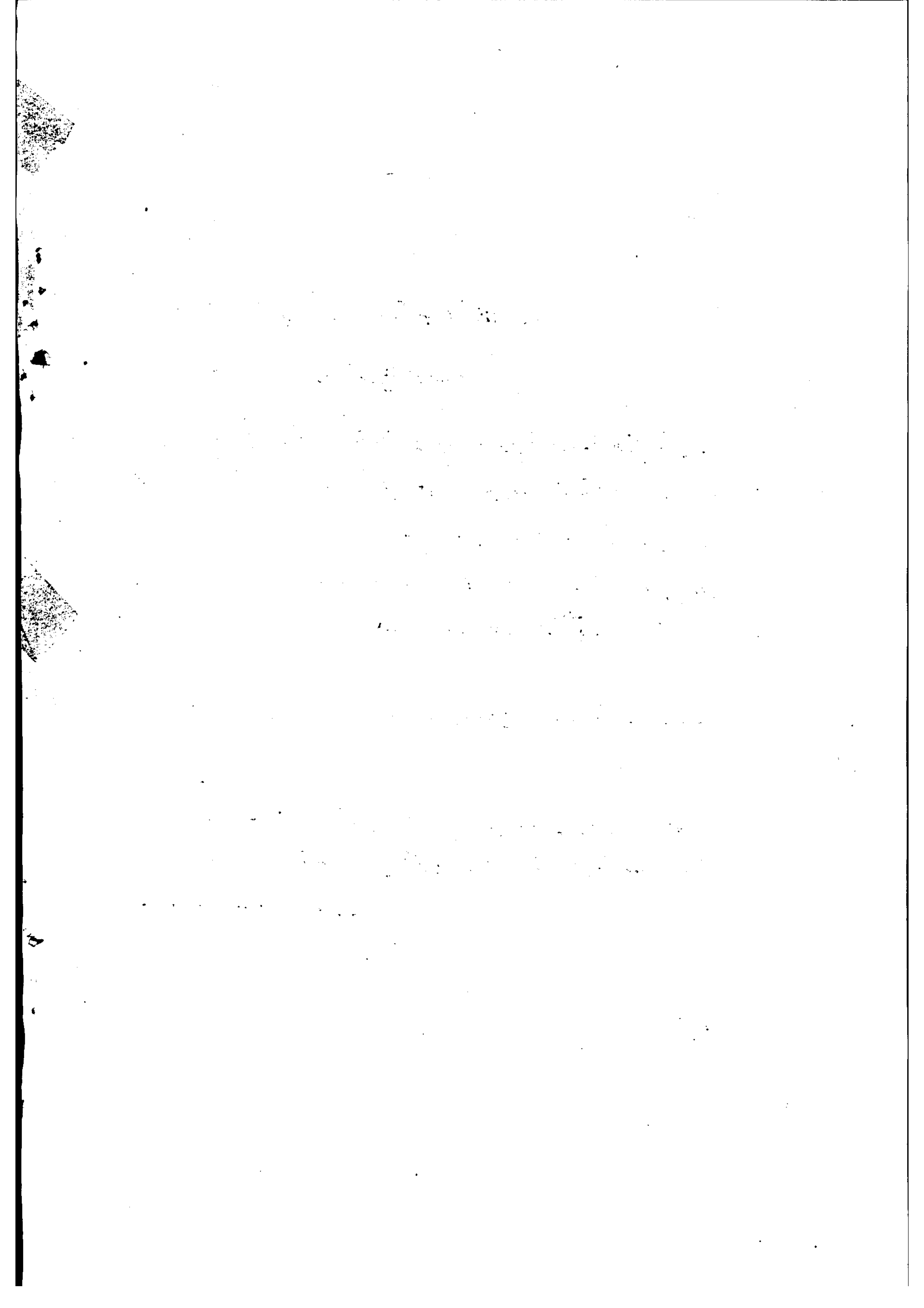
هذا ، هو القسم الأول من الكتاب ، أطلقنا عليه :

« الإطار النظرى لدراسة تاريخ التربية »

ونهدف من تناوله إلى توضيح الجوانب التنظيمية لدراسة هذا المجال من مجالات التربية . نبدأها بالتعرف على طبيعة الشعوب وثقافتها ، وموقفها من طبيعة التربية باعتبار أن الإنسان هو صانع التربية وعليه تقوم ، ثم مفهوم تاريخ التربية ، وأهمية دراسته ، سواء بالنسبة للقارىء — بصفة عامة — بغض النظر عن نوعية عمله أو تخصصه ، أو بالنسبة لمن يعمل بمهنة التعليم بصفة خاصة .

ثم تحدثنا عن الأساليب التى يمكن أن يتبعها من يتصدى لهذه الدراسة ، مع بيان كل منها ، وما يؤخذ عليه .

كذلك أوضحنا العوامل الثقافية المتنوعة ، التى تؤثر فى تربيـــة الشعوب واتجاهاتها ، حتى يمكن تفسير أوضاع التربية فى المجتمعات البشرية المختلفة ، بما فى ذلك النواحى الفكرية والتعليمية .



الفصل الأول

الشعوب و التربية

الإنسان صانع التربية

عرف الإنسان التربية بأبسط صورها فى المجتمعات الأولى التى عاشها ، بين الـكهوف والمغارات وعلى سفوح الجبال ، وبين الأدغال والغابات ، وفى الوديان والسهول ، وفى المراعى والروابى ، وعلى شواطىء البحار ووسط الجزر ، وهو فى هذا ، كان دائم الصراع بينه وبين تحديات الطبيعة التى حوله حتى يتمكن من الحياة والاستمرار فيها .

لقد كانت تربية الانسان تربية مباشرة ، يمارسها الفتى مع أبيه عن طريق التقليد والمحاكاة ، وتمارسها الفتاة مع أمها عن طريق إدارة المنزل والقيام بالأعمال التى تتطلبها الحياة اليومية .

وهو عندما وجد فى بيئة قليلة المحتوى ، بسيطة التكوين ، ارتبط بمن يعيش معهم وتوافق مع أسباب حياتهم ، فـكانت العلاقات الاجتماعيـة بسيطة وغير معقدة ، ومن ثم ، اتخذ من أسلوب التعامل سياسة ينتهجها فى حياته ، يتعامـل بموجبها مع مواطنيه ومع غيرهم ممن يعيشون مجاورين له أو بعيدين عنه . حتى إذا ما وطئت قدماه شواطىء الأنهار ، شرع يستوطن ضفافها ، بعد طوال ترحاله وتجواله ، ويستنبت أرضها ومن ثم ارتبط بها ، يحدوه الأمل فى رؤية ما صنعت يداه وما قدم من جهد ، حتى إذا أخضرت وربت وأنبتت - بإذن ربها - من كل زوج بهيج ، أكل مما أنتجته ، ورعى دوابه وأنعامه ، وادخر ما تبقى من يومه لغده ، وسعد بالانتماء إليها . وحرص على البقاء فيها ، والدفاع عنها ثم توالت الأيام ، وتـكاثر الناس ، وتعددت احتياجاتهم ، وتنوعت متطلبات حياتهم العامة والخاصة ، وشرعوا يبنون الدور ، ويشيدون القصور . ويقيمون الحضارات بمـا اهتدوا إليه من علم وفـكر وفن ، يعلمونه لأبنائهم ، فيضيفون إليه ويبتـكرون فيه ، ثم هو يتطور جيلا بعد جيل فأساليب الحياة تتطور ، ونظمها تتباين ، وفى

هذه الحياة ومن تلك النظم تتكون شخصية الفرد وتتلون اتجاهاته ، وتتشكل قيمه ومثله . وكل ذلك من ركائز تربيته .

ولما كان الإنسان ، هو الكائن الحي النامي المتجدد ، المتطور ، فهو بالتالي دائم التغيير فيما يعيش حوله ، مستهدفاً النفع الأكبر لحياة أفضل ، سواء في طعامه وشرابه ، أو مسكنه ، أو ملبسه ، أو في عمله وفكره ، أو في مقتنياته وتراثه ، وتلك هي حركة التربية في المجتمعات .

والإنسان ، منذ وجوده على ظهر الأرض ، وهو دائم البحث عن معبود ، يشعر نحوه بالولاء والتقديس مهما كان على أي صورة هذا المعبود ، فهو يشعر تجاهه بالقهر أو الحب ، أو الرهبة ، أو القربى والاستجابة ، ومن ثم تكون عقيدته وولاؤه .

لقد التمس ذلك ، تارة في الشمس التي تضيء له نهاره ، وتارة في القمر الذي ينير له ليله . والتمس ذلك في المطر الذي ينبت له الكلأ والزرع ، وفي النهر الذي يشرب ماءه ، ويسقي زرعه ويروي نباته ، كما اتجه إلى الطبيعة حوله ، متخذاً من بعض ما اشتملت عليه ، آلهة يعبدها ويقدم لها القرابين ، تقرباً منها أوخشية بأسها (كما حدث في عصور الفراعنة) بل واتخذ مما صنعت يداه تماثيل آلهة ، فهذا إله للخير ، وذاك إله للشر ، وهذا إله للحب ، وتلك إلهة للجمال وهكذا (كما كان يفعل الإغريق) .

حتى إذا ظهرت الديانات السماوية الداعية إلى وحدانية خالق الكون ، اتجه الإنسان إلى عبادة الله وحده ، متقرباً إليه بالعمل الصالح ، مؤتمراً بأوامره ، ومنتهياً بنواهيه ، واتخذ الدين نبراساً يهديه في حياته الدنيا ، ويرسم له سلوكه فيها ، وينظم تعامله مع غيره ، ويشرع له سبل سعادته ، ويدعوه إلى العلم والعمل لصالح نفسه ومجتمعه وللبشرية جمعاء ، ثم يمهد لحياته الآخرة بعد رحيله من الحياة الدنيا (ونستطيع أن نلمس ذلك من دراستنا للعصور الأولى للمسيحية والإسلام)،

ومن ثم كان الدين ، والمعتقدات الدينية أثر فى توجيه الشعوب ، ورسم أساليب حياتهم وطرز معيشتهم ، بل وفى اتجاهاتهم التربوية وشئون تعلمهم على مدى عصور مختلفة .

والإنسان ، حينما استقر ، كون أسرة ثم عشيرة ثم قبيلة ، وكان عليه أن يكون نظماً يسير عليها فى حياته ، وتقاليد يرعاها فى مجتمعه ، وعرفاً يرتضيه فى مواقف حياته ، وكانت هذه هى تنظيماته السياسية بأبسط صورها ، حتى إذا استقر فى مكان واتخذه وطناً ، أخذ بأسباب العمران ، فبنى وشيد ، وزرع وصنع ، وتاجر ، وأبحر ، وهو فضلا عن ذلك، تعلم وعلم ، وأخذ يتنقل بين جنبات وطنه وخارجه ، وكون له حكومة فيها الحكام والرؤساء ، ولها قوانينها ، ودساتيرها ، وتشريعاتها ، وتنظيماتها ، وكانت هذه ، هى حياته السياسية بصورة أكثر تقدماً كلما توالت العصور .

وعندما كثر الناس ، وتنوعت مصالحهم ، وتشابكت علاقاتهم وتداخلت متطلبات حياتهم ، وأصبح لا مناص من احتكاك الإنسان بأخيه الإنسان ، وتعاونه معه فى شتى مجالات الحياة ، كان عليهم حينئذ ، أن يتبادلوا المنفعة التى تمكنهم من الحياة السليمة المنتجة ، سواء بالنسبة للسياسة أو بالنسبة للعلم ، أو الاقتصاد ، أو غير ذلك من أمور الحياة .

وتفاعلت كل هذه الأمور ، وتفاعل معها الإنسان ، وتكونت ثقافته من واقع بيئته بمقوماتها المادية والمعنوية ، ومن واقع النظم والقوانين والتقاليد التى ارتضاها فى حياته ، وتكونت ثقافته كذلك ، مما مر به من أحداث وحن ، وما تكون لديه من رصيد مادى ومعنوى ورثه الخلف عن السلف ، وما تكون لديه من آمال ، وماتطلع إليه من مستقبل ، فكانت ثقافته ، هذا النسيج المتشابك ومن ثم كانت ثقافته هى المادة التى تشكل تربيته .

وتنوعت الشعوب بتنوع الأمكنة ، فى الشرق والغرب ، وفى الشمال والجنوب فى السهول والوديان ، وفى الصحارى والجبال ... إلخ

وتنوعت الشعوب بتنوع الأزمنة ، حيث عصور ما قبل التاريخ ، ثم العصور التاريخية ، فالعصور الوسطى ، ثم العصور الحديثة .

وكان لكل شعب فى كل مكان وكل زمان ، أساليب معينة ينتهجها فى حياته ، ويتمرسها أبناؤه فى سلوكهم ، وفى حركاتهم بمجتمعهم ، مما يجعلهم يتمايزون عن غيرهم ، أو يتشابهون معهم فى أنماطهم السلوكيـة ، وبتنوع الأمم والشعوب ، تنوعت ثقافات الناس ، فضلا عن تعدد لغاتهم ولهجـاتهم باعتبارها أوعية للثقافة، وبالتالى تنوعت أساليب تربيتهم، لا سيما بعد ظهور المدارس، فهناك ما اصطلح على تسميته بالتربية النظامية ، وتتمثل فى المدرسة والمعاهد وغيرها من أماكن العلم والتعليم ، وهناك ما اصطلح على تسميته بالتربية غير النظاميـــة ، وتتمثل فيما عدا ذلك من مؤسسات ومنظمات يكتسب منها الفرد خبرات ، تسهم فى تربيته وتوجيهه فى الحياة ، فهناك مؤسسات الإعلام والعبادة والتثقيف العام والترفيه ، وغير ذلك من منظمات المجتمع .

على أن التربية النظامية (أو المدرسية كما يطلق عليها بعض المربين) تتطلب الكثير من مقتضيات العمل التعليمى ؛ كالمعلمين ، والمناهج ، والنظم المدرسية ، وبالتالى ، جعلت كل أمة ، أو كل دولة تعليمها وفقاً لما تمكنها ظروفها من استعدادات ، وما يتوفر لديها من طاقات بشرية ومادية ، وهنا ، اتسمت الشعوب بسمات مميزة لها ، وكان لكل منها طريقته فى الحياة ، وأسلوبه فى تربية أبنائه فى إطار تركيبه الاجتماعى وأبعاده الثقافية المتنوعة ، التى تعتبر الإنسان ، قوة دافعة لاتجاهاتها .

ثقافة المجتمع :

يعرفها البعض بأنها خلاصة المعرفة الإنسانية ، والتى يتميز بها الناس فى المجتمع . بينما يعرفها البعض الآخر بأنها العادات والأفكار والتقاليد ، والمؤسسات

والنظام ، وغير ذلك مما استطاع الإنسان أن يصل إليه ليحصل على أمنه وطمأنينته وراحته ، ولتحقيق حاجاته النفسية والاجتماعية والبيولوجية ، وليسر — بصفة عامة — أمر معيشته فى الحياة .

وهناك تعريف ثالث يرى أن الثقافة ، هى نسيج الأفكار والمثل العليا ، والمعتقدات والمهارات والأدوات ، والنتاج الفنى ، وطرق التفكير ، والعادات ، والمؤسسات التى يعيش فيها الفرد ، وهى كذلك تشتمل على الطرق التى يتكسب بها الأفراد ، والرياضة التى يمارسونها ، والقصص التى يحكونها ، والأبطال الذين ينالون تقديرهم ، والموسيقى التى يعزفونها ، والطرق التى يربون بها أطفالهم ، وتنظيماتهم الأسرية ، وطرق مواصلاتهم واتصالاتهم ، وغيرها من أساليب الحياة ، وكلها مما يصنعه الناس فى بيئاتهم بعقولهم وأيديهم .

وعلى ذلك ، فإن الثقافة ، هى أنماط (أو طرز) سلوكية يتميز بها مجتمع معين (بالإضافة إلى المكونات المادية) وتكون معاً وحدة عضويه ، هذه الوحدة ، هى كل ما يعزى إلى عملية التعلم فى المجتمع ، وما يتناقله جيل عن جيل ، وتلعب لغة المجتمع دوراً هاماً فى هذا النقل .

وعلى أن عناصر الثقافة أو مكوناتها ؛ الماديه والمعنويه ، متشابكة ومتداخلة التأثير والتأثر ؛ فالمادة الخام ليست لها قيمة فى المجتمع ، إلا إذا استغلها الإنسان وأثرت فى حياته ، والمكونات المادية — بصفة عامة - ليست لها قيمة إلا إذا كانت لها دلالات فكريه خاصة ، وكذلك ، الأنماط والقيم والعادات والمبادئ والمفاهيم ، والآلات التى من صنع الإنسان ، وما يوجده فى بيئته ، كل ذلك يصنع الثقافة فى المجتمع ، غير أن المكونات المختلفة للثقافة بعضها أكثر استمراراً وبقاءاً وشمولا ، بينما يكون البعض الآخر أقل نسبياً ، أو دون ذلك [١].

الثقافة والتربية :

لما كانت المجتمعات البشرية تختلف فى طبيعتها وظروفها وتكوينها ، فنها

---

(١) د. محمد الهادى عفيفى ـ فى أصول التربية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤ ص ١٤٥ .

البدائى ، ومنها المتحضر ، ومنها المتقدم ، ومنها المتخلف ، فإن الثقافة ، وبالتالى التربية ، تابعة لهذا الاختلاف ، وكان لكل مجتمع طابعه الخاص أو قوميته التى ينتمى إليها .

ولما كانت التربية فى مضمونها عملية اجتماعية شاملة وكان التعليم (سواء المدرسى منه وغير المدرسى) أحد جوانب هذه العملية ، وله صفته الاجتماعية أيضاً ، فإن الثقافة — من واقع طبيعتها — ذات صبغة اجتماعية ، وهذه الجوانب كلها فى تفاعل مستمر باعتبارها عاملة فى محيط واحد لدائرة واحدة ، هى المجتمع ، والثقافة هى نتاج هذا التفاعل ، الذى يدير حركته الإنسان ، ويسهمون على دفع عجلته وتطويره بقدر ما لديه من قدرة مستمدة من طاقات مجتمعه ومقوماته .

ولذلك ، فإن التربية عملية اجتماعية ثقافية . تشتق ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعى للأفراد ، ومن كونهم حملة للثقافة .

كذلك ، فإن الثقافة بكل وسائطها فى الدوائر الاجتماعية كلها (كالأسرة ، وأماكن العبادة والروابط والهيئات الاجتماعية ، وما يستحدثه أفراد المجتمع من وسائل اتصال وتجمع كالأندية والتنظيمات السياسية والاقتصادية ، ومايصدرونه من صحف أو مطبوعات . . . إلخ كل هذه تعتبر الوعاء التربوى العام ، حيث تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد بما تؤدى إليه من اكتسابهم أنماطاً سلوكية ، تحدد علاقاتهم ، وتعبر عن نفسها فيما يقومون به من أدوار اجتماعية ، فضلا عن أن التربية ضرورية للاستمرار الثقافى ، وعن طرائقها ، يمكن إعداد وتدريب القوى البشرية اللازمة لميادين الحياة المختلفة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ؛ فإن التربية (ممثلة فى المؤسسات التعليمية والتربوية) تستطيع الحفاظ على القيم الثقافية والتراث الثقافى للمجتمع ، وكذلك توضيح المبادىء ، وتعميق المفاهيم ، وترسيخ الاتجاهات ، والحفاظ على القيم ، وهذه كلها من ثقافة المجتمع .

والتربية عامل هام من العوامل المساعدة على تكيف الأفراد فى مجتمعاتهم عند تعرضها لتغيرات ثقافية مستحدثة ، وهى كذلك قادرة على حماية أفراد المجتمع من الهزات الاجتماعية والنفسية التى قد يتعرضون لها ، كما يحدث فى بعض الأمم بعد هزائم الحروب أو ضغوط الغزو والاستعمار ، فالتربية تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ثم تعود وتتأثر به وهكذا .

نوعيات الشعوب :

لما كان الإنسان اجتماعياً بطبعه – كما هو معروف فإنه بالتالى ، سريع التآلف مع بنى جنسه ، يعايشهم ، ويتعاون معهم ، ويقدم لهم ما يتمخض عنه فكره ، وما تصنعه يداه ، والمجتمعات الإنسانية مهما تباينت نوعياتها أو تقاربت فلكل منها سماته الخاصة به وأساسيات ثقافته وركائز تربيته ، وقد تكون الشعوب فى عصور متزامنة — إلى حد كبير - ولكنها تختلف فى نوعية تربيتها ونظمها التعليمية ، فالشعب المصرى القديم ، والشعب الإغريقى ، والشعب الرومانى ، كلها شعوب عاشت فى عصور متقاربة زمنياً ، ولكنها اختلفت فى نوعية تربيتها لأبنائها ، لأن ظروف المجتمع تختلف من واحد إلى آخر ، ومن بيئة إلى أخرى ، طبقاً لظروف وعوامل ثقافية متعددة .

وفى العصور الوسطى ، كان الشرق فى نهضة فكريه ، وعلمية كبيرة ، وكانت عصور استنارة وتقدم للشعوب التى اعتنقت الإسلام ، وللشعوب العربية بصفة عامة ، بينما كانت هذه العصور نفسها ، عصور تخلف وظلمة فكرية خيمت على الغرب وعاشت فيها أوربا ، حتى إذا ما كسد الفكر الغربى ، ونضبت جعبة أوربا ، اتجهت إلى الشرق تأخذ عنه مقومات حضارتها ، وتنقل إلى بلادها ما سبق به العرب من العلوم والفنون ، حتى إذا كانت عصور النهضة الأوربية ، أصيب العالم العربى بانتكاس فى معرفته وخمد ضياؤها حيناً من الدهر بفعل الاستعمار التركى الذى ضرب حصاراً ثقافياً حول البلاد العربية ، وحرمها من نور المعرفة ،

أو على الأقل ، أوصد نوافذها أمام العرب ، ولـكنهم لم يستـكينوا لذلك ، بل جاهدوا ، وثابروا فى جهادهم حتى تحررت بلادهم مما ألقى على كاهلها من ضغوط الاحتلال العثمانى ، وما أعقبه من أنواع أخرى من الإحتلال ،ونفضت عنها غبار سيطرته ، وبزغت من جديد فى سماء الشرق ، شمس المعرفة بعد أن حجبها ضباب الاستعمار ، ومضت الدول العربية فى ركب التقدم بعد أن اعترض مسارها ماوضعته القوى الاستعمارية من معوقات .

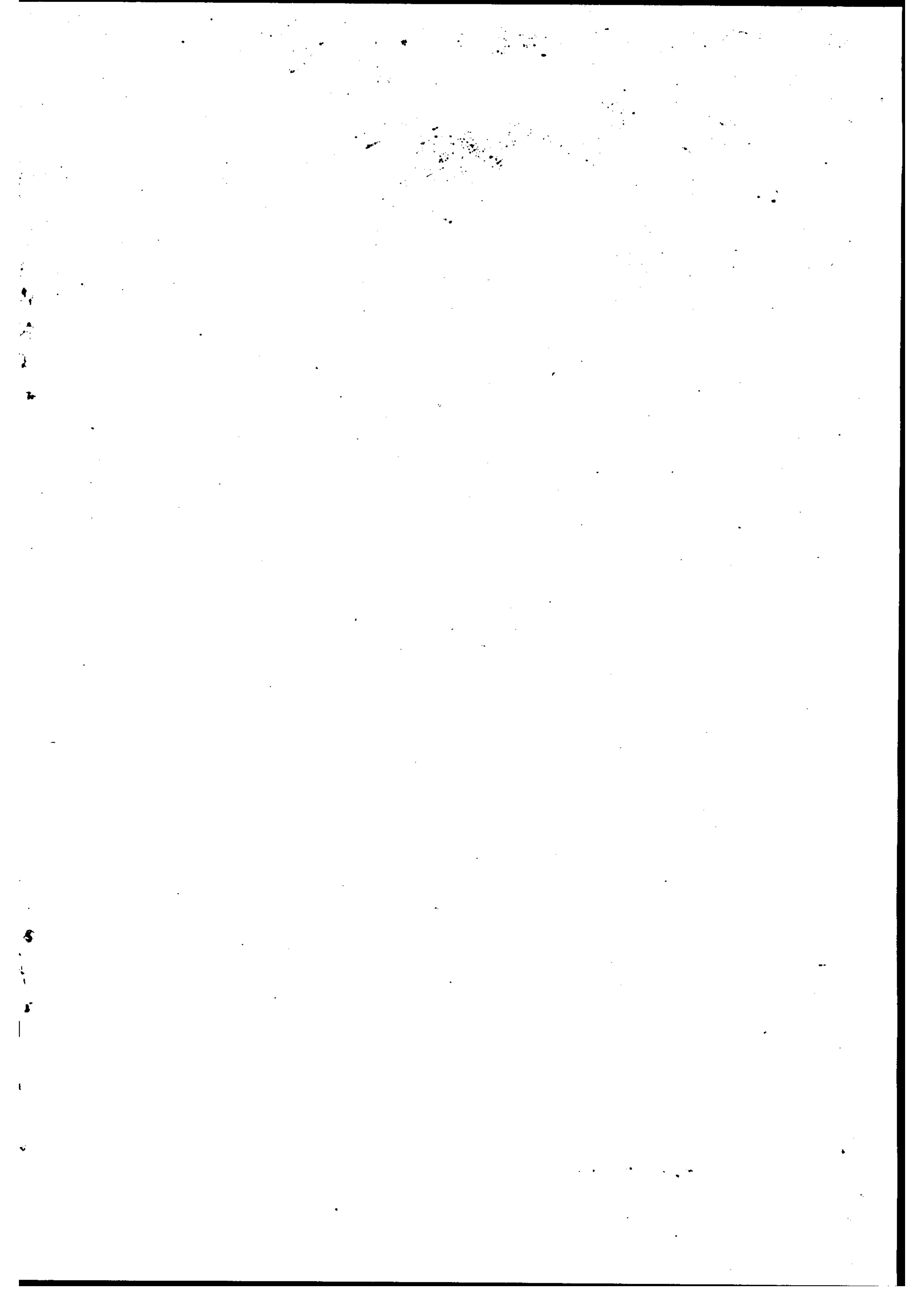
حتى اذا ولينا وجوهنا — فى العصر الحديث — نحو مصر ، وجـدنا حالة التعلم فيها تتأرجح بين النهوض والـكبوة ثم تحاول النهوض من جديد مع إشراقات الاتجاهات العلمية الحديثة .

وهكذا ، تختلف نوعيات التربية بين الشعوب باختلاف ظروف هذه الشعوب والعوامل الثقافية التى توجه أساليب التربية ونظم التعليم فيها ، الأمر الذى يستوجب دراسة المجتمع دراسة وافية ، ومعرفة الطريقة التى كان يحيا بها الناس فى العصور المختلفة ؛ ومثلهم العليا ، وأهم الأعمال التى كانوا يقومون بها فى شتى نواحى الحياة ، وما تؤثر فيها من عوامل وما تخضع له من ظروف .

ومن أجل هذا ، نحاول فى صفحات هذا الـكتاب ، تقديم نماذج من حياة الشعوب عبر العصور المختلفة ، وهو ما اصطلح المربون على تسميته بـ « تاريخ التربية » ، مع الإشارة — قبل ذلك — إلى طبيعة هذه الدراسة ، وأهميتها ، والعوامل التى ينبغى مراعاتها فى تناولها ، باعتبارها دلالات تفسيرية لأوضاع التربية فى المجتمعات الإنسانية بصفة عامة .

الفصل الثاني

تاريخ التربية



ماذا نعنى بـ « تاريخ التربية »

المقصود بتاريخ التربية ، دراسة أوضاع التربية في مجتمع ما (أو أكثر) من المجتمعات الإنسانية ، ودراسة المراحل التي مرت بها التربية ـ بما تتضمنه من أساليب للحياة ، ونظم للتعليم ، والثقافة بصفة عامة ـ في عصر من العصور الماضية ، أو خلال عصور متتالية ، وذلك في ضوء الظروف المختلفة التي تؤثر في طبيعة التربية ، باعتبار أن التربية عملية تطبيع اجتماعي ، وإعداد للحياة ، تخضع لمؤثرات متعددة .

على أنه ينبغي ، ألا تتركز دراسة تاريخ التربية في دراسة النظم والمؤسسات التربوية فحسب ، بل ينبغي ـ إلى جانب ذلك ـ دراسة ما يتصل بها من فكر ، وما يسيرها من سياسات ، وما تقوم عليه من فلسفات ، وأفكار ، ومبادئ ، باعتبار أن هذه النظم والمؤسسات ، أشكال ، لابد لها من مضمون ، ومضمونها هو ما يتصل بها ومدى تأثر الإنسان به ، أو تأثيره فيه .

ومن أجل هذا ، فإن المتصدي لدراسة تاريخ التربية ، عليه أن يلم بمقومات المجتمع الذي يتناوله بالبحث ، أيا كانت طبيعة هذه المقومات ، سياسية أو جغرافية أو اقتصادية أو دينية ، وعليه أن يتفهم طبيعة الشعب الذي يعيش في هذا المجتمع ، وأن يعرف عاداته ، وتقاليده ، وخصائصه النفسية والاجتماعية ، الأمر الذي يمكنه من الدراسة السليمة من واقع حياته ، ومن ثم يجد الباحث نفسه مضطراً إلى الإلمام بنوعيات مختلفة من العلوم التربوية ، والإنسانية بصفة عامة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن علم تاريخ التربية ، يعتبر دعامة هامة من دعائم علم التربية المقارنه ، فبالرغم من أنه من الدراسات الأكاديمية التي تعنى بالماضي ، بينما تركز التربية المقارنة على الاتجاهات المعاصرة ، إلا أنها في

حاجة وظيفية ـ فى كثير من مجالاتها ـ إلى تاريخ التربية، فضلا عن أنها يشتركان فى كثير من الأهداف وطرق البحث ونواحيه . (١)

ماذا نفيد من تاريخ التربية ؟

الإنسان ـ بطبيعته ـ مشوق دائما إلى معرفة حياة غيره من بنى البشر ، سواء فى مجتمعه المعاصر ، أو فى مجتمعات سابقة على عصره ، بل أنه يتطلع إلى حياة المستقبل ، وهو فى هذا ، يجد متعه نفسية وذهنية كبيرة .

والإنسان ، دائم التعرف على نواحى التقدم والتحضر فى المجتمعات البشرية، رغبة منه فى تقصى طبيعة هذا التقدم أوالتحضر ، ومعرفة العوامل التى امتزجت وتفاعلت وانتجت هذا النسيج المتشابك من ثقافة الشعوب .

والإنسان ـ على مر العصور ـ يستفيد من خبرات من سبقوه ، فنحن فى عصرنا الحاضر ، نأخذ من الماضى ما يفيد حياتنا المعاصرة ، والأجيال التى تأتى بعدنا ، ستفيد من خبراتنا وتطورها بما يتلاءم وحياتها ، ومن ثم ، فإن الحاضر إمتداد للماضى ، فضلا عن أنه تمهيد المستقبل ، وهكذا .

وحياة الإنسان عبر العصور المختلفة ، سلسلة من المعرفة ، وحلقات متصلة من الخبرة فالأنماط السلوكية للناس ، وطرائق حياتهم ، وما عاشوا فيه من فكر، ودين ، وتعليم وما مارسوه من عادات ، وتقاليد ، وما ساد بينهم من قيم واتجاهات ، وما تمتعوا به من مباهج الحياة ونعيمها ، وما أقاموه من عمران ، وما خلفوه من آثار ، ثم ما عانوه من مشكلات وصعاب فى حياتهم ، وما كان بينهم من علاقات وروابط ثم ما تركه السلف للخلف ومن تعاقب بعدهم من الأجيال . . . إلى غير ذلك مما كان يعيش فيه الناس خلال قرون عديدة فى بقاع

---

1) Kandel, I. L. The study of Comparative Education in Educatinal Forum, Xx, 1955, p.5.

الأرض المختلفة كل هذا ، جدير بالإنسان أن يعرفه ، فهو كرصيد متنوع لثقافة الشعوب ، لا يخلو من عبرة أو فائدة ، أو مزايا تكسب حاضرنا لوناً من ألوان الرباط الإنسانى ، وقد تدعم تقدمه وتدفعه إلى المزيد منه ، لاسيما ، وأن كثيرا من مقومات حضارتنا المعاصرة (سواء فى الشرق أوفى الغرب) لها أصول سابقة وجذور قد تكون ضاربة فى القدم ، ومن ثم ، فإن دراستنا لحقيقة هذه الحضارات نوع من التأصيل الحضارى والثقافى لحياتنا المعاصرة إلى جانب ، أن حركة التربية وتطورها ، مما يسترعى اهتمام الإنسان ، ورغبته فى التعرف على ما تركه السابقون من تراث فكرى تربوى ، ومدى توافقه مع الاتجاهات المعاصرة أو اختلافه عنها ومدى افادته من الماضى .

هذا ، بالنسبة للقارىء أو للانسان بصفة عامة .

أما بالنسبة للمعلم (والعاملين فى المجال التربوى) بصفة خاصة ، فإن دراسة تاريخ التربية ، تنطوى على مزايا متعددة ، منها :

— أن طبيعة عمل المعلم ، تحتم عليه ، معرفة شئون التربية ، والاهتمام بأمور التعليم فى بلده أو فى غيرها من بلاد العالم ، عبر عصور متنوعة ، ومعرفة القوى والعوامل التى وجهتها ، والتى أثرت فيها وتأثرت بها ، حتى كانت تلك الأساليب من التربية والنظم التعليمية .

— أن دراسة الأصول التاريخية ، تبين للمعلم كيف أن جوانب المجتمع من سياسية ، وفكرية واقتصادية ودينية ، وجغرافية ، وكذلك دراسة أعلام الفكر التربوى ، تفسر – إلى حد كبير – اتجاهات التربية ونتائجها فى مجتمعات كثيرة .

— أن معرفة الأصول التاريخية للتربية ، تجعل العاملين فى المجال التربوى والتعليمى ، أكثر مرونة وتبصراً بالدوافع والأسباب التى شكلت الأوضاع التى كانت قائمة فى عصور سابقة وما تضمنته من مؤسسات وتنظيمات ، مما يفيد فى

نقل أو تعديل النظم التعليمية أو المناهج الدراسية أو إقامة مؤسسات تعليمية واجتماعية قومية ، مع مراعاة اختلاف الظروف أو مدى عائلها .

— أن الإلمام بالأصول التاريخية ، يضيف إلى العمل التربوى والتعليمي كثيرا من المعلومات ويثريه بالمزيد من الخبرات ، وذلك عن طريق فهم الماضى بما فيه من تجارب وحلول للمشكلات ، مما يساعد على فهم الحاضر ، والتنبؤ بالاتجاهات التى تسير فيها الأوضاع المعاصرة ، كما يعين على الإعداد للمستقبل ، والتخطيط من أجله مما يفيد مجالات التربية والتعليم .

— أن تاريخ التربية مجال فسيح لمعرفة الفلسفات والنظريات التربوية التى نادى بها السابقون فضلا عن أنها سفر مفتوح أمام المعلم ، يقرأ فيه رحلة الشعوب مع تيارات الحياة ، يرجع إليه كلما دعت الحاجة إلى الاسترشاد أو المشورة .

ولا يعنى هذا ، العودة إلى الوراء ، أو التمسك بالقديم ، ولكن . كم من قديم متجدد ! وكم من جديد يفضله القديم !

كيف ندرس تاريخ التربية ؟

لدراسة تاريخ التربية ، أساليب أو طرق متعددة ، من أهمها : —

(أ) دراسة الشخصيات أو الأعلام : بمعنى أن نتناول بالدراسة والتحليل حياة وآراء أعلام التربية أو الفكر أو الفلسفة الذين أثروا فى الميدان التربوى ، وكانت لهم آراء أو نظريات واتجاهات بارزة فى هذا المجال ، مما يجعلها جديرة بالدراسة ، ومدى امكانية الافادة منها ، من أمثال أفلاطون ، سقراط ، الغزالى ، ابن خلدون ، جان جاك روسو ، جون لوك وغيرهم .

وربما كان من أهم مزايا هذا الاسلوب ، هو تشويق القارىء واجتذابه نحو متابعة ما يكتب عن الشخصية مما يشعره بالمتعة العقلية الطيبة .

ولـكن يؤخذ عليه ، أنه قد يؤدى إلى الاهتمام المفرط بهؤلاء الأعلام وتأكيد دورهم فى مجال أو أكثر والاستفاضة في تناول تاريخهم الشخصى ، بينما يغفل أو يقلل من الظروف الموضوعية التى أسهمت فى تـكوين اتجاهاتهم وتشكيل فـكرهم سـواء من حيث ظروف المجتمع والعوامل المختلفة التى تؤثر فيها ، أو من حيث أحداث التاريخ ووقائعه وما نتج عنها من أمور ، إلى غير ذلك ،مما يـكون له دخل كبير فى حياة هؤلاء المربين أو المفكرين أو الفلاسفة ،وبالتالى فى آرائهم واتجاهاتهم .

(ب) دراسة قضية أو مشكلة من قضايا التربية ومشكلاتها (وهو ما يعرف بالطريقة العرضية) :

بمعنى تتبع هذه القضية أو المشكلة بالدراسة التطورية التحليلية عبر العصور المختلفة منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ، مثل : — العلاقة بين الاقتصاد والتعليم أو الحرية فى التربية أو التربية المثالية ، وغير ذلك من نظريات التربية واتجاهاتها.

وربما كان من أهم مزايا هذا الاسلوب أنه يتضمن العديد من الافـكار والآراء ومحاولة ايجاد روابط بينها ، برغم ما قد يـكون هناك من تباعد زمنى أو مكانى بينهما .

ولـكن يؤخذ عليه ، أن الدارس قد يلجأ إلى تـكرار ما يتناوله نتيجة لتكرار بعض الظروف أو تماثلها ، بالإضافة إلى قلة التعمق فى دراسة هذه الظروف من واقعها فى الماضى ، الأمر الذى يقلل من فاعلية هذا الاسلوب .

(ج) التتابع الزمنى للعصور : بمعنى تقسيم تاريخ التربية إلى عصور متتابعة أو متعاقبة (وهو ما يعرف بالطريقة الطولية) مثل : — التربية فى العصور القديمة والتربية فى العصور الوسطى ، وفى كل وحدة من هذا التقسيم (العصور القديمة مثلا) يتناول الدارس العوامل المختلفة (سياسية واقتصادية واجتماعية ..... الخ) وبيان أثرها فى احداث عمليات التربية ، ومؤسساتها وتنظيماتها ... فى مجتمعات العصور .

ولعل من أهم مزايا هذا الأسلوب ، سهولة الأخذ به ، من حيث التحديد الزمنى ، مما ، يستتبع التركيز على سمات معينه لفترة زمنية معينة ـ كما يوضح الصلة بين القوى أو العوامل المختلفة التى تؤثر فى تكوين الفكر التربوى .

ولكن يؤخذ عليه ، تناثر الفكر وليست وحدته ، طبقا لطبيعة الدراسة ونوع المجتمعات ، فقد نرى اتجاهات تربوية معينة فى عصر من العصور ، بينما نرى اتجاهات تناقضها فى نفس العصر (كما حدث فى كل من أثينا واسبرطه) وقد نرى اتجاهات من نوع ثالث فى عصر آخر ، وهكذا .

ونستطيع أن نقول أن الأسلوب المفضل فى دراسة تاريخ التربية ، هو الأسلوب الذى يتلاءم مع موضوع الدراسة المراد بحثها ويحقق الغاية منها ، على أنه يمكن الجمع بين أسلوبين فى معالجة موضوع واحد ، طبقا لمقتضيات الدراسة .

العوامل الثقافية وتاريخ التربية

لدراسة تاريخ التربية فى المجتمعات المختلفة ، ينبغى أن نضع فى اعتبارنا مجموعة من القوى أو العوامل الثقافية التى توجة التربية ، وتقف خلف مايعيشه الناس من أساليب الحياة بما فى ذلك ، نظم التعليم ومؤسساته .

وهذه العوامل ، مشتقة من طبيعة الحياة فى المجتمعات البشرية باعتبار أن الثقافة ، تعنى أسلوب الحياة فى المجتمع ، وليست كما قد يفهم من معناها الظاهرى الذى يراه البعض على أنها مظاهر سلوك الإنسان التى تشير إلى الذوق والتهذيب والاهتمام بنوع ما من الفنون ، والحقيقة أنها أشمل من ذلك ، فقد عرفها « تايلور » Taylor منذ عشرات السنين ، بأنها كل مركب ، يتضمن المعارف ، والعقائد ، والفنون ، والأخلاق ، والقوانين ، والعادات ، وكذلك أى قدرات وخصال يكتسبها الإنسان نتيجة لوجوده كعضو فى المجتمع[1].

---

1) Taylor, E. B. Primitive Cul---- London, Jahn Marray 1871p.I

كذلك، عرفها « لسلى وايت » Leslie White (حديثاً) بأنها تنظيم لأنماط السلوك، والادوات (الآلات والاشياء التى تعملها وتنتجها) والافكار بما تحتويه من معارف ومعتقدات؛ والمشاعر بما تتضمنه من اتجاهات وقيم، التى تعتمد على استخدام اللغة[1] ومن ثم، فإن الثقافة، تشمل كل القيم والنظم المادية والاجتماعية لأى جماعة من الناس، بما فى ذلك النواحى السياسية والدينية والفكرية، وعادات الناس واتجاهاتهم، وآدابهم وفنونهم، والكيفية التى يمارسون بها وجوه نشاطهم المختلفة.

وهذه الثقافة: تنتقل من جيل إلى جيل، وتقوم اللغة — بأعتبارها وعاء الثقافة — بدور كبير فى هذا الانتقال.

وبالتالى، فإن الثقافة تعتبر مادة التربية؛ لأن التربية تشتق طرائقها من طبيعة الثقافة، وهذه الثقافة، هى نتيجة لعوامل متنوعة ومتداخلة.

وتاريخ التربية، يخضع لمقومات الثقافة وعواملها، من هذه العوامل:

١ — العوامل السياسية:

ونقصد بها الأوضاع السياسية للمجتمع، وما تتضمنه من نظم الحكم، ومايتسم به من ديموقراطية أو استبداد، ومايتعرض له من استقرار أو أنهيار، أو تطور أو تدهور، وماقد يعانيه من هجوم ومايضطر إليه من دفاع، ثم من حيث الأستقلال أو الأستعمار وكذلك، مايكتنفه من ظروف سياسية عامة؛ لها أثرها على اتجاهات التربية فيه، ويتضح ذلك من تتبع الظروف السياسية التى كانت تعيشها اسبرطة (من بلاد اليونان القديمة) سواء فى الداخل، حيث

---

1) White, Leslie, Culturological Psychological Interpretations of Human Behaviaur, American soeilogical Review. 12 (December 1947) pp. 686 — 696.

الأستبداد والتسلط ، أو فى الخارج ، حيث توقع الهجوم أو الدفاع من وقت لآخر ، وانعكس هذا ، على أساليب التربية ونظم التعليم ، والتى وضع أسسها مشرع اسبرطة « ليكرجوس Lycurgus (حوالى عام ٨٥٥ قبل الميلاد) والذى سن النظم واللوائح التى اتخذها الأسبرطيون دستوراً لهم فى الحياة ، والتى تتسم فى جملتها بالشدة والعنف والقسوة ، والتى تهدف إلى تكوين وإعداد أفراد أقوياء ، شجعان ، لديهم القدرة على الأحتمال والصبر ، حتى يتمكنوا من حفظ كيان الدولة ، وذلك بإخماد ثورات العبيد فى الداخل ، وصد العدوان الذى قد يأتى من الخارج .

وقد نصح ليكرجوس بألا تبنى الجدران حول اسبرطة لحمايتها ، قائلا :

إن خير الجدران لحماية الدولة ، إنما هى التى تبنى من الرجال بدلا من الحجارة[١] .

أما عن التعليم ، فقد كانت الدولة هى المهيمنة على تعليم الإسبرطيين فى جميع مراحله المختلفة التى كانت تبدأ منذ ولادة الطفل وتستمر حتى سن الثلاثين فى المعسكرات على أن تظل العلاقة بحياه المعسكرات إلى سن الستين ، مع استمرار تنفيذ تعليمات الدولة وتوجيهاتها بكل دقة وولاء .

ويتضح ذلك ، أيضاً ، من اتجاهات التعليم إبان حكم محمد على لمصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كان النمط السائد هو النمط العسكرى كما رسمته سياسة الدولة فى ذلك العصر ، سواء فى نوعيات التعليم التى تخدم الأهداف العسكرية ، أو فى كيفيه اختيار الدولة للتلاميذ ، إذ كانت تخصص لكل مديريه نفراً ، وتعهد إلى رجال الإدارة بجمعهم فإذا لم يتقدم بهم أهلوهم وهم

---

(١) فتحية حسن سليمان — التربية عند اليونان والرومان — مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧ ص ١٢

صاغرون ، سلط رجال الإدارة ، الجند لنزعهم من أحضان أهلهم ، أو عهدوا إلى المتعهدين بأن يوردوا لهم الأنفار النافعين . ثم فى نظام الحياة المدرسية وألوان العقوبة التى كان يتعرض لها التلاميذ[١] .

كذلك ، يتضح أثر السياسة على التعليم فيما اتبعه الاحتلال البريطانى لمصر فى أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت سلطات الأحتلال تعمل على وجود نوعية من الشباب المصرى ، تألف الخنوع والأستكانة وتتعود على أتباع أساليب التملق والنفاق ، مع إشاعة مشاعر الإعجاب بالمستعمر ، مع اقتصار التعليم على فئة قليلة من أبناء الشعب المصرى وقد وضع المستعمر ما أراده من مناهج ونظم تعليمية تخدم أغراضه التى لا تعدو تخريج موظفين يعملون فى الحكومة، بعيدين عن النواحى السياسية والإقتصادية ، والفكرية ... مما يضمن بقاء المستعمر .

٢ — العوامل الإجتماعية :

ونقصد بها حياة المجتمع ، من حيث هو مجتمع طبقى أو مجتمع رأسمالى ، أو مجتمع ذو صلات مفتوح ، أو انعزالى مغلق ، وما يسوده من مبادىء ؛ وقيم ، ومثل، واتجاهات عامة، وما يحس به الأفراد من مساواة وعدل أو تمايز وظلم اجتماعى، ثم مدى الإحساس بالرفاهية أو الاضطهاد ، وكذلك ماتتعرض له الشعوب من تغير اجتماعى نتيجة ظروف معينة ، بالإضافة إلى درجة التقدم الحضارى الذى تعيش فيه . . . الخ ويتضح أثر ذلك على التربية ، مثلما حدث فى بعض العصور الرومانية القديمة ، فلم يكن الشعب الرومانى ، شعباً مبتكراً ، بقدر ما كان شعباً ممتازاً فى النواحى التطبيقية .واستعار الرومان من اليونان القدامى أفكارهم وترجموها إلى أعمال تخدم مجتمعهم مما ساعدهم على سن القوانين والتنظيمات الإجتماعية التى أخذت عنها دول كثيرة ، ومنها دول حديثة . كذلك ، عرف الشعب الرومانى

---

(١) د . سعد مرسى ، د . سعيد اسماعيل — تاريخ التربية والتعليم — مكتبة عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٤٦

بشغفه بالمال والثراء ، وكان هذا الشغف من أهم العوامل التى جعلت الرومان ميالين للحروب ، يبتغون من ورائها الكسب وتملك البلاد وخيراتها وجمع ثرواتها ، وكان لذلك، أثره على التربية ، فقد اهتمت التربية الرومانية فى عصورها القديمة بالنواحى العملية والنفعية والحربية بينما أغفلت النواحى الجمالية والفنية التى ميزت التربية اليونانية القديمة عن غيرها . ويعتبر الهدف التربوى فى هذه الفترة من تاريخ روما ، هو تكوين المواطن الصالح ، الذى يتمثل فى الجندى الشجاع المتحلى بالفضائل التى تساعده على معرفة ماله من حقوق وما عليه من واجبات مثال آخر ، يتضح فيه أثر التركيب الإجتماعى فى التعليم بأعتبار أن القوى الإجتماعية هى الوعاء الذى يحتوى المعارف والمعلومات والإتجاهات ، فإذا تأملنا فى تركيب المجتمع المصرى خلال العصر العثمانى ، نجده كان مكوناً من :

المماليك ، الأتراك ، المثقفين ، أرباب الحرف والصناعات ، أهل الذمة ، التجار ، العوام ، الفلاحين ، البدو ثم الأجانب .

وبطبيعة الحال ، كان التعليم تمثيلا صادقاً لنوعيات التركيب الإجتماعى فى مصر ، حيث عنى بتعليم الحكام والفئات المقربة إليهم ، بينما أهمل تعليم السواد الاعظم من الشعب المصرى ، وتخلفت الثقافة العربية بالمقياس عما كانت عليه فى عهود سابقة .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن الاتراك — وأن كانوا مسلمين — إلا أنهم لم يتعلموا اللغة العربية ، فبقوا بعيدين عن روح الثقافة العربية ، وحتى عن روح الإسلام ، وفرضوا حصاراً ثقافيا حول ماوقع فى حوزتهم من البلاد العربية لإبعادهم عن تيارات التقدم التى كانت سائدة فى الغرب حينذاك ، بل نستطيع أن نقول إن من أهداف الحكومة العثمانية ، كان إهمال الوطن العربى وجره إلى التدهور المادى والمعنوى حتى لايتطلع إلى الاستقلال ، ويكفى أن نعرف أن تلك الحكومة لم تجد بأساً فى أن تضع للولايات العربية ، حكومات قائمة على النزاع والمنافسة والسلب

وأقتسام الغنيمة ومن ذلك : سيطرة أمراء المماليك على مصر فى العهد العثمانى بكل رذائل هؤلاء الامراء وتخلفهم الفكرى والخلقى (١).

٣ — العوامل الإقتصادية :

ونعنى بها النواحى الإقتصادية العامة للمجتمع ، بأعتبار أن أوضاع التربية تتأثر بالاوضاع الإقتصادية للمجتمع وإمكانياته ، سواء بالنسبة لمحتوى التعليم أو أساليبه ، أو مؤسساته ، أو اتجاهات الثقافة بصفة عامة ، فقد ارتبط التعليم طوال عصور التاريخ المتعددة فى مختلف المجتمعات بالإقتصاد أرتباطا وثيقاً حتى إن البعض يرى أن العامل الإقتصادى ، هو الذى يحدد النظم الإجتماعية ، ويوجه تطورها فى المجتمع ، وبالتالى ينعكس آثره على عمليات التربية ، ومامن فترة تاريخية شهد فيها المجتمع ازدهاراً إقتصادياً ، وانتعاشاً فى أحوال الناس وحياتهم إلا وصحب ذلك الازدهار وذلك الإنتعاش ، ازدهار مماثل فى أحوال التعليم والثقافة بفروعها المختلفة ، والعكس صحيح ، فعلى سبيل المثال ، إزدهرت الحياة العلمية فى مصر الفرعونية ازدهاراً كبيراً ، كان لحسن ظروف الإقتصاد المصرى فضل كبير فى ذلك ، حيث مكنهم من إقامة حضارتهم الزاخرة بالعديد من مظاهر التقدم والعمران والنبوغ فى العلوم المختلفة ، فقد كان للطب بفروعه شأن عظيم وكان لأطباء مصر القديمة شهرة ملأت أسماع الدنيا فى ذلك الوقت وارتبط التحنيط والتشريح بالطب ، إلى جانب الاهتمام بالفلك والعلوم الكونية والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب لما تقتضيه متطلبات الحياة كبناء الاهرامات وإقامة المعابد وتنظم مياه النيل وقياسها وضبطها وتنفيذ المشروعات العامة والتجارة ، وما الى ذلك ، كذلك كان للمصريين القدماء فى معرفة الكيمياء حظ لايقل عن حظهم فى سائر المعارف والعلوم . وتشير الدلالات التاريخية إلى

---

(١) د . أبو الفتوح رضوان — القومية العربية — الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ١٩ ص ٥٠

أن الحياة فى مصر الفرعونية جمعت سائر أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم الإجتماعية ومستوياتهم الحيوية فى وحدة متماسكة قوية ، ولم يلجأ المصريون إلى ثورات ذات طابع اقتصادى أو أجتماعى (إلا فى أضيق الحدود والعصور) ، لذلك ، تميز المجتمع المصرى بذيوع ذلك الروح الصفو العذب الذى شمل الناس جميعاً ، كما جرت أيام الحياة لدى المصريين سهلة ، بسيطه ، يسودها جو من المرح الصافى ، وعلى نغمة حلوة مرضية ، ويسعد أهلها الرخاء المادى الذى تجرى لهم به الحياة بين يدى النيل العظيم[١] .

وهناك مثال آخر ، يتضح فيه أثر الإقتصاد على التعليم ، ولكنه على نقيض المثال السابق ، وذلك إبان الحكم العثمانى لمصر ، فقد ساءت الحالة الإقتصادية وبالتالى ساءت حالة التعليم بل وتدهورت حتى انحدرت إلى الحضيض . ويعبر عن ذلك ، « على مبارك فى خططه التوفيقية » بقوله : . . . أهمل أمر المدارس وامتدت الاطماع إلى أوقافها ؛ وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها . وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فأخذوا مفارقتها ، وصار ذلك يزيد فى كل سنة عما قبلها لكثرة الإضطرابات الحاصلة بالبلاد حتى انقطع الالتفات إلى عماراتها ... فامتدت أيدى الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الضخمة والمبانى الجليلة . إلى زاوية صغيرة ، تراها مغلقة فى أغلب الأيام وبعضها زال بالكلية . وصار زريبة أو حوشاً . أو غير ذلك[١] .

وفى تقصى أمور الإقتصاد فى تلك الفترة ، تفسير مبرر لما وصلت إليه أمور التعليم .

٤ — العوامل الدينية .

ونعنى بها ، الاتجاهات الدينية والمعتقدات التى يعتنقها أفراد المجتمع

---

(١) د . أحمد بدوى ، د . محمد جمال الدين مختار ـ تاريخ التربية والتعليم فى مصر ـ الجزء الأول ـ العصر الفرعونى الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٤ ص ٨٤ .

(٢) أنظر : على مبارك ـ الخطط التوفيقية .

وما يمارسونه من طقوس ، وما وقر فى نفوسهم من إيمان وما تغلغل فى وجدانهم من عقائد وما يقدسونه من آلهة ومعبودات (فى العصور القـديمة ثم ظهور الديانات السماوية (كالمسيحية والاسلام) وأثر ذلك فى طبيعة المجتمعات واتجاهات الشعوب ، وبالتالى ارتباطه بأوضاع التربية ونظم التعليم ومسارات الثقافة فى المجتمع .

ففى مصر الفرعونية ، وجد ارتباط كبير بين العقيدة ومختلف العلوم والفنون التى أجادها المصريون القدماء ووضح ذلك فى بنـاء الهياكل والمقابر وما وجد عليها من رسوم دينية وتصاوير تتعلق بالعبادة والخلود وما يتصل به من تشريح وتحنيط وحفظ جثث الموتى ، ثم ما كان يدرس من الأدب الديـنى والقـصص الدينى . . . الخ ويبدو من آثار الفراعنة ، أنهم كانوا يهتمون بالحياة الدينية ويقدسونها أكثر من غيرهم من أمم الأرض التى كانت تعيش فى عصورهم ، بل أنهم يرجعون العلوم واختراعها إلى الإله توت ، إله الحـكمة ، وحول معبوداتهم ومقدساتهم ، وجدت أنواع العلوم وفروع المعرفة ، أضف إلى ذلك ، قيام الـكهنة وهم رجال الدين حينئذ ـ بتدريس العلوم المختلفـة ، إلى جانب عملهم فى المعابد وما يتصل بشئون الدين .

كذلك يتضح أثر العامل الدينى فى حياة الناس وأساليب تربيتهم وتعليمهم ، بظهور الدين الاسلامى ، فقد كان لانتشاره فى شبه الجزيرة العربية ، آثاره المتنوعة ؛ اجتماعياً ، وفـكريا ، وعلمياً ، وسياسياً ، باعتباره أهم حدث تعرضت له ، فقد غير من الأوضاع التى كانت سائدة من قبل ؛ حيث ملأ معتنقيه بمثل عليا ناضجة ، وبعواطف إنسانية سامية ، ذلك أنه ، إلى جانب ما نادى به من الإيمان بعقائده الأساسيه فى توحيد الله عز وجل ونبوة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، والحياة الآخرة وما فيهامن ثواب وعقاب ، فإنه نادى كذلك بالتمسك بتعاليم الأخلاق الفاضلة واعتبره شرطاً أساسياً للحياة الدينية الصالحة ، وبالأضافة

إلى البعث السياسى والروحى لبلاد العرب الذى كان نتيجة لظهور الإسلام ، فضلا عن اهتمامه بالعلم والتعليم ، وحثه على العمل للجمع بين الحسنيين ، خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ثم باتساع الأمصار الاسلامية وانتشارها ، بدأت تباشير نهضة تعليمية ، دعامتها – فى بداية الأمر – العلوم الدينية ، ثم استنباط الأحكام الفكرية والفتاوى الشرعية ، إلى أن بدأ الاهتمام بالعلوم العقلية أو الكونية ، كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها ، فى من وجود الاسلام .

على أنه مع عناية الاسلام بالعلم والمتعلمين ؛ فإنه لم يفرق بين أجناس من يتعلمون أو يفاضل بين مستوياتهم الاجتماعية (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) إذ كان مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين ، هو الأساس الذى بنيت عليه معاهد العلم الاسلامية ، وعلى ذلك ، لم يؤسس المسلمون معاهد خاصة ، أو كليات لمختلف الطبقات ، بل كانت معاهدهم العلمية يحضرها الغنى والفقير على السواء ، وكان الفقير ، يجد فيها كل مساعدة ممكنة ، إذ لم يكتف العرب بانشاء المدارس فى مختلف الأقطار الاسلامية ، بل حبسوا عليها من الضياع والممتلكات ما يكفل بقاءها منار علم ، ومنهل عرفان .(1)

(٥) العوامل الجغرافية :

ونعنى بها ، ما يتصل بالبيئة التى تعيش فيها الناس وبوعيتها ، من جبلية أو صحراوية ، أو ساحلية أو زراعية ، أو صناعية أو تجارية ، . . . ثم طبيعة هذه البيئة من جو ومناخ وتضاريس واقتصاد ، وسهولة مواصلات أو وعورتها ، وما يتضمنه موقعها الجغرافى من جيرة وأصدقاء أو أعداء . . . الخ وارتباط ذلك كله بالنظم السياسية والاجتماعية ، وكذلك بالنواحى الثقافية والفكرية والنفسية والتربوية بصفة عامة لأفراد المجتمع الذين يعيشون فيها ، ويتضح أثر ذلك فيما يلى :

---

(١) أنظر : د . أحمد شلبى – تاريخ التربية الإسلامية .

فقد كان صفاء السماء فى مصر وخلوها من السحب والغيوم معظم أيام السنة، من دواعى اهتمام الفراعنة بالعلوم الكونية مثل علم الفلك إلى جانب اتخاذهم بعض كواكب السماء — وبخاصة الشمس — آلهة يعبدونها ، وكان أول من اشتغل منهم بالفلك كهان هليوبوليس ، الذين توصلوا إلى التقويم الشمسى (حوالى عام ٤٢٤٢ ق . م) وهو أول التقاويم المضبوطة فى العالم منذ فجـــر التاريخ ، وقد تفردت مصر فى ذلك الوقت بهذا التقويم دون سائر أقطار الأرض ، وفى هـذا يقول هيرودوت[١] : « إن المصريين هم أول من عرف السنة الشمسية ، وقسموها إلى إثنى عشر شهراً ، وكانوا يجعلون لـكل منها ثلاثين يوماً ، ويزيدون على هذا العدد ، خمسة أيام كل سنة ، وبذلك ، تنتهى دوره الفصول عندهم ، بنفس التاريخ الذى بدأ به التقويم » .

كذلك ، كان لطبيعة المناخ فى البيئة المصرية ، أثره فى احتفاظ كثير من جثث قدماء المصريين بمعالمها الآدمية ، فقد عثر على بعضها (ويرجع إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد) فى بلدة البدارى (بمحافظة أسيوط بصعيد مصر) وقد حفظها جفاف الرمال وحرارتها ، فأبقى فى أمعائها قشوراً من حب الشعير[٢] .

وبطبيعة الحال ، لم تكن هذه ، هى الطريقة الوحيدة التى استخدمها الفراعنة فى الحفاظ على جثث موتاهم فقد كان لإيمانهم بعقيدة البعث ، أثره فى حرصهم على على استخدام الوسائل التى تحقق ذلك وأشهرها التحنيط ، الذى لفت أنظار العالم لبراعتهم فيه .

وإذا اتجهنا صوب بلاد اليونان ، نجد أن « أسبرطة » كانت تقع فى منطقة وعرة فى جبال البوليبونيز ، وكانت حياة الناس فى بيئة جبلية كهذه ، تتطلب قوة الجسم والقدرة على الاحتمال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كانت

---

(١) أنظر . هيرودوت يتحدث عن مصر . فقرة ٤٥ .

(٢) أنظر . د . سعيد اسماعيل . تاريخ التربية والتعليم . مرجع سابق ص ٧٥

G. Maspero : The Dawn of Civilization Egypt and Chaldea p.43

علاقات اسبرطة بجيرانها وما حولها ، علاقات مضطربة فى معظمها ، فقد فرضت سلطانها على المناطق القريبة منها ، كما فرضت عليها الضرائب والجبايات ، ومن ثم كان الخطر يهدد أسبرطة دائما (إلى جانب الحياة الاجتماعية التى تدعو إلى تمرد الأرقاء) ومن أجل هذا ، اتسمت التربية الاسبرطية بالخشونة والعنف بما يتلاءم والطبيعة القاسية ، وكرست جهودها فى إعداد أجيال قوية ، تقف أمام أعدائها وتحميها من إغاراتهم ، واتخذ حكام اسبرطة من الوسائل ما يحقق لهم ذلك ، منهـــا .

التدريبات البدنية والعسكرية الشاقة داخل المعسكرات ، التقشف فى الملبس إلى أبعد حد فلا يسمح للمواطن إلا بارتداء ثوب واحد فى الصيف أو فى الشتاء بالإضافة إلى عدم استعمال أغطية للرأس أو لبس شىء فى القدمين ، المعقوبة على الإفراط فى الأكل بالجلد حتى لايدعو الإفراط الى السمنة وقصر القامة ، عدم سفر الإسبرطيين إلى خارج اسبرطة أو الإقامة خارجها ، حتى لا يتصل الإسبرطيون بالعادات والأفكار والنظم الاجتماعية الشائعة فى البلاد الأخرى ، عدم الاهتمام بالنواحى العقلية أو الثقافية أو الجمالية ، النوم داخل المعسكرات على فراش من القش الخشن ، الذى يقطعه الشباب بأيديهم دون استخدام آلة قطع ، سحب العملة الذهبية أو الفضية والاستعاضة عنها بعملة من الحديد ، ضخمة ، وثقيلة وصغيرة القيمة ، حتى لا يفكر أحد فى اكتناز المال .

تلك بعض تعاليم « ليكرجوس » فى أمور التربية الإسبرطية (٢) .

أما أثينا : فهى ذات موقع جغرافى طيب ، ومناخ معتدل قليل التغير ، حيث تقع على البحر الأبيض المتوسط ، مما مكن لها الاتصال بالحضارات الشرقية والجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط فاكتسبت من هذه الحضارات الشىء

---

(١) فتحية حسن سليمان . التربية عند اليونان والرومان — مرجع سابق ص ١١

الكثير ، إلى جانب طبيعة شواطئها المتعرجة ، الكثيرة الخلجان والجزر ، مما كان سبباً فى ازدهار الملاحة والتجارة عن طريق البحر

كذلك ، أدى اختلاط الأثينيين بالغرباء - خلال حروبهم - إلى اكتسابهم الكثير من الخبرات وإلى جعلهم أكثر تسامحاً فى قبول الغرباء وتقبل آرائهم ، كما أدى هذا الاختلاط إلى زيادة تجارتهم ، واتساعها عن طريق البحر .

وإذا أضفنا إلى ذلك ، أن المجتمع الأثينى ، اشتهر بأنه كان أكثر ديموقراطية من المجتمعات اليونانيه القديمة الأخرى ، مما مكن لمختلف العلوم والفنون أن تزدهر ، لأدركنا فى ضوء هذا كله ، سبب تقدم أثينا عن غيرها من مدن اليونان . وبالتالى وجود كثير من أعلام الفكر والفلسفة والعلوم الطبيعية وفروع المعرفة المتنوعة .

(٦) العوامل الأنثربولوجية :

ونعنى بها العوامل التى تتصل بالأجناس البشرية وثقافة الإنسان ، وتطورها عبر العصور ، باعتبار أن المجتمعات البشرية لا تنتمى كلها إلى جنس واحد ، بل هى خليط من أجناس متفاوتة فى خصائصها وسماتها العامة ، فمنها الصالح الأصيل - كما يرى البعض - ومنها دون ذلك ، ومن المجتمعات ، ما يوجد به مجموعات وافدة أو مجموعات عنصرية ، إلى جانب المواطنين الأصليين . مما يكون له أثر فى ثقافة الشعوب واتجاهات التربية فى مجتمعاتها ، بل أن البعض من المتطرفين ، يرون أن نوع الجنس البشرى ، هو أهم العوامل الرئيسية فى التقدم أو التخلف الاجتماعى ، وقد وضح ذلك فى بعض المجتمعات القديمة ، حيث كانت تقسم إلى طبقات : ارستقراطيين ، مواطنين ، أرقاء ، أجانب . . إلى غير ذلك من تسميات متنوعة طبقاً لظروف هذه المجتمعات ، وقد انعكس هذا على اتجاهات التربية ، فقد كفلت فرص التعليم لسادة البلاد والمقربين إليهم بينما حرم منها السواد الأعظم من الشعب ، وبالتالى وجدت فئة قليلة من المتعلمين نتيجة لتلك النزعات العنصرية .

وبعد ، فإن هذه العوامل الثقافية وغيرها ، تشترك في إحداث حركة تطور المجتمعات . وتكوين عمليات التربية بها ، ولكنها تختلف في مدى تأثيرها ، كل بقدر فعاليته .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه ليس من الضرورى ، أن تؤثر تلك العوامل كلها في مجتمع واحد أو في كل المجتمعات ، وإنما قد يؤثر بعضها في مجتمع ما ، بينما يؤثر واحد منها فقط في مجتمع آخر ، وهكذا ، وفقاً لظروف كل مجتمع .

ونحن في تناولنا لدراسة اتجاهات التربية عبر العصور المختلفة ، ينبغى أن نضع في اعتبارنا أثر القوى الموجهة لهذه الاتجاهات ، والتى تقف خلف تنظيماتها ، وهى ما اصطلح على تسميتها بالعوامل الثقافية .

القسم الثاني

النماذج التطبيقية
لدراسة تاريخ التربية

بعد أن قدمنا فى القسم الأول ـ الإطار النظرى لدراسة تاريخ التربية ـ وقد تناولنا فيه حديثاً عن طبيعة الشعوب وموقف التربية منها ، ثم ذكرنا مفهوم تاريخ وأهداف دراسته ، والعوامل التى ينبغى مراعاتها لفهم طبيعة هذه الدراسة ، نذكر فى الفصول التالية ، نماذج من التربية عبر العصور المختلفة ، ممثلة فى بعض الشعوب ، من خلال عرضنا للملامح العامة لأنواع المجتمعات التى نتناولها .

والدارس لتاريخ التربية ، يجد أمامه العديد من نوعيات الشعوب فى العصور المتعاقبة منذ فجر البشرية حتى الوقت الحاضر ، ومن ثم يصعب الإلمام بجميع هذه العصور دفعة واحدة ، فمثل هذا العمل يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد . وليس هذا مجال الإفاضة فى الحديث عن التربية عبر كل العصور ، ولكن حسبنا أن نقتصر على نماذج منها ، نبدأها بالتعرف على الاتجاهات العامة للتربية عند الشعوب البدائية ، ثم فى العصور القديمة ، فالعصور الدينية ، فالعصور الوسطى ، ثم العصور الحديثة ، متخذين بعض الشعوب كأمثلة لاتجاهات التربية فى تلك العصور ، مع الإشارة فى كثير منها إلى بعض أعلام الفكر التربوى ، وبيان مدى إسهامهم ـ عن طريق آرائهم التربوية ـ فى توجيه التربية ، وتطويرها فى عصورهم ، ثم إلى أى مدى يمكن الإفادة منها فى عصرنا الحاضر .

اتجاهات التربية

فى

المجتمعات المختلفة

عندما يتصدى الباحث لموضوع التربية ، ليؤرخ له عبر العصور المختلفة ، يجد نفسه أمام أحقاب طويلة من تاريخ البشرية متعددة العصور ، متنوعة الاتجاهات ، متباينة الأساليب ، إلى جانب اختلاف الأمكنة والأزمنة والمجتمعات .

الفصل الثالث

اتجاهات التربية

فى

المجتمع البدائى

النواحى الاجتماعية :

يقصد بالمجتمعات البدائية ، تلك المجتمعات التى تعيش حياتها على الفطرة أو الطبيعة دون أن ينالها حظ من التمدين أو التحضر ، ولم يقدم لهـا من المعرفة وأساليب التقدم العلمى ، ما يغير من طبيعتها ، ومما هى عليه .

وهذه الشعوب ، توجـد فى بعض الأماكن ؛ الصحراوية أو الرعوية أو الأدغال والغابات ، أو الجزر النائية ، أو ما شابه ذلك

ويطلق على الإنسان البدائى ، إنسان ما قبل التاريخ ، بالمقارنة إلى إنسان العصور التاريخية التى توالت فيما بعد .

وتتميز الشعوب البدائية ببساطة الحياة فيها ، وقلة تعقيدها ، وقد انعكس هذا على طبيعة التربية فيهـا ، حيث مواقف الحيـاة ، والممارسة نتيجة التقليد والمحاكاة .

وقد كانت الأسرة والتجمعات القبلية القائمة على القرابة والتقارب ، أول أنواع النظم الاجتماعية ، فقد وجد الناس أن معيشتهم سوياً تزيد فى ضمان حياتهم ورفاهية كل فرد منهم ، كما أحسوا بضرورة وجود قواعد ونظام معينة لتوجية حياة الجماعة ، لتحديد علاقة الفرد بهذه الجماعة وأوجه نشاطها،وهكذا ، تكونت العادات والطباع كما تكونت الأفـكار والمشاعر التى تشترك فيها الجماعة والتى تحدد حقوق وواجبات الأفراد المختلفين فيها .

وقد أحس الإنسان البدائى بأن خير الجماعة يتوقف على أداء كل فـرد لواجباته ، وبأن على كل أعضاء العشيرة أو القبيلة أن يعملوا وفق مصالحها العامة ومن ثم تكونت فى كل قبيلة قواعد معينة تتصل بأوجه النشاط الهامة فى الحياة

وتحدد واجبات الأباء نحو أبنائهم، كما تحدد العلاقات بين الجنسين، والاتجاهات نحو الملكية، والولاء للكبار والقادة، وتقسيم غنائم الصيد، وواجبات المحاربين في الحرب وغير ذلك مما تقتضيه الحياة البدائية .

وقد دل التنظيم البدائي القبلي للحياة في عصور ما قبل التاريخ ، على أن الجماعات البشرية التي تكونت حينئذ ، كانت ضرورية لحماية الإنسان أثناء رحيلة من مكان إلى آخر ، بحثاً عن الطعام أو طلبا للأمن ، فقد عاش الإنسان الأول معيشة انفرادية ، ثم تكونت الأسرة ، ثم تآلفت الأسر ، وتكونت العشائر ثم تجمعت العشائر وتكونت القبائل والمجتمعات .

النــواحي الدينية :

أما من حيث النواحي الدينية ، فقد عبد الإنسان البدائي كثيرا من مظاهر الطبيعة حوله ومكوناتها ؛ من جماد ، ونبات ، وحيوان ، ومن ثم كان تحت رحمة العالم الطبيعي والحيواني ، يدين له بالولاء والمحبـة ، وتسيطر على سلوكه خشيته والرهبة منه والرغبة في رضائه . لقد اعتقد الإنسان البدائي في السحر وأعمال الشعوذة ، واقترنت هذه العقـيدة بما أتفق عليه من العرف والتقاليد ، واختصت فئه الـكهنة والسحرة والمشعوذين بتوجيهـات المعـرفة والتسلط على النواحي يرسمون طقوسها وتقاليدها للجماعة يشاركهم في هذا ، كبار رجال القبائل وذوى الخبرة فيها .

النواحـي التربوية :

يمثل المجتمع البدائي أكثر صور التربية سذاجة ، إذ لم يوجد به نظام مدرسية أو مجموعة منظمة من المعارف التي يمكن أن تتخذ بطريق غير مباشر أساسا للسلوك في الحياة . لقد كانت الأسرة هي الوسط التربوي الوحيد ، وكانت عليها مسئولية

تدريب الأطفال على المعرفة والتقاليد ، فلم تكن هناك هيئات اجتماعية كالمدارس أو المعاهد ، تختص بالإشراف على التربية فى هذه المجتمعات البدائية.

وكان هم الإنسان البدائى منذ نشأته ، المحافظة على كيانه وحياته ، فكان عليه أن يحصل على غذائه وكسائه ومسكنه ، وعلى إعداد مأوى له يعيش فيه ، وقد جمع خبرات وتجارب من كفاحه فى سبيل المحافظة على نفسه ، واهتم أن يحافظ عليها برمته كى ينقلها لصغاره ذخيرة حتى تغنيهم عن التعرض للمخاطر من جديد ومن ثم نقلها إليهم عن طريق التقاليد والممارسة ، سواء بالنسبة للفتى أو بالنسبة للفتاة ، كل فيما يتناسب وطبيعته .

لقد كان غرض التربية فى المجتمعات البدائية — بوجه عام — مساعدة الفرد على أن يصبح جزءاً أساساً من الثقافة التى ينتمى إليها ، وبالتالى فإن التربية البدائية تحاول تشكيل الفرد بالثقافة المحيطة به تشكيلا ثابتاً وسلبياً، وقد تكون هذه النظرة صحيحة إلى حد كبير ، غير أن هناك ، قبائل بدائية كانت تسمح بشيء كبير من المعرفة والحرية والابتكار فى تربية أطفالها .

ويرى بعض مؤرخى التربية أن التربية البدائية لم تكن على نمط معين بل كانت كل قبيلة تحاول تربية أبنائها وفق النمط الذى كان كبارها يسيرون عليه ، فبعض القبائل كانت تعلم صغارها احترام الملكية بينما لم تهتم قبائل أخرى بذلك ، وكان بعضها يوجه أهمية خاصة إلى المهارات الفنية والحرفية بينما كانت هناك قبائل تترك تعلم هذه المهارات إلى مجال الصدفة أو التقاليد ، فكانت بعض القبائل تعلم أطفالها أسرار السحر ، بينما لم تهتم قبائل أخرى بذلك ، وكانت بعض القبائل تغرس اتجاهات الخجل والعفة عن النواحى الجنسية ، بينما كانت هناك قبائل تشجع أطفالها على الاختلاط الحر بين الجنسين ، وهكذا تنوعت أساليب التربية فى المجتمع البدائى ، وهو ما نرجح التعبير عنه .

أما عن المدارس ، فلم تعرف الجمعات البدائية شيئاً عنها ، كذلك لم يعرف الإنسان البدائي الكتابة ، ولكنه كان يحفر الرسوم على الجدران ، معبراً عما حوله . وعن مشاهدات حياته ، وقد ظهرت الكتابة فيما بعد ذلك بعدة قرون في شكل تصاوير ورسوم ترمز إلى اللغة .

يقول « بول منرو » فى كتابه عن تاريخ التربية :

كان هدف التربية البدائية ، هو إحداث التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية وغير المادية ، وذلك بوسائل ثابتة ، معينة ، أثناء قيامه بالأعمال . سواء كانت هذه الأعمال متصلة بمصالحه أو بعبادته[1] .

وقد كان لبعض القبائل ـ الى جانب المسئولين عن النواحى الدينية والروحية والشعوذة ـ جماعات تقوم بحرف ووظائف مختلفة ؛ كبناء البيوت وتشكيل الأشياء من المعادن ، وصناعة الآلات والملابس ، ووشم الناس ، وكانت هذه الجماعات تدرب الصغار على التعرف على مهارات وأسرار هذه الحرف المختلفة .

وكثيراً ما كانت بعض القبائل تقيم طقوساً لتدشين المراهقين أو صغار الشباب قبل قبولهم فى مجتمع الكبار فيها ، ورغم أن الممارسة طقوس التدشين لم تكن أمراً شائعاً بين كل القبائل ، إلا أنها كانت تمثل نوعاً هاماً من إشراف الكبار على تربية الصغار .

ومما يذكر ، أن البنين والبنات كان عليهم اختيار مجموعة من الاختبارات قبل إقامة حفلات تدشينهم كتعرضهم لبعض الآلام الجسمية أو شربهم الدم أو استخدام الوشم وغير ذلك من الأعمال التى تتطلب الصبر وقوة الاحتمال ، على أن هذا كان يختلف من قبيلة إلى أخرى .

---

(١) بول منرو المرجع فى تاريخ التربية — ترجمة صالح عبد العزيز ج ١ ص ٣٠ .

أما الصبية الصغار ، فكانوا يلهون بصيد الحيوانات والأسماك والقتال كما يلهو أطفالنا فى الوقت الحاضر باللعب المختلفة ، كما كانوا يلتزمون بما تتفق عليه قبائلهم من عرف وتقاليد ويسيرون وفقها ويتجنبون مخالفتها مادامت هذه المخالفة تؤثر فى رفاهية القبيلة التى ينتسبون إليها ، وكانوا يستمعون إلى أساطير الأولين والسابقين وأغانيهم وأهازيجهم ويعتبرونها من تقاليد القبيلة التى يجب عليهم المحافظة عليها .

وفى ضوء ما سبق ، نستطيع أن نقول إن التربية فى المجتمعات البدائية ، كانت تتم باندماج ذاتية الفرد فى تقاليد المجتمع ، لتحقيق رفاهية الجماعة .

وقد كان غرض التربية البدائية ، هو التوفق بين الفرد وبيئته المادية والروحية ، وذلك بالوسائل التى يراها الكبار ، كفيلة بتحقيق ذلك .

وتتميز المجتمعات البدائية بالبساطة الحياة فيها ، وقلة تعقيدها ، وقد انعكس هذا على التربية فيها ، حيث مواقف الحياة ، والممارسة نتيجة التقليد والمحاكاة .

فالتربية فى هذه المجتمعات ، كانت تعتمد على عناصر المجتمع كله ، وعلى تنظيماته . أما عن التعليم ، فلم تكن هناك مؤسسات أو منظمات ، غرضها الأساسى ، تعليم النشىء ، وتقديم أنواع المعرفة لهم ، بل كان الأمر أشمل من ذلك ، إذ كانت القوى المعلمة أو العناصر التعليمية ، منتشرة فى جميع مواقف المجتمع البدائى ، إذ يتعلم الطفل العادات والتقاليد وأساليب الحياة من أسرته ، حيث الوالدين والكبار فى الأسرة ، ومن رئيس العشيرة ، ومن شيخ القبيلة ، ومن الطقوس التى يمارسونها ، ومن المجالس التى تعقد ، ومن الحفلات التى تقام فى مناسبات مختلفة ، ثم من أقرانه فى اللعب ، ومن ممارسته للعمل تحت إشراف المسؤلين عنه .

ومن الملاحظ أن هذه الحياة بأنماطها وأساليبها ، تجعل الطفل يتشرب ثقافتها ويعايش مقوماتها ، ويمارس تعاليمها ، إلا أن التعليم هنا ، ذو طابع سلبي حيث

يتشكل فيه الطفل بقالب الكبار ، ويتشرب ما يريدون تقديمه له من مصطلحات السلوك أو العادات أو المهارات .

وقد كان هذا التشكيل الاجتماعى ، ضماناً لأن يحافظ المجتمع البدائى على مقوماته ، ومكوناته ، ومسار الحياة فيه ، واستمرار النمط الذى يعيش فيه ، دون زعزعة أو تغيير .

ومن أجل هذا ، تركزت التربية البدائية فى الإعداد للحياة المعاصرة للانسان البدائى . دون شعوره بالماضى أو تفكيره فى المستقبل ، ومن ثم كانت تربيته لا تحرز نوعاً ملموساً من التقدم ، فهو يعيش فى الحاضر مطمئن البال ، يعوزه الخيال الابتكارى ، كما يعوزه الدافع إلى العمل لمقتضيات الحياة المستقبلة ، ولم يخرج عن طبيعة هذه الاتجاهات إلا فئة قليلة ، اتصفت بالعبقرية أو الشذوذ من من أمثال السحرة الذين قاموا — إلى حد ما — بدور المدرسين فى بيئاتهم .

ثم تطورت الحياة فى المجتمعات البشرية على مدى العصور ، وعندما تطور الفكر الإنسانى ، اتسمت التربية باتجاهات متطورة . متعاقبة ومتجددة كلما مرت الأزمنة وإن اختلفت من شعب إلى آخر .

الفصل الرابع

اتجاهات التربيه

فى

المجتمع الفرعونى

مقدمة :

هناك تفاوت فى الآراء فى قدم الحضارة المصرية فى عصورها الفرعونية ولكن هناك شبه اتفاق بين المؤرخين ، على أن ثقافة المصريين فى العصر الحجرى الحديث لم تكن تضارعها ثقافة أخرى فى العالم .

وقد كشفت لنا الحفريات ، عن ارتقاء صناعة الأدوات الحجرية التى كان يستعملها المصريون القدماء ، ووصولها إلى درجة عالية من الصقل ودقة الصنع ، ثم صناعة المعادن المختلفة ، مما يؤكد قدم هذه الحضارة .

بالإضافة إلى ذلك ، عرف قدماء المصريين الزراعة حيث الاستقرار والإقامة الطويلة ، وقد أيد صحة هذا ، ماوجد من آثار ، ومنها آثار بلدة « البدارى » فى محافظة أسيوط — حيث وجدت بعض الجثث المحنطة والتى يرجع تحنيطها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقد حفظها جفاف الرمال وحرارتها ، وبأمعائها قشور حب الشعير الذى كان يزرع آنذاك[1] .

أما عن أصل المصريين القدماء ، هل هم أفريقيون ؟ أم أنهم أسيويون ؟ أم أنهم خليط من هؤلاء وهؤلاء ؟ ثم هل هم سكان البلد الأصليون ؟ أم أنهم وافدون ؟ ومن أين وفدوا ؟ . . . كل هذه التساؤلات ، لاتزال مجال آراء مختلفة ومجال جدال ومناقشة .

---

1) See: Thomas Woody : Life and Education in Early soeietier. P. 60.

العصور المصرية القديمة

يمكن تقسيم تاريخ مصر القديمة على النحو التالى :

١ — عصر الدولة القديمة : من ٣٥٠٠ ق . م إلى ٢٦٣١ ق . م أى من الأسرة الأولى إلى الأسرة السادسة ـ وقد أعقبت الدولة القديمة فترة من الفوضى، شملت الأسر من السابعة إلى العاشرة .

٢ — عصر الدولة الوسطى : من ٢٣٧٥ ق . م إلى ١٨٠٠ ق . م أى من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الرابعة عشرة ـ وقد انتهى هذا العصر بفترة من الفوضى والنزاع على الحكم أدى إلى غزو الهكسوس لمصر .

٣ — عصر الدولة الحديثة : من ١٥٨٠ ق . م إلى ١١٠٠ ق . م ويعرف هذا العصر بعصر الإمبراطورية وقد شمل الأسر من الثامنة عشرة إلى العشرين ، ومن بين ملوكها حتشبسوت وتحتمس الثالث ، وقد استمر هذا العصر حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، حيث انتشرت الفوضى وضعفت الدولة .

٤ — عصر الاضمحلال : ببداية الأسرة السادسة والعشرين ، بدأ النزاع على الثروة والسلطة بين فرعون ورجال الدين (كما حدث فى عهد رمسيس الثالث) وشارك الكهنة ، الحكام فى استنزاف ثروات الدولة على حساب طبقات الشعب الكادحة ثم تولى أحد الكهنة ، الحكم ، وتحولت الامبراطورية المصرية إلى حكومة دينية غير قادرة على إدارة شئون البلاد ، وهكذا أساء الكهنة استخدام السلطة باسم الدين والكهنوت ، بالإضافة إلى عدم قدرتهم السياسية والعملية على الإبقاء على ثروات البلاد وحماية أراضيها مما عرضها للغزو الأجنبى ، على مدى قرون متعاقبة ، حيث وقعت فريسة للغزو الليبى سنة ٩٤٥ ق . م والغزو الحبشى سنة ٥٢٥ ق.م ثم الغزو الإغريقى (على يد الإسكندر الأكبر) سنة ٣٣٢ق.م .

ملامح المجتمع المصرى القديم

نحاول فى السطور التالية ، أن نعرض بإيجاز ، لملامح المجتمع الفرعونى وطبيعة الثقافة فيه :

أولا : الديانة وفلسفة الحياة :

عبد المصريون القدماء كثيراً من الأشياء والمعبودات ، فعبدوا الحيوانات والطيور والنباتات ، وعبدوا الشمس والقمر والشجر والمطر والنيل .... ثم عبدوا البشر ممثلا فى فرعون الذى قدسوه وآمنوا بألوهيته باعتباره صورة مجسدة للإله العظيم سيد السماء وأن روحه قد حلت فى جسمه ، وبالتالى ، فلا بد من طاعته والتقرب إليه ، ثم إذا أتى ابنه من بعده ، فعليهم تقديسه وطاعته والولاء له لأنه ظل أبيه ، وهو على صلة دائمة به بعد انتقاله إلى عالم الموتى .

والواقع أن عبادة المصريين القدماء لهذه الأشياء جميعها ، كانت إما تقرباً منها ، واستدراراً لخيرها وإما خشية منها واتقاء لشرها ، فهم فى هذا يبحثون عن إله أو معبود ، حتى إذا كانت نهاية الدولة القديمة ، ظهر الإله « رع » فى « هليوبوليس » (مدينة الشمس ـ عين شمس الحالية) ثم الإله آمون إله طيبة وفى عصر الدولة الحديثة ، بظهور إخناتون ، ظهر معه دين جديد يدعو إلى التوحيد وترك هذه المعبودات والقضاء عليها فيما عدا الإله الجديد « آتون » (الشمس) فهى مصدر كل حياة على الأرض وهى بمثابة رب الأمم كلها ، وبالتالى ، ترك الآلهة الأخرى وهدم معابدها وهيا كلها . وكان ذلك فى سنة ١٣٦٢ ق . م .

ثم تغيرت الأمور بمجىء « توت عنخ آمون » سنة ١٣٦٠ ق . م وكان إسمه توت عنخ آتون ـ فغير إسمه وغير ديانة آتون ، وأعاد ديانة آمون إله طيبة وتعاليمه . ثم تلاه آخرون من حكام مصر الفرعونية ، كان للنزاع بينهم وبين رجال الدين لا عهودهم دخل كبير فى ضعف الدولة ونهايتها .

والحقيقة ، أن المتصفح لتاريخ مصر القديمة ، يجد أن المصريين القدامى ـ على مر العصور ـ كانوا يؤمنون بالإله الواحد وإن تعددت صوره وكان من معتقداتهم أن الروح فى العالم الآخر ميزاناً يقدر لها الحسنات والسيئات ، وكانت كلمة « الله » هى القوة التى تفعل ماتريد ، ولكنها لم تكن دعوة نبوة ورسالة ، ولعلها جاءت فى زمن لم تتهيأ فيه النفوس للعلم بالوحدانية ، ونبذ الشرك وتعدد الأرباب وكانت فى جملتها دعوة كهان ، يسترون ما يعلمون ، ولا يبوحون للناس بأسرار الديانة إلا بمقدار .

وكان ميزان السماء يزن لكل روح حسناتها وسيئاتها ، ويحسب الملوك من الأرباب الذين يتصرفون فى الأرواح خلال الحياة وبعد الممات ، حتى إذا جهر « إخناتون » بدعوة التوحيد والمساواة بين عباد الله ، صدرت دعوته من قصر الدولة كأنها مراسيم الملك وقوانين الحكومة، ولم تلبث أن بطلت فى قصر الدولة نفسه بمراسيم من قبيل تلك المراسيم ، وقوانينها يطيعها الناس أشد من طاعتهم لتلك القوانين ، لأنها تستمين بدهاء الكهان ، وسلطان العرف والعادة ، إلى جانب وجود فريق من الحكماء يعرفون الله كأنهم يعرفون حلا مقنعاً لمسألة الوجود ، أو كأنهم يعرفون خالقاً للكون ، ولا يزيدون عن تلك المعرفة .

ولعل ذلك ، يؤكد أن عقيدة المصريين القدماء كانت سراً من أسرار الخاصة ، وذوى الرئاسة فى المحاريب والقصور . وأن عقيدة التوحيد ، قد سرت من مصر فى صورة من الصور إلى بلاد المشرق ، ومنها بلاد البحر الأبيض ، ووادى الرافدين[٢] .

كذلك ، فإن تعدد الأرباب ، قد سرى من مصر إلى الشعوب الأخرى ، سريان العرف والمحاكاة (كما سنرى عند كل من اليونان والرومان) .

---

(١) عباس محمود العقاد ـ ابراهيم ابو الأنبياء . (من مطبوعات دار الهلال ـ القاهرة) ص ٨ .

ثانيا : الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع المصرى القديم ، مجتمعاً طبقياً إلى حد ما ، إذ كان على النحو التالى :

الطبقة الأولى ويمثلها الفرعون المؤله وعائلته وكبار رجال البلاط الفرعونى .

الطبقة الثانية ويمثلها الكهنة والنبلاء وكبار العسكريين .

الطبقة الثالثة ويمثلها كبار التجار وأصحاب المهن الأثرياء .

الطبقة الرابعة ويمثلها الحرفيون والرعاة والفلاحون والعبيد .

ويلاحظ أن أعداد أفراد هذه الطبقات تمثل ترتيباً تصاعدياً فى غالبيتها ، حيث تكون الطبقة الأخيرة – مثلا – السواد الأعظم من سكان مصر الفرعونية ، على أنة يوجد تفاوت بين تلك الطبقات بعضها البعض وكذلك بين أفراد الطبقة الواحدة ، فلم يكونوا كلهم – أبناء الطبقة الواحدة – سواء من حيث المركز الاجتماعى أو الثراء المادى ، بل كان التفاوت واضحاً بين طبقات المجتمع فى كثير من النواحى وفى أساليب الحياة نفسها ، وكان يمكن للفرد ، الانتقال أو التحول من طبقة إلى طبقة أعلى ولكن بعد جهد كبير – وكان من أبرز تقاليد الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة احترام الوالدين والتمسك بالقيم والأخلاقيات ومساواة المرأة بالرجل فى الطبقة الواحدة بل كان من تقاليدهم ضرورة طاعة الزوج لزوجته على أن يثبت ذلك فى عقد الزواج وبرغم ذلك كانت النساء يمتلكن ويورثن ضمن مايتركه الأزواج من ميراث[1] .

والمعروف أن المصريين القدماء كانوا يحترمون المرأة ويقدرون مكانتها فى المجتمع فضلا عن أنهم كانوا يتخذون بعض آلهتهم من النساء كما حدث فى بعض العصور الفرعونية .

---

1) In. Thut. Thestory of Education, pp. 13—74.

والجدير بالذكر أن المجتمع المصرى القديم ،وكانت تسوده التربية الخلقية التى تضمنت الكثير من النصح والتوجيه ، كما ذخرت بالعديد من الحكم والأمثال.

ثالثا : التربية والتعليم :

يمكن القول بأن التربية فى المجتمع المصرى القديم كانت تهدف إلى تنمية الثقافة كما تهدف إلى تنمية المهنة ، أى تنمية ثقافية ، تنمية مهنية وكذلك كان هدف التعليم النظامى والمدارس النظامية لمواجهة حاجات المجتمع ومتطلباته وكان التعليم فيها يهدف إلى تطبيع التلاميذ بأيديولوجية الدولة واتجاهاتها باعتبار أن التربية (والتعلم جزء منها) عملية تطبيع اجتماعى أو تنشئة اجتماعية ثم كانت هناك فنون وحرف كثيرة وكذلك وجدت الورش لصناعة الأدوات والمهمات وبخاصة معدات الدفن وغيرها ، كما وجدت النقابات المهنية والحرفية .

والحقيقة أن نظرة الفراعنة إلى التربية باعتبارها عملية إعداد للحياة بالإضافة إلى شعورهم الدينى العميق جعلهم يعدون أنفسهم وأبناءهم لهذه الحياة ، سواء حياتهم الدنيا ، أو حياتهم الخالدة فيما بعد ، فنجدهم يبتكرون الأساليب والطرق الرياضية لبناء أهراماتهم تنفيذاً لفكرة الخلود ، ونجدهم يفكرون فى الوسائل الدقيقة لحفظ جثث موتاهم وتحنيطها مما جعلهم ينبغون فى علوم الكيمياء والتحنيط ، ونجدهم يتفننون فى ابتكار الأساليب العسكرية لمحاربة أعدائهم وإقامة إمبراطورياتهم وهكذا .

ومما يذكر أن الكهنة — وهم يكونون الأرستقراطية الاجتماعية والفكرية آنذاك — كانوا يقومون بكثير من الأعمال ، فقد أخضعوا لنفوذهم معظم الفنون والحرف ومختلف الأنشطة الفنية العليا ، وكانوا يعلمونها لمن يريدون ، وليس لكل من يريد تعلمها ، كما كانوا يوجهونها الوجهة التى يريدون ، حتى أنه يمكن القول ، أن الكهنة عملوا بما لديهم من سلطات واسعة على صهر الاتجاهات

العلمية والفنية والحرفية فى بوتقة التقاليد التى كانوا هم أنفسهم يوجدونها ويعملون على تنميتها ، وكانوا يعتبرون الخروج عن هذه التقاليد . كفراً وزندقة ، بل يعد ذلك ، ثورة على الإله تستوجب غضبه . على أن طبقة الكهنة هذه كانت تتفاوت فيما بينها من حيث الوظائف التى كانوا يقومون بها حسب نوعية الوظيفة .

أما الكتبة (الكتاب) المصريون ، الذين كان المجتمع المصرى القديم يشتمل على عدد كبير منهم ، فكانوا يتولون المحافظة على المعابد وسجلات الدولة وكتابة المراسلات .

ونتناول فيما يلى بعض نواحى الحياه التعليمية :

مصادر التربية والتعليم عند الفراعنة :

من أهم هذه المصادر :

١ـ نصائح الشيوخ والحكماء وتعاليمهم : إذ تعتبر تعاليم الشيوخ من مشاهير العرفاء والحكماء من إمهات المصادر التى نستقى منها معارفنا عن دوافع التربية وأهدافها وفلسفتها ، وتاريخ مصر القديمة حافل بالكثيرين من حكماء مصر وعرفائها على مدى العصور .

٢ـ بعض التراجم التى تركها الفراعنة على صفحات القبور وبخاصة ما يصور حياة الناشئين بما تتضمنه من حياة تعليمية ومراحل دراسية ونظم تربوية .

٣ـ ما تحمله التصاوير وما تعبر عنه الرسوم فى آثار الفراعنة من تراث المدرسة ممثلا فى التدريبات والتمرينات المدرسية ، ثم ما نجده تعبيراً عن نوعية المناهج ومواد الدراسة وطرق التدريس وأساليب الحياة المدرسية ، سواء كان ذلك فى كتب منسوخة أو فى لوحات وجدران تصويرية .

٤ـ ما يوجد من الكتب مثل كتب الرياضة والطب (مع قلة الموجود منها)

ومنها مايحفظ فى متاحف : لندن وبرلين وليدن .

٥ ـ ما يعبر عنه القصص ، المدون والمرسوم ، الشعبي منه وغير الشعبي ودلالات ذلك عن الحياة المصرية القديمة[1] .

نظام التعليم :

كان قدماء المصريين يرون بقاء الأطفال فى المنزل حتى سن الخامسة ، باعتباره المدرسة الأولى للتلميذ ، وفيه يتعلم القواعد الأولى للحياة بالممارسة والتقليد مع توجيه الوالدين وكذلك يتعلم الطفل عن طريق لعبه مع رفاقه ومن ثم يذهب إلى المدرسة .

أما النظام التعليمي فقد شمل :

ـ المدرسة العامة ، وتلاميذها من سن الخامسة إلى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة حيث يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة وبعض المهن ، وهذه دراسة عامة . كما كانت الدراسة تتضمن تدريبا عمليا بعد سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة للراغبين من التلاميذ .

ـ كذلك ؛ وجدت مدارس خاصة بالأسرة المالكة والبلاط الفرعونى ؛ يتعلم فيها الأمراء وأبناء الطبقه الحاكمه ؛ الواجبات الملكيه وكيفيه مزاولة حياتهم المستقلة بالإضافه إلى بعض العلوم والفنون التى يتحتم عليهم الإلمام بها .

ـ أما دراسه اللاهوت والمسائل الدينيه ؛ فكان على راغبيها الالتحاق بكليه « المعبد » وهى كليه دينيه تتقبل طلابها فى سن السابعه عشرة وتتوقف مدة الدراسه على الوظيفه الدينيه أو الكهنوتيه التى يعد الطالب لها .

(١) د . احمد بدوى ، د . محمد جمال الدين مختار — تاريخ التربية والتعليم فى مصر مرجع سابق ص ١٠١ — ١٠٣ .

— أما الدراسة العسكرية فقد وجدت مدارس خاصة ، تعدلهذا النوع من الدراسة يتعلم فيها الأمراء والنبلاء العلوم العسكرية وفنونها بالإضافة إلى علوم أخرى منها الكتابة وإذا أعتبرنا ما سبق التعليم النظامى ، فقد وجد إلى جانب ذلك نوع من التعليم خارج نطاق المدارس النظامية، وهو ما يعرف فى وقتنا الحاضر باسم « التلمذة الصناعية » حيث يتلمذ الطلاب على أيدى الصناع المهرة لحرفة من الحرف كتدريب حرفى أو مهنى لهم[1] .

— وأما عن التعليم العالى ، فيغلب على الظن أنه كان يتم فى المعابد لارتباط العلوم فى مصر القديمة ، بالعقيدة ، ارتباطا وثيقا ، فالمعروف مثلا أن الطب كان يدرس فى المعابد الكبيرة ، كما كانت تدرس بها الرياضيات والفلك والنحت والموسيقى والجغرافيا وغيرها .

محتوى التعليم ومناهجه .

كانت مناهج التعليم تعمل على تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية إلى حد كبير والتى من أهمها مراعاة احتياجات المدنية المصرية وطبيعة الحياة فيها ، وكان من أبرز موضوعات هذه المناهج :

(١) القراءة والكتابة

وتشمل تعليم اللغة الهيروغليفية وقراءة المخطوطات الدينية وكتابتها وكان هناك اعتقاد بين قدماء المصريين ، أن الآله « توت » اله الحكمة هو الذى أخترع الكتابة وعلمها لسكان الوادى الأوائل . ويبدو أن الكتابة كانت تصورية فى بادىء الأمر ثم تطورت إلى حروف هجائية بلغت (٢٤) أربعة وعشرين حرفا[1] .

---

1) Thomas. Woody. op cit p.63.

أما اللغة ذاتها فقد كانت هناك لغتان ، لغة للتخاطب أو الحديث وهي ما نعرفه الآن باللغة العامية أو الدارجة ، ولغة التعليم أو الكتابة ، وهي ماتعرف بالفصحى أو لغة العلم .

كذلك وجدت بعصر الفرعونية ، لغات أجنبية ، تعلمها أبناؤها في مدارسهم لإعدادهم للاتصالات الخارجية ومراسلة الدول المختلفة ، تمشيا مع اتجاهات الدولة ومقتضيات صلاتها واتساعها .

وأما الكتابة ، فلم تكن من الأمور السهلة على من يريد تعليمها ، إذ كانت اللغة القديمة تحتوى على ما يقرب من (٥٠٠) خمسمائة رمز تمثل الحروف الهجائية بكافة صورها يحتاج إلى وقت طويل ، سواء لتعلمها أو للكتابة بها ، فضلا عما تستلزمه من جهد ، ولذلك كان الكتبة المصريون يعفون من الأعمال اليدوية بل وينالون منحا ملكية من الحكام يمكن اعتبارها كطبيعة عمل في وقتنا الحاضر .

والمعروف أن الكتابة المصرية القديمة مرت بأطوار عديدة ، إذ أنها سجلت — أول الأمر — بإشارات وصور مرسومة تمثل سائر ما في الطبيعة من كائنات ، كالإنسان والحيوان ، والطير والنبات وما تركه الإنسان من آثار .

وقد أطلق الإغريق على الكتابة الفرعونية في هذه المرحلة ، اسم الكتابة الهيروغليفية . أي النقوش المقدسة ، حيث كانت تستخدم في النقش على جدران المعابد وصفحات المقابر .

وحتى يسهل إستخدام الخط الهيروغليفي في شئون الحياة العامة ، أختزله المصريون — منذ العصور الأولى — إلى نوع مبسط من الرسم ، وهو ما أطلق عليه الإغريق . اسم « الكتابة الهيريطيقية » أو النقوش المقدسة ، نظرا لأن

الـكهنة استخدموها كثيراً فى مختلف العصور ، وبها دونت أغلب آداب المصريين على أوراق البردى وقطع الفخار والخشب . كما كانت منتشرة بين كثير من طوائف الشعب .

وفى العصور المتأخرة . كتب المصريون لغتهم بخط غير مجود أى خط شعبي لا يـكاد يتضح فيه أصل الإشارات القديمة إلا بمقدار قليل .

وقد عرف هذا الخط باسم الـكتابة الديموطيقيه ، أى الشعبية . وذلك نظراً لانتشار استخدامها فى كل شئون الحياة العامة[1] . ومن ثم ، نستطيع أن نقول إن الـكتابة المصرية مرت بأطوار ثلاثة من نقش على الحجر (هيروغليفى) إلى التسطير المختصر السريع (هيريطيقى) وأخيراً إلى التسطير الشعبي (الديموطيقى).

(٢) الأدب :

شمل كثيراً من ألوان الادب ، فمثلا رجد الأدب الدينى ، وقد احتوى على كثير من المواعظ والنصائح التى تحث على السلوك الطيب ، كما تضمن الحـكم والأمثـال الأخلاقيات ، ومن ذلك « نصوص الأهرام » التى تضمنتها أهرامات الأسرتين الخامسة والسادسة ، حيث وجدت منقوشة على جدرانها ، كذلك وجد القصص كما فى قصة « سنوحى » ووجدت الأساطير وكتابات عن الرحلات والمغامرات بالإضافة إلى الأغانى والأهازيج الدينية والفلـكلور الشعبي .

(٣) العلوم المختلفة :

اشتملت مناهج التعليم على علوم متنوعة ، ولو أن الـكهنة ـ فيما يبدو ـ قد استأثروا بمعرفة كثـــير من العلوم ، ومن بين العلوم التى كانت تدرس علوم الـكيمياء والتحنيط وبعض علوم الصيدلة كاستخراج الأدوية من العقـاقير والنباتات ومعالجة الأمراض المختلفة مثل اضطرابات المعدة وآلام الأسنان وأمراض النساء وبعض نواع الجراحة وطب العيون ، حيث وجد متخصصون فى معظم

---

(١) د . أحمد بدوى ، د . محمد جمال الدين مختار مرجع سابق ص ٦٩ .

هذه الفروع ، كذلك كانت هناك علوم الرياضيات كالحساب والجبر والهندسة ، وقد كانت مهنة الهندسة من المهن الهامة فى العصور الفرعونية وذلك لاهتمام قدماء المصريين بإقامة الأهرامات والمعابد وغيرها من المنشآت.

وبالرغم مما عرف من تقدم علمى ملحوظ فى تلك العصور ، فإنها لم تخل من وجود السحر والخرافات فى بعض الأحيان .

طرق التدريس :

شملت طرق التدريس ، النواحى الآتية :

(أ) بالنسبة للقراءة والكتابة :

اتبع فى تعليمها التقليد والتكرار ، مما يتلاءم وصعوبة اللغة المصرية القديمة وبخاصة كثرة الرموز .

(ب) بالنسبة للأدب والقصص :

استخدمت طريقة الحفظ والإستظهار ، وبخاصة فيما يتعلق بالدين والطقوس الدينية بصفة عامة ـ أما مناقشة النصوص الدينية وشرحها وتفسيرها ، فكانت قاصرة على كبار الكهنة حفاظاً لها وتقديراً لقداستها .

(حـ) بالنسبة للمهن والحرف :

اتبع نظام أقرب ما يكون إلى نظام التلمذة الصناعية المعروفة لدينا الآن حيث يعتمد على التقليد والممارسة العملية ، كذلك اتبع هذا النظام بالنسبة للكتبة ومن يحترفون الكتابة .

المعلمون :

كان الكهنة يمثلون فئة المعلمين بصفة عامة ، فكانوا يتولون تدريس الدين والأدب والعلوم والرياضيات وبخاصة فى المراحل التعليمية العليا ، أما تعليم الكتابة والأشراف على نسخ المواد المكتوبة ، فكان يقوم به موظفون من قبل الحكومة وتجمع الآراء ، على أن الكهنة ، كانت لهم السيطرة على التعليم النظامى ، وذلك بتعاونهم الوثيق مع الهيئة الحاكمة ، وعلى مدى العصور المختلفة ، الأمر الذي مكن للثقافة المصرية القديمة من أن تستمر محتفظة بطابعها إلى حد كبير .

الطلاب :

(أ) بالنسبة للبنين : تشير الكتابات القديمة إلى أن أعداد التلاميذ فى مراحل التعليم لم تكن كثيرة ، وبخاصة فى مراحل الدراسة العليا ، ولعل ما كان يتبع معهم من شدة وقسوة ونظام صارم ، قد أشاع فى نفوس الراغبين منهم الخوف والرهبة بالإضافة إلى طبيعة المناهج الدراسية ، هذا من جهة ومن جهه أخرى ، فربما كان لتدخل الكهنة فى شئون التعليم ورغبتهم فى أن يعلموا من يريدون من الناس وفى مجتمع طبقى وربما كان لذلك كله دخل فى قلة أعداد التلاميذ .

(ب) بالنسبة للبنات : بالرغم مما كان للمرأة من مكانة فى المجتمع المصرى القديم ، إلا أنه لم يكن يسمح للبنات بالالتحاق بالمدارس ، ربما كان لطبيعة تلك العصور والمجتمعات ونوعية التعليم ومناهجه ، دخل فى ذلك ، على أن بنات الطبقات الاجتماعية الراقية ، كن يدرسن معظم مناهج البنين فى منازلهن وعلى أيدى مدرسين خصوصيين فى أغلب الأحيان .

الحياة المدرسية :

تشير المخلفات التاريخية إلى قسوة الحياة المدرسية فى المجتمع المصرى القديم

واتسامها بالعنف والشدة فى كثير من تنظيماتها ، فقد عرفت العقوبة البدنية لتأديب التلاميذ ، واستخدمت العصا لتقويمهم واستخدم الجلد كوسيلة لعقوبتهم ولكن إلى جانب ذلك ، وجد – فى بعض الأحيان — النصح والإرشاد ، وضرب المثل والقدوة الحسنه ، فى الخلق الطيب ، وطلب العلم والجد والاجتهاد .

إدارة التعليم وتمـــويله :

ربما لا نكون مغالين ، إذا قلنا أن إدارة التعليم فى مصر الفرعونية ، كانت إدارة مركزية ، حيث كانت الحكومة بما لديها من سلطات رسمية ودينية ، هى التى تشرف على التعليم وتعتبره من مسئولياتها ويتولى موظفوهـا إدارته والعمل به [١] .

كذلك كانت الدولة تتولى تمويل التعليم والإنفاق عليه مقابل مصروفات ضئيلة يدفعها أولياء أمور التلاميذ (بما يعنى فى وقتنا الحاضر بالرسوم المدرسية بأبسط صورها) .

وكانت هذه المجانية ، متبعه فى المدارس العامة وفى كليات المعابد ، بالإضافة إلى ذلك ، كانت تقدم للتلاميذ ، وجبات غذائية مجانية فى معظم مراحل التعليم .

(١) أنظر ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران جـ٢ ص ١٣٥

الفصل الخامس

إتجاهات التربية فى المجتمع الاغريقى

مقدمة

ترجع أهمية التربية اليونانية القديمة ، إلى أنها تمثل فكرة ناضجة عن الحياة ومستواها ، نشأ عنها نضج الفكرة التربوية ، فضلا عن أن الثقافة الأغريقية احتوت على أروع ماشهدة الإنسان فى العصور القديمة فى المجال التربوى ، ومثلت أفكارها ونظرياتها فى الفلسفة والتربية ، ينابيع قصدها العديد من الفلاسفة والمربين فى العالم ، سواء فى الشرق أو الغرب ، وبالتالى كانت لهم آثارهم فى مجالات متعددة [١] .

كذلك ، فان الجنس البشرى لا يكاد يجد شيئا فى ثقافته الدنيوية — فيما عدا آلاته — ليس مدينا به لليونانيين فالألفاظ الدالة على المدارس والتعليم ومافيه من علوم الطبيعة والحياة والتشريح والصحة والحساب والهندسة والتاريخ والفلسفة والدين ، والبلاغة والشعر وعلم الأخلاق والسياسة وكذلك المثالية وحب الإنسانية ، والديموقراطية والإستبداد والملاعب والمسالى والمآسى ... كل هذه ألفاظ لصور الحياة اليونانية ولثقافة اليونان التى نضجت بفضل نشاطهم المتنوع .

ومن هنا كانت دراستنا للتربية اليونانية على جانب كبير من الأهمية فى فهمنا لعملية التأصيل الثقافى الذى نحاول أن نربط بين ماضيه وحاضره ، فقد تأثرت الثقافة المصرية بالثقافة اليونانية (أو الأغريقية) فى العصور القديمة ، سواء بحكم التفوق الثقافى للأغريق أو بحكم أحتلالهم لمصر فترة طويلة ، مما يدعونا إلى دراسة ثقافتهم باعتبارها من مؤثرات ثقافتنا فى فترة من فترات التاريخ ، هذا

---

(١) د . سعد مرسى ، د . سعد اسماعيل — مرجع سابق ص ٩٢

من ناحية ومن ناحية أخرى فان للتربية اليونانية أهمية ، يمكن الأفادة منها ، وتبدو هذه الأهمية فى شدة عنايتها باظهار شخصية الفرد ومحاولة فتح المجال لأظهار ميوله وإستمداداته وإعطائه أكبر نصيب من الحرية ولذلك كانت حريته ذاتية على أن مظاهر هذه الحرية قد وضحت فى عدة مجالات ، منها السياسة ، إذ كانت المدن تحكم نفسها بنفسها ومحاولة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، ومنها المبادىء الأخلاقية التى تكونت عن طريق الفلسفة مع الاحتفاظ بالحرية الفردية ، فضلا عن أنها عملت على أن يبرز الفرد اليونانى شخصيته فى ميدان الفنون ـ هذا بالنسبة للتربية اليونانية بصفة عامة على أن هناك نوعين متمايزين من الثقافة والتربية الأغريقية ، يتخذها المؤرخون والمربون نموذجين متباينين للحياة والتربية اليونانية فى عصورها القديمة ويتمثلان فى اسبرطه وأثينا .

العصور اليونانية القديمة :

العصور التى يشملها حديثنا عن التربية اليونانية ، تنقسم إلى : ـ

(١) عصر الحاضرة الايجية والهومرية من سنة ٣٠٠٠ ق . م إلى سنة ٧٠٠ ق م

(٢) عصر نهضة بلاد اليونان من ٧٠٠ ق . م إلى سنة ٥٠٠ ق.م

(٣) عصر إزهار الديموقراطيه الأثينية ثم أضمحلالها من سنة ٥٠٠ ق.م إلى سنة ٣٣٨ ق . م

(٤) العصر الهيلينى من سنة ٣٣٨ ق . م إلى سنة ١٤٦ ق.م (حيث وقعت بلاد اليونان تحت سيطرة الرومان) .

(أ) التربيه فى أسبرطة

تقع أسبرطة فى قلب شبه جزيرة البلبيونيز ، وتقع فى منطقة وعرة نسبيا ، تحيط بها سهول ، وفى نهايه هذه السهول توجد جبال منيعة ، مكنت أسبرطة من أن تكون على جانب من المناعة ضد المغيرين ، هذا الموقع ، جعلها إيضاً ، بعيدة عن المؤثرات الخارجية التى تعرضت لها أثينا ولذلك فان الاتجاه الفكرى فى اسبرطة والحياة الفكرية فيها كانت محدودة — إذ أن الاختلاط بالمؤثرات الخارجية ، قد يحدث هزة ثقافية تؤدى إلى أنبعاث أفكار جديدة أما أسبرطة فكانت نظرتها محلية أقليمية وبخاصة فى مجالات الفكر والأدب .

والحقيقة أن الموقع الجغرافى لاسبرطة هو الذى أملى عليها نوع التربية التى يجب أن تتبعها فلاسبرطة طبيعة جغرافية خاصة كما تعرضت لعوامل تاريخية خاصة أيضاً ، فأثر كل هذا فى منهاجها التربوى ، حيث وجدت أسبرطة نفسها مهددة دائما بخطر مزدوج ، خطر قيام العناصر المغلوبة على أمرها ـ فى داخلها ـ بالثورة ، ثم خطر قيام الأعداء الخارجيين بشن الغارات عليها ، فرأت أن تسمين بمواطن قدير مدافع ومهاجم معا [1] .

ولذلك كان هدف التربية ، تحكم الدولة تحكما تاما فى مصائر الأفراد ، وكان طابعها جامدا ، يسعى إلى تشكيل الفرد ليكون جنديا محاربا لأن هذ من مقتضيات الحياة الاجتماعية والسياسية فى اسبرطة ، وبحكم ظروفها الجغرافية وبحكم التنافس بينها وبين أثينا ، وعلى كل ، كان نظام الحكم ديكتاتوريا ، تتولاه أسر ارستقراطية قليلة وقد قسمت قوانين اسبرطة مجتمعها إلى ثلاث طبقات : ـ

---

(١) بول منرو ـ المرجع فى تاريخ التربية ـ ترجمة صالح عبد العزيز جـ ١ ص ٧٤

(١) طبقة السادة، ويعيشون فى أسبرطة على منتجات الحقول التى يمتلكونها فى الريف ويزرعها العبيد .

(٢) طبقة الأحرار ، ويعيشون فى مدن صغيرة مجاورة لاسبرطة ويعملون بالتجارة أو الصناعة فى مدنهم .

(٣) طبقة الأرقاء أو العبيد أو « الهيلوت » ويكونون السواد الأعظم ويقومون بخدمة السادة .

وكانت سياسة أسبرطة تقوم على التفوق العسكرى ، وكان الجيش عماد السلطة فيها ويتولى قيادته السادة حتى يكونوا دائما فى مقدمة المجتمع الإسبرطى

الحياة التعليمية من واقع التربية الإسبرطية :

كان هناك نظام تعليمى يحقق هدف التربية فى أسبرطة والتى من أبرز اتجاهاتها أخضاع الفرد لنفوذ الدولة ، فقد كانت الدولة تشرف على تربية الأفراد منذ ولادتهم وهى التى تحدد أحقيتهم فى الحياة أو الموت بموجب إعتبارات قياسية خاصة يقوم بتنفيذها موظفو الحكومة وهم الذين يقررون استمرارهم فى الحياة أو التخلص منهم وهم صغار [١] .

على أن يسمح لمن يصلحون للحياة بالبقاء فى منازلهم تحت أشراف والديهم ورعايتهم ثم تدخلهم الحكومة فى معسكرات أو مؤسسات منظمة من سن السابعة ويبقون حتى سن الثامنة عشرة فى حياة يغلب عليها التقشف والقسوة وفى نظام صارم عنيف ، وكان من بين أنشطتهم فى هذه الفترة قيامهم بالتدريبات الرياضية والبدنية القاسية ، يتعرضون فيها للمخاطرة ولظروف الجو حتى تكتسب أجسامهم القوة اللازمة للتدريبات العسكرية فى المرحلة التالية ، وهى من سن (١٨) الثامنة عشرة إلى سن (٢٠) العشرين باعتبارها مرحلة متخصصة فى التدريبات العسكرية

(١) فتحية حسن سلمان — التربية عند اليونان — مرجع سابق ص ١٣ .

قبل أن يتدرجوا فى صفوف الجيش حتى سن الثلاثين ، وعليهم – خلال تلك المرحلة – أن يشتركوا فى كل الحروب الدفاعية والهجومية للبلاد ، بل أن حياة الأسبرطى كانت تدريبا مستمرا للحرب ، فكان الشبان ينامون فى المعسكرات ويعدون إعدادا عسكريا قاسيا ويظلون على صلة دائمة بها ، ويأكلون فى المطاعم العسكرية حتى سن الستين ، وكان لا يسمح للفرد الا بقدر قليل من المال والحاجات العينية مما يحتاجه لبعض الضروريات .

والمعروف أنه فى سن الثلاثين يصبح الشبان مواطنين كاملين ، ويجبرون على الزواج لصالح الدولة ولكنهم يستمرون فى معيشتهم فى المعسكرات كجيش على أهبة الاستعداد وذلك بالإضافة إلى ماتمليه عليهم المواطنة من واجبات .

كان هذا بالنسبة للبنين أما بالنسبة للبنات فكن يمشن فى منازلهن وقد عهدت تربيتهن الى الأمهات . ولكن تربيتهن بالرغم من ذلك كانت تشبه تربية البنين وكن يقسمن – مثل البنين – إلى فصول أو جماعات تشرف عليها الدولة إشرافا تاما ولكن يخرجن حافيات ،لا يستر أجسادهن إلا ملابس رقيقة ويجبرن على البقاء فى الهواء الطلق فترات طويلة ويتعرضن لألوان كثيرة من الصعاب كالتدريبات الرياضية والبدنية العنيفة والاشتراك فى مباريات القوة كالجرى والمصارعة والسباحة ومما يذكر أنه لم يكن فى حياة الأسبرطيين مايمنع من اختلاط الفتيات بالشباب أو الرجال ، فقد كان يسمح لهن بمشاهدة الشبان أثناء تمرينهم الألعاب والتدريبات بأنواعها بل وكن يتصارعن معهم أحيانا ، وأن كن يمارسن مختلف التمرينات فى ملاعب خاصة بالبنات .

والواقع أن هذا النظام القاسى كان له أثره على المرأة الاسبرطية فقد أنتج نساء وأمهات من نوع خاص فى عالم التربية ، فقد كان أثرها على الأولاد والرجال

ملحوظا وقد احتفظ الاسبرطيون باحترامهم للمرأة ، فهى فى نظرهم تماثل الرجل وتعاونه ولا تقل عنه فى المكانة وكما كان المواطن المحارب هو المثل الأعلى للرجال كانت أم المحارب هى المثل الأعلى للنساء ، وكانت الأم تودع ابنها الجندى وهو فى طريقه إلى الحرب ، بقولها : « . . . . عد بدرعك أو محمولا عليه » .

وبالرغم مما كان يتبع من أساليب القسوة فى تربية البنات ، كان الرقص من الأمور المحببة لهن ، فكانت البنات يمشين فى المراكب والاحتفالات ، ويرقصن ويغنين للشباب ، يمدحن الشجعان منهم ويذممن الجبناء ، وكانت أشهر الرقصات هى التى تساعد الشباب على الإستعداد للحرب [١].

ومما يعرف عن « لكرجوس » مشرع أسبرطه وحكيمها فى عصورها القديمة أنه كان يرى أن تتحرر الفتيات من كل صفات الأنوثة المكتسبة كالحياء والخجل ، ولذلك لم يكن هناك مايمنع من رقصهن عاريات أمام الرجال ، ولكن بعد الزواج ، كانت المرأة الأسبرطية ، تحتجب وتلزم بيتها معظم الوقت فى إنتظار عودة الزوج .

محتوى التعليم ومناهجه :

لما كانت أهداف التربية الأسبرطية تتركز فى إعداد المواطنين ليكونوا محاربين فى دولة عسكرية ، لذلك كان كل شىء فى العملية التربوية موجها لصب الشباب فى القالب الذى تراه الدولة ضروريا لاستمرار الوضع فيه على ماهو عليه ، وقد نجح الأسبرطيون فى ذلك نجاحا ملحوظا ، بعد أن إستخدموا الأساليب القاسية لتحقيق هدفهم .

أما بالنسبة للمناهج التعليمية ، فكانت التربية الأسبرطية تفتقر إلى العلوم العقلية والجمالية ، إذ كان طابعها الأساسى ، الناحيتين العملية والخلقية .

(١) د . وهيب سمعان . الثقافة والتربية فى العصور القديمة — دار المعارف — القاهرة ١٩٦١ ص ١٩٤

وبالنسبة للقراءة والكتابة :

لم يكن الأسبرطيون يهتمون بتعليم أبنائهم القراءة ، والكتابة ولكن من تعلمهما ، فقد تعلمهما بطريقته الخاصة ، وهؤلاء يمثلون نسبة قليلة ، ذلك أن التربية العسكرية ، قد طغت على الجوانب الأدبية فى التعليم •

وبالنسبة لعلوم الحساب والمنطق والنحو والبلاغة وغيرها :

فلم يوجه الأسبرطيون عنايتهم لدراستها ـ ومما يذكر أنه كان يسمح للنشىء بالاستماع إلى محادثات شيوخهم ومسنيهم وجد الهم، إما فى أوقات تناول الطعام وإما أثناء السير فى الطرقات ،وقد كان لذلك أثره فى تنمية مدارك الأطفال وتعويدهم سرعة البديهة واللباقة فى الحديث وتعويدهم على التمسك بمبادىء العدالة والشرف.

وبالنسبة للشعر والاشيد والموسيقى :

بالرغم من فقر الحياة العقلية الاسبرطيين الا أنهم كانوا يوجهون عنايتهم إلى الشعر، فكان أطفالهم وشبابهم يتعلمون أنشاد القوانين وأغانى الحرب، كما كانوا يرددون أشعار هوميروس والأناشيد الوطنية والدينية ، أما الوسيقى فكانوا يستخدمونها لتدريب المواطنين على الجندية وليس لتقدير ما فيها من جمال أوفن، بل لتقوية الروح المعنوية فى الحرب ، بالاضافة إلى أنها تذكرهم بماضى بلادهم وعظمة أبطالهم ، ومع أن القسوة والعنف كانا شعار التربية الأسبرطية ، ألا أنه كانت هناك تربية خلقية فى كثير من الأحيان والتى من أهم أساسياتها ، تقديس وطاعة الرؤساء والأمانة والصدق والتواضع والتضحية بالذات ، والولاء التام للدولة ـــ (كما تضمنته تعاليم ليكرجوس) •

والمعروف أن الأسبرطى كان سريع البديهة إلى حد كبير .

المعلمون :

كان معلمو التربية البدنية والعسكريه من موظفى الحكومة (الدولة) أما

بقية مسئوليات التربية ، فكانت تلقى على كاهل الذكور الكبار فى المجتمع وربما كان هذا إحياء للعادة البدائية القبلية ، ولو أنه من الأمور الضرورية فى أى مجتمع ديموقراطى فى الوقت الحاضر ، اهتمام الآباء والكبار بتربية الأطفال والشباب وتحمل مسئولية توجيههم والإشراف عليهم ، الا أن التربية عند الأسبرطيين ، ارتبطت بالهدف العسكرى الذى كانت تهدف اليه

نقد التربية الأسبرطية :

نستطيع فى ضوء ماسبق ، أن نوضح طبيعةهذه التربية ، على النحوالتالى .

(أ) من مزاياها :

(١) مراعاة حاجة الدولة وما يتكتنفها من ظروف

(٢) صبغ الأمة بصبغة قومية خالصة .

(٣) أبرزت للعالم أمثلة رائعة فى البسالة واحتمال الآلام .

(ب) من مساوئها :

١ ـ شدة أهتمامها بالجماعة والحكومة مع أهمال الفرد .

٢ ـ تشجيع حب الذات ولذلك أعلت من شأن أسبرطه دون أعلاء شأن الأغريق .

٣ ـ أهمال التربية العقلية والجمالية والعواطف الرقيقة .

٤ ـ الخشونة والقسوة ، أفقدتا الاسبرطى حب العمل .

٥ ـ أبرزت رجالا قساة لايعرفون الانسانية .

٦ ـ الوازع الخلقى فيها غير عميق .

٧ ـ وأد الأطفال الضعاف والمشوهين .

٨ ـ فصم عرى الأسرة .

ويمكن القول أنه إذا كانت التربية الخلقية فى أسبرطة ، ترمى إلى تحقيق بعض الفضائل ، كانت نتائجها ، ذات آثار قاسية ، بل ، ووحشية أحيانا .

(ب) التربية فى أثينـــا

كانت أثينا بحكم موقعها الجغرافى وبحكم قربها من ميناء بيرايوس ، دولة (أو مدينه) بحرية الاتجاه أى أن توسعها ومجدها ، كان يقوم على التوسع البحرى ولذلك اشتهرت أثينا بتجارتها وبأسطولها البحرى ، كما اشتهرت بنفوذها السياسى على عدد من الجزر القريبة منها ، وعلى الساحل الشمالى الشرقى فى آسيا الصغرى وقد أدى هذا أيضا إلى أن تقع فى صراع طويل مع الفرس ، مما يساعدها على أن يبنى مجدها ونفوذها السياسى والادبى ، على مقاومتها للفرس الذين حاولوا الاغارة على بلاد اليونان .

أما مجتمع أثينا فكان مجتمعا طبيقيا فى تكوينه ، حيث يتكون ، من ثلاث طبقات فى صورة هرم قاعدته طبقة الأرقاء أو العبيد ، وطبقة الأجانب المقيمين فى المدينة الذين لهم حق المشاركة فى حياتها السياسية ، وكان حق المواطنة ، ميزة يتوارثها الابناء عن الآباء . (١)

طبيعة التربية فى أثينا :

وربما لم تكن بين التربية الأثينية والتربية الاسبرطية عوامل مشتركة الا فى القليل اليسير ، فقد كانت نظم التربية فى أثينا تختلف عنها فى اسبرطه ، ذلك لان التربيه فى إحدى الدولتين كانت تخضع لعوامل تختلف عن العوامل التى خضعت لها الأخرى .

---

(1) Mc. Cormich, P J. History of Education p.95.

وكانت الدولة فى أثينا تتطلب من الفرد أن يسير فى حياته بالحكمة ، بحدوه العقل فى تأدية الواجبات الملقاة على عاتقه ، وهو حر فى الكيفية التى يقضى بها وقت فراغه ، كما كانت تعمل أثينا على حفظ كيان الاسرة — على العكس من اسبرطه — باعتبارها وسيلة من وسائل نمو شخصية الطفل وتشكيلها ، وعليها التى عبء مسئولية التربية ، فلم تتحكم الحكومة الأثينية — كما تحكمت اسبرطه فى تنشئة الاطفال ، بل تركت ذلك للوالدين .

أما التعليم ، فلم تحاول الدولة فى أثينا أن تخضع شئونه لرقابتها تماما كما فعلت اسبرطه ، وانما اكتفت بالاشراف عليه ، حتى إذا كانت أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، أصدر حكيمها ومشرعها « صولون » قوانينه المنظمة للتعليم ، أما قبل ذلك ، فكان هناك عدد من المعلمين ، يتردد عليهم الناشئة ويتعلمون منهم مقابل أجر معلوم .

وقد أدى الشعور بالفردية الذى كان يميز الحياة فى أثينا ، إلى ترك شئون التعليم فيها فى أيدى الأباء ، أكثر مما كان عليه الحال فى اسبرطه ، ولا يعنى هذا أن الدولة كانت لاتتدخل مطلقا فى أمور التعليم ، اذ أنها كانت تقوم ببعض الوظائف والخدمات .

أما هدف التربية الأثينية ، فكان يتركز فى ايجاد التوزان فى شخصية المواطن الاثنى وانماء روح الحرية فيه وذلك على نقيض من اسبرطه ، أو بمعنى آخر هدفت أثينا إلى ايجاد تناسق بين روح مرهفة تحس بالجمال وتقدر الأدب ، وجسم رشيق قوى ، أى الإنسان المتكامل جسميا وعقليا وخلقيا ، أو تربية جسمية فكرية جمالية كذلك كانت التربية الأثينية تعمل على تشجيع الاختلاف فى الرأى والمناقشة التى كان يتمرن عليها الأثينيون فى مجالاتهم العامة .

وأما النظام التعليمى ، فكان يسير على النحو التالى .

١ — بقاء الأطفال مع أسرهم (فى منازلهم) حتى سن السابعة ، ويترك أمر تربيتهم إلى مربيات من الاماهات حيث يحظون بعناية فائقة منهم وباشراف الوالدين عليهم و كانوا يتبعون الطريقة الاسبرطية نفسها للكشف على الاطفال، فكان الوالد هو الذى يقوم بعملية الكشف بدلا من موظفى الدولة و كان الآباء يتساهلون فى ذلك كثيرا .

٢ — المدرسة الابتدائية ، من سن السابعة و كانت سن الدخول ومدة الدراسة والمواد التى تدرس ، تعتمد إلى درجة كبيرة على مركز العائلة ، ولم يكن التعليم فى هذه المرحلة تحت سيطرة الحكومة ،وانما كان من عمل الأفراد والآباء تحت سيطرة قانون يقضى على الوالد بأن يعلم ابنه فى المدرسة ، ومن يخالف ذلك يعد مذنبا ، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يطلب من أبنه المساعده فى كبره ، على أن مدة هذه الدراسة كانت تتراوح بين ثمان وتسع سنوات غالبا و كانت مطالب الدولة تقضى باعداد النشىء رياضيا وموسيقيا ولذلك عملوا على إنشاء نوعين من المدارس ، كان على الطفل الأثينى أن يحضرها ، فيقسم اليوم المدرسى الذى كان يبدأ قبل طلوع الشمس وينتهى بعد غروبها (طبقا لقوانين المشروع صولون) بين حلبة المصارعة والتمرينات الرياضية والباليسترا و وقاعة ا وسيقى والديدسكاليون.

٣ — فى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، حيث تنتهى دراسة الأدب والموسيقى والتمرينات الرياضية البسيطة لتبدأ مرحلة جديدة لمدة عامين تقريباً حيث ينتقل الشبان إلى الجانزيوم « فيتلقون التدريبات الرياضية القاسية على يد موظفى الحكومة وتحت إشراف ما يسمون بالمرشدين الأخلاقيين ، ولم يكن كل الشبان يلتحقون بهذا التعليم ، إذ كان كثيرون منهم يتجهون للتكسب ببعض الصناعات .

٤ — فى سن الثامنة عشرة وبعد أن يثبت أن الشاب مشبع بالنواحى الخلقية والجسمية اللازمة للمواطن المستنير ، يدرج إسمه ضمن المواطنين الأحرار وعندئذ يقسم يمين الإخلاص والولاء للدولة وللآلهة ولتقاليد الشعب الخلقية .

٥ - من سن الثامنة عشرة إلى سن العشرين ، يتدرب الشبان على فنون الحرب ، والجندية وحياة المعسكرات وذلك داخل تشكيلات ذات نظام عسكرى صارم .

محتوى التعليم ومناهجه :

كانت أهداف التربية ومناهج التعليم فيها ، أهدافاً ومناهج عريضة ، ساعدت على فهم الأسلوب الديموقراطى فى المجتمع ، على عكس أهداف التربية الاسبرطية ومناهجها تلك الأهداف والمناهج الضيقة والموجهة .

فقد اهتمت أثينا بتزويد الشباب بأسس عقلية وجمالية وبدنية وعسكرية لإعدادهم للمواطنة ، ولم تكن تهتم بواحد من هذه الأسس أكثر من بقيتها ، بل كان الاهتمام بها جميعها ليتم التوازن الكامل الصحيح لشخصية المواطن الأثينى ، وهذا هدف يستحق التقدير ولكنه مع ذلك ، لم يكن هدفاً كاملا ، إذ لم يعط مجالا للتربية المهنية أو الحرفية وهى الأمر الأساسى فى أية ثقافة ديموقراطية ، على أن الأثينيين لم يستمروا فى عنايتهم بتنمية الجوانب المختلفة للشخصية بل قل اهتمامهم بالنمو البدنى وبالنمو الجمالى للفرد وبقيت عنايتهم بالنمو العقلى ، وقد كان هذا التغير فى الاتجاه تغيراً بارزاً ، كان من نتيجته أن أورثت أثينا كل أوربا . الاهتمام بتنمية النواحى العقليـــة أكثر من الاهتمام بالنواحى الأخرى .

أما المناهج التعليمية فقد شملت :

١ — الرياضة البدنية ، وكان الطفل فى المرحلة الدراسية ما بين سن السابعة وسن السادسة عشرة يقضى أكثر من نصف حياته المدرسية فى الألعاب

الرياضية ، على أن فترة الإعداد للجندية ، كانت تشمل سنتين ، يقضيهما الشاب في اللعب وسنتين أخريين يقضيهما في حراسة الحدود أي في التربية البدنية .

٢ — الموسيقى ، والأشعار الهوميرية ، والشعر الغنائي والأغاني الدينية .

٣ — القراءة والكتابة ، أما القراءة فقد كانت لها قيمة تربوية عظيمة وذلك لما تتطلبه من تدريب على التمييز بالإضافة إلى ما كانت تتطلبه من جهد ، إذ أن الكلمات كانت تكتب متصلة دون انقطاع ، فلا تفصل كلمة عن الأخرى ، ولذلك كان من الضروري أن يعمل الطفل (القارىء) على معرفة الفكرة حتى يفهم ما يقرأه ، وكانت الطريقة التركيبية (الهجائية) هي التي تتبع في تعليم القراءة والكتابة إذ يتعلم التلاميذ حروف الهجاء أولا ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات ، ثم يبدأ التلاميذ الكتابة .

٤ — بعض المواد الدراسية ، مثل : الحساب والرسم وبعض المعلومات الجغرافية المستنتجة من دراسة الألياذة لهوميروس .

كذلك وجد الرقص وكان عبارة عن حركات إيقاعية لجميع أعضاء الجسم وكانت تغلب عليه الصبغة الدينية أو الحربية .

المعلمون :

كان هناك ثلاثة أنواع من المعلمين :

— معلم اللغة ، معلم الموسيقى ، ومعلم الألعاب الرياضية .

— وكان معلم اللغة ، يركز اهتمامه حول ما يمكن أن نسميه بالنمو العقلي للتلميذ فيتعلم الأولاد القراءة والكتابة والعد (الحساب) .

— أما معلم الموسيقى ، فكانت مهمته تنمية حاسة الإيقاع وتذوق الأنغام لدى التلاميذ ونلاحظ أنه فى العصور الأولى للتربية الأثينية ، كان تدريس القراءة والكتابة يسير جنباً إلى جنب مع تدريس الموسيقى ، بمعنى قيام معلم واحد بتدريسها كلها ، أو يقوم معلمان بتدريسها فى مدرسة واحدة ، وكان يطلق على هذه المدرسة وقتئذ « مدرسة الموسيقى » .

ولكن تدريس القراءة والكتابة ـ فيما بعد ـ انفصل عن تدريس الموسيقى وذلك عندما بدأ يقل الإهتمام بالموسيقى والنواحى الجمالية ، عما كان عليه من قبل .

— وأما تنمية القدرة البدنية ، فكان يعهد بها إلى معلم الألعاب الرياضية .

والجدير بالذكر أن فئة المعلمين اليونان ، كانت ـ بصفة عامة ـ تنشأ غالباً من بين الأدباء ، وليس من بين رجال الدين ، كما كان يحدث فى كثير من الشعوب (ومنها مصر فى العصور الفرعونية) ، وعلى سبيل المثال ، كان معلم الموسيقى يجمع بين العزف على الآلة الموسيقية وبين إنشاد الشعر على النغمات الموسيقية ، وبين تعليم ذلك .

— هناك نوع آخر من المعلمين ، وهم مدربو الفنون الحربية المختلفة ، وهؤلاء ـ موظفون رسميون من قبل الدولة .

نقد التربية الأثينية :

مما سبق وفى ضوء دراستنا للتربية الأثينية ، يتضح لنا أنها كانت تهدف إلى توازن النفس البشرية فى مجتمعها ، ساعية إلى تهيئة الحرية لها ، وللمناقشة الحرة دون رقابة ذات سطوة من جانب الحكومة ، إلى جانب أنها كانت عرضة لمؤثرات خارجية ـ ومن ثم أنتجت أثينا من العباقرة والفلاسفة ما أعجز اسبرطة ، وأعجز العالم عن مجاراتهم حينذاك .

وبالرغم من ذلك ، نستطيع أن نقول أن التربية الأثينية ، كانت ديموقراطية وأرستقراطية فى نفس الوقت ، فبينما هى تضم جميع أفراد المجتمع بطبقاته يعيشون معاً فى دولة واحدة ، هى من ناحية أخرى تكفل الامتيازات لطبقة — أو قلة — من هذا المجتمع ، من ذلك — مثلا — أن التربية العقلية والجمالية ، لم يكن يتمتع بها السواد الأعظم من الشعب ، وهم العبيد ، وكانت قاصرة على من يسمون بالمواطنين الأحرار ، فالمتعة الفنية لهؤلاء الأحرار والنبلاء ، والكدح من أجل الكسب المادى وضروريات الحياة للعبيد ، عن طريق المهن والحرف .

من أعلام الفكر التربوى عند الإغريق

(١) سقراط

ولد بأثينا وبها عاش (٤٧٠ ق . م – ٣٩٩ ق . م) وهو أحد السوفسطائيين الجدليين الذى لمع إسمه فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وربما يتعذر علينا ، أن نتناول بشىء من التفصيل حياة سقراط الأولى أو نشأته العقلية والخلقية ، ذلك أن التاريخ ضنين بكثير من المعلومات القيمة عنه .

ومن المعروف ، أن سقراط ، عكف على دراسة الفلسفة بعد فترة من حياته وشبابه وأخذ يتردد على مجالس العامة ، ومجالات الألعاب الرياضية ، واستمع إلى خطباء الشعب وساسته ورجال القضاء ، بل كان يتردد على مجالس السوفسطائيين من حين لآخر ، يستمع إليهم ويحاورهم ، وأنه استطاع بما أوتى من ذكاء وحكمة ، أن يكون من قادة الفكر ورجال السياسة فى عصر من العصور التى تبعته .

كذلك هناك صعوبات تواجهنا عند دراستنا لفلسفة سقراط ، ذلك لأنه لم يترك أثراً مكتوباً ، نستمد منه دقائق فلسفته ، فقد شغله الحوار عن كل شىء ، واستغرق حديثه مع الناس ومناقشته لآرائهم كل وقته ، فلم يترك سقراط مسألة إلا وحاور فيها ، سواء فى السياسة أو الأخلاق أو التربية .

والجدير بالذكر أن سقراط قد نجح فى تغيير وجه الفلسفة ، فقد كانت قديماً تبحث فى أصل العالم المادى ونشأة الكائنات عن هذا الأصل ، ولكنه حول مجرى البحث إلى الإنسان وما اشتمل عليه من القوى الظاهرة والباطنة التى تتصرف فى شئون الحياة وتسلك به المسالك المختلفة .

التربية فى نظر سقراط :

كان سقراط يرى أن الجوهر الروحى للانسان هو الموضوع الرئيسى للتربية وكان يركز على أن عقل الإنسان ، هو الذى يجب أن يبحث فى الأشياء باستقلال وحرية كاملة فى طبيعتها .

وقد اتبع سقراط منهجاً فلسفياً لفهم الإنسان ، بدأه بأن يدرك الإنسان حقيقة نفسه أولا ، ثم تأتى المحاورة والنقاش ، مما يساعد الإنسان إلى الوصول إلى تعريف الشىء تعريفاً صحيحاً ، وربما كان هو صاحب العبارة المشهورة « أعرف نفسك » كذلك كان سقراط يستعين بالاستقراء ، ويتدرج من الجزئيات إلى الأحكام العامة أو العموميات .

كما كان من رأيه أن العمل الأخلاقى ، مؤسس على المعرفة ، بل يجب أن يصدر عنها فالفضيلة والعلم ، يعتبران شيئاً واحداً ، إذ يستحيل على الإنسان أن يعرف ــ الخير معرفة صحيحة ولا يفعله ، ويستحيل أن يفعل الخير ولا يعرفه .

ويكفى فى نظر سقراط أن يعلم الإنسان ، ما الفضيلة ، حتى تكون منجاة له من فعل الرذيلة ، فكل عمل شر ، إنما يصدر عن الجهل بالفضيلة ، لأن الإنسان لا يرضيه أن يفعل الشر إذا هو عرف الخير .

وبالتالى ، فإن المعرفة هى الفضيلة ، وفى هذا ربط بين المعرفة العقلية وبين الفضائل الخلقية ، أى أن الإنسان الذى يعرف الصواب لا يرتكب الخطأ ، فإن المعرفة الحقة ، هى التى تؤدى حتما إلى السلوك الطيب .

ويتضح من رأى سقراط أن مفهوم التربية فى نظره ، مفهوم خلقى تهذيبى ،

أو أنه مفهوم معرفى عقلى ، وهذا يخالف فى طبيعته ، المفهوم الشامل للتربية بالنسبة للانسان . ولعل أكثر ما ساهم به سقراط أهمية من الناحية التربوية ، هو طريقته فى التدريس وفى البحث عن المعرفة ، ومفهومه عن دور المعرفة فى السلوك ، فالطريقة السقراطية كما عرفت منذ أيامه ، هى طريقة المناقشة والمجادلة والسؤال والجواب أو منهج توليد الأفكار .

يتصل بحديثنا عن سقراط ، حديثنا عن جماعة الإغريق المعاصرين له ، هؤلاء هم :

السوفسطائيون :

هم جماعة الجدليين أو الحواريين اليونان ، أو المعلمين غير النظاميين ، الذين انتشروا فى القرن الخامس قبل الميلاد . وكانوا ممن اهتموا بشئون التربية فى بلاد الإغريق ، خاصة بعد إنتهاء الحرب التى خاضتها البلاد آنذاك ، ثم ما أعقبها من تغييرات اجتماعية ، وما تبعها من نظم تعليمية واتجاهات تربوية رضى عنها البعض ، ولم يرضاها آخرون من مواطنى الإغريق حينئذ .

موقف السوفسطائيين من التربية :

كانت لهم طريقتهم الخاصة فى تعليم الشباب المتحمس للثورة على القديم ، ومهاجمة النظم التقليدية البالية فى نظرهم ، الأمر الذى أغضب المحافظين وكبار السن ، وحبب إليهم الشباب لما يرونه فى آرائهم من حرية وانطلاق وديموقراطية على خلاف أرستقراطية المحافظين ، مما جذب الشباب إليهم ، بينما كان المحافظون، يرون أن السوفسطائيين جماعة من المنافقين ، يتذبذبون فى أقوالهم ، وأن ما يدعون إليه فضيلة عن طريق التفكير ؛ وأن عقل الإنسان ، يستطيع الاهتداء إليها ، كذب وباطل ، فمعيار الفضيلة فى نظر المحافظين ، يحدده أشراف الناس وعظماؤهم

بما يسلكونه ، والفضيلة فى نظارهم تورث ، وتعلم عن طريق الحياة مع الأشراف، والتتلمذ عليهم ، وقد كان من بين العلوم التى كان السوفسطائيين يعلمونها للشباب : البيان والمنطق (لأهميتهما فى المناقشة والجدل) ثم النحو والتاريخ والسياسة والأخلاق وفقه الدين والحساب والهندسة والفلك وكذلك التاريخ الطبيعى والرسم والموسيقى والتكتيك الحربى .

سقراط والسوفسطائيون :

اتفق سقراط مع السفوسطائيين فى الأسس الذى تقوم عليه تعاليمهم ، وهو أن الإنسان ، قياس كل شىء ، ولكنه ، ذهب بعد هذا ، إلى أن أول واجب على الإنسان ، أن يعرف نفسه ، مادام هو مقياس كل شىء ، وجعل قاعدة فلسفته ، الحكمة التانية « اعرف نفسك قبل كل شىء » .

وبعبارة أخرى ، أن سقراط حول نظره إلى الحقائق الطبيعية والمسائل الإنسانية معتقداً أنها أنفع أنواع الفلسفة ، وقصر مباحثه على الموضوعات الإلهية، والخلقية والسياسية والاجتماعية ، فأخذ يحاور الناس فى الموضوعات التى لها مساس بحياة الإنسان وسعادته . ولذلك قال عنه تلميذه « أفلاطون » :

« أن سقراط قد هبط بالفلسفة من السماء إلى الأرض »

أى أنه بدل أن يبحث فى تحليل مظاهر الطبيعة ، أخذ يبحث فى الإنسان وفى الأفعال الإنسانية .

أوجه الخلاف بين سقراط والسوفسطائيين :

يمكن ايجازها فيما يلى :

أولا : أن سقراط كان يراعى التقاليد الأثينية ، فكان لا يتقاضى أجراً

على علمه ، بل كان يتجول فى أنحاء البلاد اليونانية ، معلماً للفلسفة بالمجان ، ولم يقبل أى عطاء أو هبة من تلاميذه ، على الرغم من حاجته الماسة إلى ذلك، بينما كان السوفسطائيون جميعاً ، يتخذون الفلسفة والدروس ، وسيلة للكسب والأجور الضخمة .

ثانياً : أن سقراط لم يكن يلتمس مجدا ولا كسبا ولم يكن يحفل بالمجامع العامة بينما كان السوفسطائيون ينشئون الفصول ، ويقلون الرسائل فى المحافل والمشاهد العامة ليفتن بها الجمهور ويعجب بها الناس، كما كانوا يتعرضون للفلاسفة وزعماء العصر يحاورونهم ويجادلونهم وكثيراً ما كانوا يؤثرون فى الناس بآرائهم التى يختلط فيها الحق بالباطل أحيانا ، بينما كان سقراط يمقت الادعاء الكاذب، الذى بغض السوفسطائيين (وهم من خارج أثينا ومناطق اليونان النائية) الأثينيين .

ثالثا : أن سقراط يخالف السوفسطائيين «فيما ذهبوا اليه من أفكار الحقائق العامة ، وادعائهم أن الإنسان هو مقياس كل شىء ، فالقوانين والعرف من الأمور الصناعية ، وأن الإنسان هو الذى اصطنعها ، إذ لم يكن الإنسان فى نظرهم ، مقياسا للأخلاق وحدها ، بل» مقياسا لكل الحقائق ولهذا اتجه سقراط إلى هدم هذا الرأى ، ليثبت الحقائق التى أنكرها السوفسطائيون ، ثم يفرغ من ذلك ، ما كان يقصد اليه ، وهو ، أن للأخلاق حقائق ثابتة « تقاس بها أعمال الناس .

رابعا : بينما ذهب السوفسطائيون إلى أن الحواس ، هى وحدها السبيل إلى وصول المعلومات إلى الذهن ، وأن الادراك الحسى ، هو أساس المعلومات جميعها رأى سقراط أن يبنى تحصيل المعرفة على العقل ، لا على الحواس لأن هذه

الحواس ومدر كاتها ، تختلف باختلاف الأشخاص ، وأن العقل ليس كذلك فهو عام ، ومشترك عند جميع الناس ، وعن طريقه ، يعرف الإنسان العلم أو الفضيلة وهو خير وسيلة إلى المعرفة .

خامساً : أن سقراط ، قد سفه من آراء السوفسطائيين الذين كانوا يرون أن خير وسيلة إلى العلم ، هي القاء المحاضرات والدروس العامة على التلاميذ وقال أنها لاتجدى الا قليلا في تهذيب المدارك وتثقيف العقول ، ثم أختار الأسلوب التحاورى أو الطريقة الحوارية . وهي في نظره كفيلة جداً بأن تربى في النشء قوة التفكير ، وتستميله إلى البحث والتنقيب ، ذلك لأنه كان يرمى دائما إلى تكوين عقول قادرة على استنباط الحقائق وإستخراج النتائج .

تعقيب :

لئن كان السوفسطائيون ممن تصدوا لمشكلات النظرية التربوية والتي نتجت عن القلق الإجتماعي وبعض الظروف في مجتمعهم ، فكانوا من أشد المهاجمين للنظم التقليدية كما كانوا يهتمون باحتياجات الذين يذهبون اليهم طلبا للعلم ، لئن كانوا هم كذلك ، فإن سقراط ، كان المربى الوحيد ، الذى لمع أسمه في القرن الخامس قبل الميلاد ، وظل يتمتع بالشهرة والأهمية . مثله في ذلك ، مثل أفلاطون و « أرسطو » بل أن هناك من الناس من ينظر إلى سقراط كواحد من المعلمين العظام الذين جاد الزمن بهم ، ويرفضون على هذا الأساس تصنيفه كسوفسطائي لما لحق بالسوفسطائيين من وصمة أو وصمات .

ولكننا إذا نظرنا إلى السوفسطائيين ، على أنهم المعلمون غير النظاميين الذين انتشروا في القرن الخامس قبل الميلاد ، وأنهم ، لم يكونوا مجرد امعات ، يدعون العلم ويزعمون معرفتهم به ، وتمرسهم فيه ، فاننا نستطيع أن نقرر أن سقراط « كان سوفسطائيا » بل ، أنه أعظم السوفسطائيين .

(٢) أفلاطون

(٤٢٧ ق . م — ٣٤٧ . م)

من الشخصيات الفذة البارزة فى العصور اليونانية ، التى يمكن تناولها من جوانب متعددة ، ولكننا سنتناول بعض هذه الجوانب وبخاصة من وجهة النظر التربوية ، على أنه ينبغى ، أن نضع فى أعتبارنا أن من أهم العوامل التى أثرت فى فكر أفلاطون :

(أ) الحروب البلوبونيزية ، وأنتصار أسبرطة ، وهزيمة الديموقراطية الأثينية .

(ب) نشأة أفلاطون الأرستقراطية ، بينما كانت نزعة سقراط ديموقراطية.

(ج) كراهية أفلاطون لرجال الدين ، لأنهم حكموا باعدام سقراط .

وقد تضمنت معظم آراء أفلاطون عن التربية ماتناوله فى كتابية «الجمهورية» و « القوانين » كما تظهر أيضاً فى عدد من محاوراته ، وأن كانت تحتل فيها جزءاً ثانويا .

والحقيقة أن ما كتبه أفلاطون عن التربية ، يعد من أهم ما كتب وفكر فيه ، فقد كان يولى هذا الموضوع عناية خاصة ، وفى أطار علم النفس والفلسفة والإجتماع ، كانت نظرته إلى الفرد والمجتمع ، والمواطن بالتالى فى نظره هو الذى يخضع سلوكه لفضائل أربع هى : الحكمة ، وكبح جماح الشهوات ، والشجاعة ، والعدل .

فى الجمهورية :

قدم أفلاطون صورة دولة مثالية وصورة تربية مثالية عقلية . وهى عبارة

عن محاولة لأفلاطون لتوضيح فكرة العدالة ، ولذلك كانت أول قضية فى الجمهورية هى « ماهى العدالة » .

لذلك كان أفلاطون يرى أن تعريف العدالة لابد أن يتصل بتحديد العدالة فى الدولة ـ فما هى الدولة العادلة ، فى نظر أفلاطون ؟

إن الدولة العادلة فى نظره هى تلك التى يحافظ أفرادها على نوع العلاقات الموجودة بينهم ، ولا يحدثون فيها أى تغيير ، أى أنها « دولة استاتيكية » يعرف فيها كل فرد أو كل طائفة ، مالها وما عليها ، ولا يكون هناك اختلاط فى أدوار الأفراد فى الحياة ـ فالزارع مزارع والصانع صانع وهكذا . . . ومن ثم قسم أفلاطون أفراد الدولة العادلة إلى أقسام ثلاثة : وهى نوعيات النفس البشرية من وجهة نظر أفلاطون .

١ ـ طبقة الزراع والعمال أو طبقة المنتجين :

ويمثلون القوة الشهوانية وهؤلاء تفكيرهم قليل وقلوبهم ضعيفة وتظاهر شهواتهم مسيطرة ، ولا يستطيعون كبح جماحها .

٢ ـ طبقة المحاربين ، ويمثلون القوة الغضبية ، وهؤلاء تفكيرهم متوسط وقدرتهم على العمل كثيرة ، ويستطيعون بالقوة الغضبية أو الإرادة أن يسيطروا

٣ ـ طبقة الحكام ، ويمثلون قوة العقل والتفكير ، ولديهم المعرفة والحكمة ، وهؤلاء يمثلهم الفيلسوف أو الحاكم ، وهم قادرون على التفكير أحسن من غيرهم وبالتالى فهم يفضلون غيرهم .

وهنا ، يبين أفلاطون أن هذه الطبقات الثلاث قائمة على وجود فروق جوهرية بين أفرادها . فمعدن طبقة الزراع والعمال من النحاس والحديد .

ويرى أفلاطون وجوب عدم اختلاط هذه المعادن ولا بد أن تحافظ كل طبقة على نقاوتها حتى تكون دولة مستقرة غير مضطربة .

ومن هنا نرى أن الدولة العادلة عند أفلاطون هى دولة غير ديموقراطية بالمعنى الحديث لأنه لا يوجد اتصال بين أفراد هذه الطبقات ، ولا حركة صعود أو هبوط .

هذا هو تصور أفلاطون للدولة العادلة ويبدو أنه كان رد فعل للأحوال الاجتماعية فى الديموقراطية الأثينية التى تزعزعت فى أيامه ، وهذا يبين أثر النواحى الاجتماعية فى تطور الفكر التربوى، فقد وصل الحكم — حينئذ — فئات من الحرفيين ولعل هذه الدولة العادلة ، تمس نظرية المعرفة ، فقد زعم أفلاطون أن الحقيقة خالدة أزلية فى صور فكرية ، وأن عالم المحسوسات إن هو الا أشباح أو خيالات من عالم الحقيقة ، فالدولة التى يرسمها هى التى تقابل الصورة الأزلية ، وأن أى تغيير فيها يكون من قبيل النزول بها إلى عالم المحسوسات .

ويرى أفلاطون أنه كلما عمر العالم ، كلما بعد عن الصور الأزلية ، فالأوضاع فى أثينا هى الأوضاع الأزلية وكل تغيير فيها هو تشويه لتلك الصورة، وأن دولته هى المقاربة للدول الأزلية الثابتة ، كل فرد يعرف مكانته ، وهذه هى العدالة الإجتماعية .

والوقع أن أفلاطون قد قدم فى جمهوريته صورة دولة مثالية وصورة تربية عقلية مثالية ، ولضمان بقاء هذه الجمهورية على هذه الصورة ، وضع أفلاطون نظاما تعليميا ونظاما اقتصاديا ونظاما بيولوجيا ، يمكن للجمهورية من أن تبقى كما هى .

وفيما يلى عرض موجز لـكل من هذه النظم :

(١) النظام التعليمى : هدفه هو أن يكون الفرد خاضعا خضوعا تاما للدولة تشكله وتتحكم فيه بكل المؤثرات الممكنة حتى يصاغ الفرد فى القالب الذى تريده الدولة ولذلك اقترح فى المنهج التعليمى نفس العناصر التى كان يتعلم بها الإغريق فى ذلك الوقت (الطبولة ، الشعر ، الموسيقى ، التربية البدنية) والتغيير الذى أحدثه كان فى طبيعة التعليم وفى اختيار نوع الألعاب الصالحة لتربية الفرد ، فأشار مثلا بوجوب تجنب الموسيقى التى لاتؤدى إلى السمو الروحى والعاطفى ، ويجب أن يلغى كثير من قصص هوميروس ، لأنها تتعارض مع ما سماه الفضيلة ، ففى بعض هذه القصص يبدو الأشقياء كأنهم سعداء ، كما تكون نتائج الشر خيرا ، ونتائج الخير شرا . كما حدد الأغانى التى تغنيها الأمهات لأبنائهن .

وفى ناحية التربية البدنية ، جرى أفلاطون ـ نظريا ـ على العرف الأثينى وهو عدم المبالغة فى التربية البدنية ، ولكنه كان فى الواقع ، أميل إلى النظام الاسبرطى الذى يؤكد قيمة التربية البدنية ، وذهب إلى حد وجوب مشاهدة الأطفال للحروب كذلك ، وضع ما يمكن أن تسميه « رجيما » فأشار إلى أن تدريب الجسم يحتاج إلى نظام معين فى الأكل ، فمثلا يحسن عدم أكل السمك وأن الأفضل أكل اللحوم مشوية وهكذا .

على أن التربية فى نظر أفلاطون تكون قاصرة على طبقة الحكام والمحاربين فقط . ولم يشر فى جمهوريته إلى أى نوع من التربية لطبقة المنتجين (طبقة الحرفيين)

وكان رأيه تنظيم مراحل التعليم على النحو التالى : (١)

أ ـ مرحلة الحضانة : ويبقى الاطفال فى حضانات الدولة وتنقسم إلى فترتين

(1) See. Plats. Republic, III. p. p15.

ـ فترة تقع ما بين ولادة الطفل وسن الثالثة وتوجه العناية بتغذية الطفل .

ـ فترة من الثالثة إلى السادسة ويرى أنها من أهم فترات حياة الطفل .

ب ـ المرحلة الأولى : من سن السادسة إلى الثالثة عشرة وفيها ينفصل البنين عن البنات ويعيش كل منهما فى الاماكن الداخلية التى تعدها الدولة .

جـ ـ المرحلة المتوسطة : وقد قسمها أفلاطون إلى ثلاث فترات .

ـ فترة من الثالثة عشرة إلى السادسة عشرة وكانت دراسة الموسيقى من أهم برامجها .

فترة من السادسة عشرة إلى الثامنة عشرة وهى للألعاب الرياضية والتدريب العسكرى .

ـ فترة من الثامنة عشرة إلى العشرين وهى اعداد للحياة العسكرية والاقامة فى المعسكرات .

د ـ المرحلة العالية : فى سن العشرين ، يختار أكثر الشباب صلاحية لبرنامج لمدة عشر سنوات يدرسون فيها الدراسات العلمية كالحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

هـ ـ الدراسات العليا . فى سن الثلاثين حتى الخامسة والثلاثين يدرس المختارون من الشباب علم الجدل والفلسفة والأخلاق وعلم النفس ونظم الحكم والقوانين .

ـ من سن الخامسة والثلاثين حتى الخمسين ، يخدمون فى مرافق الدولة المختلفة ويوضعون بذلك موضع الاختبار الدقيق .

و ـ دراسة الفلسفة . فى سن الخمسين يعفى هؤلاء الموظفون الكبار من أعمالهم الرسمية ، ويوجهون اهتمامهم لدراسة الفلسفة ونظام الحكم .

أفلاطون وتربية الفتاة :

كان أفلاطون يرى أن البنات تقل فى قدرتها العامة عن البنين ، غير أنه فى دولته المثالية ، يرى عدم وجود فروق نوعية بين الجنسين، فكل الاعمال التى يصلح لها الرجال ، تصلح لها النساء أيضا ، وكل ما هنالك من خلاف هو أن المرأة أقل قدرة من الرجل .

ولما كان الرجال والنساء يحملون نفس الصفات التى تتطلبها الدولة فى المحارب والحاكم ، فإن هذا يستتبع أن يخضع الجنسان لنوع واحد من التربية ، فليس هناك ما يمنع من أن تتعلم البنات الموسيقى والرقص ويمارسن الألعاب الرياضية وركوب الخيل والمصارعة ، وكلها تناسب البنات مثلما تناسب البنين .

(٢) النظام الاقتصادى :

وهو نظام يقوم على شيوعية من نوع معين ، تحرم فيه الملكية الخاصة فى المال أو البنين ، فلم يعط أى فرد الحق فى ملكية خاصة من أرض أو مال ، ولم يبح للأفراد الزواج بالطريقة الاجتماعية العادية ، وانما جعل التزويج مهمة من مهمات الدولة يتزوج فيه الناس بالاقتراع ، ويحرم الأولاد من آبائهم منذ ميلادهم حتى لا يتعرف الآباء على أبنائهم ، أما الأولاد المشوهون فيوضعون فى مكان خاص ليقضى عليهم ، أما الزواج الذى لا توافق عليه الدولة ، فيعتبر زواجا غير شرعى .

والغرض من هذا النظام ، هو إلغاء كل العناصر الشخصية أو المصالح الشخصية أو العواطف الشخصية أو صلة قرابة تعوق مصلحة الدولة ، لأن وجود هذه المصالح الشخصية يجعل الإنسان موزعا بين المصلحة الشخصية وبين مصلحة الدولة .

(٣) النظام البيولوجى :

وهو نظام يقوم على الاحتفاظ بنقاء المعادن ، فلا يجوز للذهب أن يختلط بالفضة ولا الفضة بالنحاس ، فى مسألة الزواج ، لأن ذلك يشكل سبيكة ، لا يرضى عنها أفلاطون .

وباستعراضنا لما سبق يمكن أن نقول أن أفلاطون حدد الهدف من جمهوريته وهو اخضاع الفرد للدولة ، ثم اتخذ الوسائل وما تتطلبه من تفاصيل، ما يضمن له تحقيق هذا النظام ، والذى تصوره ،لكى يهرب الظروف المضطربة التى كانت سائدة فى بلاده والتى كان يظهر ثورته عليها وعدم رضائه عنها،ثم أن تربية أفلاطون هذه ديكتاتورية فى صميمها ، وهو فى هذا كان متأثرا بنظام تعليم اسبرطه ، وليس غريبا على أفلاطون الناقم على أثينا ، والمعجب باسبرطه ، أن يدخل فى جمهوريته كثيرا من عناصر التربية الاسبرطية يعمل على تحقيقها .

أما فى القوانين ، التى كان يكتبها فى أواخر أيامه ، فقد تنازل أفلاطون فيها عن — مثاليته ، وعن كثير من مقترحاته وآرائه ، كما يتضح من تفكيره فى الفترة المتأخرة من حياته ، أنه أصبح يشك فى أن الحصول على المعرفة ؛ يؤدى بالضرورة إلى النتائج الاخلاقية الطيبة ، بينما كان فى أوائل حياته يرى فى الجهل « أنه شر الأمراض » ولكنه ما لبث بعد ذلك أن صرح بأن الجهل المطبق ليس شرا مزعجا جدا ، وأنه بالتأكيد ليس أعظم الشرور ، فالمهارة الزائدة وعلم الزائد إذا اصطحبا بسوء التربية يصبحان أكثر شرا .

تعقيب :

بتحليلنا لأراء أفلاطون فى التربية نستطيع أن نقول أنه كان يتفق

فى تعريفه للتربية مع مفهوم القدامى عنها فى أنها عملية تدريب أخلاق ، ولكنه لم يقف عند هذا التعريف ، بل أضاف اليه ، ففى أيامه كان الاثينيون يهتمون بالدراسات العقلية اهتماما كبيرا ، ووجد أفلاطون أن الملكة العاقلة للطفل ، لاتعمل فى الطفولة وتعمل فى فترة المراهقة لهذا ، عرف أفلاطون التربية بأنها التدريب الذى يتفق تماما مع الحياة العاقلة حينما تظهر ، وأن الدولة لابد وأن تشرف على أمور التربية وسياسة التعليم وتوجيه الناشئة ، فهى الوظيفة الأولى من وظائف الدولة ؛ على أن آراؤه قد حفلت فى معظمها بالمثاليات .

الفصل السادس

اتجاهات التربية

المجتمع الرومانى

تقديم

أوضاع المجتمع الرومانى :

تروى لنا كتب التاريخ القديم أن روما تأسست عام ٧٥٣ ق . م ، وأنها قد تعرضت – على مر العصور – لكثير من الاضطرابات الداخلية كالصراع بين الأشراف والنبلاء ضد العامة فى القرن السادس قبل الميلاد ، ومثل انقسام الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية فى القرن الرابع الميلادى ، ثم تفكك الأمبراطورية الغربية منذ القرن السادس الميلادى ، وظهور الأمراء والحكام والملوك فيما بعد ، مما كان بداية لتكوين الدول الحديثة فى أوربا الغربية ، حيث يمكن وضع التطور السياسى عند الرومان على النحو التالى :

١ — عصر ماقبل سنة ٨٠٠ ق . م .

٢ — عصر حكم الملوك فيما بين القرن الثامن والقرن السادس قبل الميلاد .

٣ — عصر حكم الجمهورية فيما بين القرن الخامس والقرن الأول قبل الميلاد.

٤ — عصر حكم الأمبراطورية فيما بين عام ٢٧ ق . م حتى القرن السادس الميلادى .

أما من الناحية الدينية : فقد أعتنق الرومان وبخاصة فى العصور الأولى ديانات شبيهة بديانات الاغريق ، حيث يتخذون كثيرا من الآلهة فى شئون حياتهم ، ثم انتقلت إلى عبادة وتأليه الأمبراطور نفسه كما فى عهد اكتاقيون (وقد سمى أغسطس فيما بعد)

وفى القرن الأول الميلادى ، ظهرت المسيحية ، وكانت فى أول الأمر ديانة ليست ذات بالنسبة لاباطرة الرومان ، ولكنها أخذت فى القوة والانتشار تدريجيا

وأخذ المسيحيون يبشرون بدعوة روحية جديدة ، اصطدمت بتقاليد الرومان ، وعارضت فكرة تأليه الأمبراطور ، كما دعت إلى عدم الخدمة فى الجيش ، لأنه سفك للدماء ، مما أدى ، إلى بداية اضطهاد الاباطرة لانصار الدين الجديد ، ولعل أشد الاباطرة عنفا كان دقلديانوس ، الذى اعتبرت بداية حكمه بداية التاريخ القبطى وكان ذلك فى القرن الثالث الميلادى ولكن المسيحية كانت تنتشر على الرغم من كل هذا .

أما فى القرن الرابع الميلادى فقد تغير اتجاه الاباطرة نحو المسيحية ، وفى عهد قسطنطين ، اعتبرت المسيحية الدين الرسمى للدولة الرومانية ، وكان ذلك فى عام ٣٢٥ .

وأما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية :

فقد كان للاوضاع السياسية ونظم الحكم أثرها على هذه الناحية ، فمثلا كان التوسع والرخاء فى العصر الجمهورى ، نتيجة لاتساع قاعدة الملكية الاقتصادية بينما كان الانكماش والكساد فى عصر الامبراطورية نتيجة لقصر الملكية الأراضى على الطبقات العليا، فالديموقراطية الاجتماعية كانت مصحوبة بنوع من الديموقراطية السياسية وذلك فى فترة الحكم الجمهورى ، ولكن حينما سيطرت الطبقات الارستقراطية على كل الشئون الاقتصادية والاجتماعية فى فترة الحكم الامبراطورى ، انتقلت السلطة السياسية من أيدى عامة الشعب إلى هذه الطبقات المسيطرة — وأخيرا حينما هاجم الاباطرة الطبقات الارستقراطية وحطموها ، فقدت كل الجماعات قوتها السياسية وقوتها الاقتصادية أيضا ، وأصبح الامبراطور هو الدكتاتور الاعظم .

وقد كان لكل التطورات آثارها البالغة على التعليم الذى أصبح بدوره وقفا على أبناء الطبقات القادرة الاستقراطية .

وأما من الناحية الفكرية :

فقد تأثرت الحياة الفكرية الرومانية فى القرون الثلاثة قبل الميلاد بالفكر والأدب والفلسفة والدين عند اليونان ، ولكن فى القرنين الأول — والثانى الميلاديين نضجت الروح القومية لروما وكان هذا هو العصر الذى ظهر فيه الأدب اللاتينى معبرا عن قوميه روما ، والذى يعتبر فى نفس الوقت « العصر الذهبى للادب اللاتينى » فقد نافس الأدب اللاتينى لأول مرة أدب اليونان ولم يعد مجرد تقليد له ، وكان من بين أعلام الفكر التربوى عند الرومان والذين عاشوا فى ذلك العصر « شيشرون » .

والحقيقة أنه لم يكن ماقام بة الرومان ، هو عملية نقل الثقافة اليونانية أو غيرها من الثقافات ، ومحاولة ملاءمتها مع ظروفهم ، بل أنهم أضافوا إلى الثقافة الانسانية كثيرا من النواحى الجديدة، هذا بالاضافة إلى أن روما قد لعبت دورا كبيرا فى تطور الثقافة الغربية وفى تحديد النظم التعليمية فى كل أنحاء أوربا وأمريكا فيما بعد .

تطور نظم التعليم عند الرومان :

من المرجح أن تنظيم التعليم فى العصور اليونانية — سار على النحو التالى:

١ — المرحلة الأولى :

وكان التعليم فيها يعتمد على الممارسة والمحاكاة ؛ شأن الشعوب القديمة ، وكان يعتمد على غرس القيم الاجتماعية .

والتى من أبرزها اعداد الرومانى الشجاع والمحارب المخلص لوطنه ؛ المتمسك بتقاليده ومثل الجماعة التى يعيش فيها . (١)

(1) Gwymur, A. Roman Education Fromr Cicers to Quintilion Hokrd 1926—p. 15.

٢ – المرحلة الثانية :

وكانت خلال القرون الثلاثة قبل الميلاد ، حيث ابتدأ ظهور بعض المدارس ومنها الخاصة بأبناء الطبقة الارستقراطية ؛ يتعلمون فيها اللغة اليونانية بجانب اللاتينية ، كما يتعلمون أيضا الموسيقى والخطابة والمنطق والفلك .

٣ ـ المرحلة الثالثة:

ويمثلها العصر الامبراطورى ، حيث بدأ الأباطرة يهتمون اهتماما مباشرا بالمدارس وكانوا ينفقون عليها من أموالهم ، وتبع ذلك بالضرورة ازدياد الرقابة والأشراف على مايعلم فى تلك المدارس واعتبروا أنفسهم حماة للتعليم والثقافة.(١)

٤ ـ المرحلة الرابعة :

ويمثلها المدارس المسيحية التى أقامتها الكنيسة المسيحية فى العصر الامبراطورى منذ القرن الرابع الميلادى وكان من بين مايدرس بها تعاليم الدين والقراءة والكتابة ـ وتشير الأدلة التاريخية إلى أن نظم المدارس الرومانية ومناهجها، قد استمدت الكثير من المدارس اليونانية ـ ومما يذكر أن أبناء الطبقات الحرة وبناتها ، كانوا يلحقون بالمدرسة الأولية عادة فى سن السابعة ، وعندما يبلغون الثانية عشرة يلتحقون بمدرسة ثانوية أو عالية ويبدو أنه كان يسمح للبنات بالتعليم فى كثير من الاحيان ، أما الدراسات التى تعادل الدراسة فى الكليات فكانت تتم فى مدارس الخطباء وكان هؤلاء كثيرين .

المناهج الدراسية :

كان التعليم فى بادىء الأمر ، يعتمد على العمل أكثر من أن يكون عملية تلقين بمعنى أن المتعلمين كانوا يقومون بأعمال معينة ليعتادوا بعض العادات الحسنة المرغوبة .

---

(1) Butts. Freeman, Acultural Histosy of Education. Newyork Mc Graw—Hill. 1944. p. 118.

وعندما وجدت المدارس الأولية ، كانت تهتم بتعليم القراءة والكتابة ، ولكنها لم توجه عنايتها لتعليم الموسيقى أو الرياضة البدنية .

أما فى المدارس الثانوية فكانت المناهج تشتمل على اللغة اليونانية ، الآدب اليونانية واللاتينية ـ التاريخ ـ الاساطير ـ الفلسفة النحو ـ الفلك ـ الموسيقى .

وأما الدراسات العليا أو ما يماثل دراسات الكليات :

فكان مما يدرس بها : الخطابة ـ الهندسة النظرية ـ الفلك ـ الفلسفة .

وكانت هذه المواد فى هذه الدراسات تكون مايعرف « بموادالتربيه الحرة » بمعنى المخصصة لابناء الاغنياء الاحرار ، وهم الذين لم يكونوا فى أغاب الظن يقومون بأى عمل جسمانى ، ويمكن أن يقال أنها كانت تعدهم للخطابة والبلاغة .

المعلمون :

(أ) بالنسبة للمدارس الأولية :

وكان المعلمون عادة من العبيد ـ أو من المواطنين الذين أسرتهم روما فى الحرب فكانوا يحصلون على رواتبهم مما يدفعه التلاميذ من نقود وهدايا .

(ب) بالنسبة لما بعد المرحلة الأولية

فى عصر الجمهورية ، كان معظم المعلمين من اليونان الذين أتوا إلى روما وأصبحوا مواطنين رومانيين بعد أن منحوا حق المواطنة .

وفى عصر الامبراطورية ، كان المعلمون يتمتعون بمركز ملحوظ من رعاية الاباطرة لهم ـ فكانوا يوجهون معظم اهتمامهم إلى آداب اليونان وتاريخهم ومن أجل هذا ، اصطبغت الثقافة الرومانية بالصبغة اليونانية ، حتى أننا نجد فى نهاية القرن الثانى الميلادى أن اللغة اليونانية هى لغة التعليم العالى كله تقريبا ، بينما

ضاعت الآداب الاتينيه فى غمرة علوم ذلك العصر وثقافته ".(١)

(ج) عند ما أصبحت المسيحية : هى الديانة الغالبة، تعرض المعلمون الوثنيون المتاعب وبخاصة أثناء حكم « جستنيان » وقد كان من بين آباء الكنيسة كثير من المعلمين والفلاسفه والعلماء، وفى خلال فترة الأمبراطورية ، كانت عملية التعليم جزءا من وظيفة الأسقف وكبير الأساقفة وقادة الكنيسة بوجة عام .

تعقيب .

باستعراضنا لطبيعة التربية عند الرومان ، نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية :

أولا : التأثير بالتراث الفكرى اليونانى – بمعنى أن الحضارة الرومانية قد تأثرت إلى حد كبير بالتراث الفكرى اليونانى ؛ ولذا فاننا نجد أن كثيرا من الطبقات الحاكمة والارستقراطية فى الدولة الرومانية ، كانت تعلم أبناءها اللغة اليونانية وكانوا يذهبون إلى مدارس أثينا ، كما نشأت مدارس يونانية فى كثير من أنحاء الأمبراطورية الرومانية .

ثانيا : الاهتمام بالنواحي العملية

بمعنى أن الرومان كانوا يهتمون بالمسائل العملية وقد أدى هذا الاهتمام إلى عدم أصالتهم فى المسائل الفلسفية التي وجدناها عند الاغريق ، وكان تفكيرهم يتجه بصورة عامة إلى اعتبار العقل وسيلة من الوسائل لمواجهة الأمور العملية فى الحياة ، وللتغلب على صعوباتها .

---

(1) Ely Frederick and Arrowood. C. F. The Histosy and philosophy of Educatiou—Ancient aud Medieval, New-York psentice-Hall, p. 608.

ثالثا : الاهتمام بالمسائل القانونية والخطابية

بمعنى أن الظروف السياسية والصراع الذى ساد الدولة الرومانية بين النبلاء والعامة قد أدى إلى الاهتمام بالمسائل القانونية كما أدى إلى الاهتمام بالمسائل الخطابية لأنه فى مراحل الصراع يحتاج المتصارعان إلى الخطيب ليدافع عن حقوقهما ؛ ومن ثم اشتهر الرومان فى التاريخ بالقانون والخطابة ، وكان من بين خطبائهم شيشيرون وكوينتيليان .

رابعا : الاتجاه إلى العناية بالجسد والعقل والروح

بمعنى أنه وجد بعض المفكرين الرومان بدأوا يفكرون فى المسائل الفلسفية فى ضوء ما فكر فيه الاغريق وأخذوا يتحدثون عن الجسد والعقل والروح والعلاقة بينها ، فأكد بعضهم قيمة العقل مثل « أفلاطون » و« أرسطو » بينما أكد البعض الآخر قيمة الجسد مثل الابيقوريين الذين اعتبروا العالم مادة ، مكون من ذرات ، وأن المسائل المادية هى المتحكمة فى المسائل العقلية .

خامسا : التأثر باتجاهات المسيحية .

بمعنى أن الفلسفة المسيحية كما فهمها الرومان قد ألقت بتيار فكرى ، خلاصة أن الانسان لا يمكنه أن يصل إلى الخلاص من آثامه الا عن طريق الايمان ، ولذا كانت الروح أسمى من العقل ، وبالتالى فان الايمان والمحبة والاحسان هى وسائل الخلاص .

كذلك أخذت المسيحية فى أواخر العصور الرومانية ، (منذ أوائل القرن الرابع الميلادى) فى تنظيم العقائد ، تنظيما يتفق مع المنطق والعقل مستعينة فى ذلك بالفلسفة اليونانية .

من أعلام الفكر التربوى عند الرومان

(١) شيشرون (١٠٦ — ٥٣ ق . م)

— كاتب ، ومرب من أعظم المربين القدماء .

— درس الفلسفة على كبار فلاسفة عصره ، دراسة واسعة ، عميقة .

— كتب كثيراً من المؤلفات التي تضمنت آراءه الفكرية والتربوية ، من أهمها كتاب « الخطيب » وقد ضمنه خلاصة آرائه فى الخطابة ، وكيفية إعداد الخطيب الناجح ، والصفات الشخصية والمهنية والفنية التى يجب توافرها فيه .

— وقد كانت الخطابة من أهم سمات العصور الرومانية ، وكان من أسباب اهتمام الرومان وشغفهم بفن الخطابة .

(أ) أنهم كانوا ينظرون إلى المدرسين اليونان نظرة إكبار ، لما يمتازون به من لباقة فى الحديث ، وإجادة لدورهم التعليمى ، وكانوا يتوقون إلى تقليدهم والتشبه بهم .

(ب) أن الخطابة والخطباء ، ظلت طوال العصور الرومانية ذات مكانة مرموقة من قبل المسئولين فى الدولة ، ولدى جماهير الناس .

(ج) أنهم كانوا ينظرون إلى الخطابه على أنها من أنفع المهن ، وألزمها لحياه الأفراد ، والجماعات بما تستلزمه من ثقافة واسعة ، وأطلاع كثير ، وقوة فى الذاكرة ، وما لها من تأثير فى نفوس الناس ، واستمالة لمشاعرهم .

(د) أن الخطابة كانت وسيلة شيقة يستخدمها المثقفون لشغل أوقات فراغهم ولا سيما بعد أن ساد السلام أنحاء البلاد فى عهد الأمبراطورية .

أراؤه التربوية :

كان لشيشرون كثير من الأراء التربوية النافعة ، والتى أنتشرت فى عصره ووجهت إلى حد كبير ـ مسار التربية وأساليبها آنداك ، فضلا عن اعتباره أحد رواد الفكر والتربية ، ومن القدامى الذين درست مؤلفاتهم فى عصر النهضة الأوربية ، وكانت موضع إعجاب وتقدير .

ومن أبرز آرائه فى التربية

١ — ضرورة الاهتمام بعقل الإنسان ـ من وجهة نظره ـ بعقله وفكره قبل كل شيء ، لأنه القدرة أو الأراذة التى تتحكم فى طبيعة الإنسان .

٢ ـ لا بأس ـ عنده ـ من الاهتمام بالنواحى الجسمية ، بأعتبار أن جسم الإنسان ، محتوى لعقلة ، ومن رأية ، أن ممارسة الرياضة البدنية ، نشاط كمالى ، قد يستغنى الأنسان عنه .

٣ ـ أن المعلم (كالخطيب) ينبغى أن يكون لبقا فى حديثه ، قادرا على التعبير عن رأيه ، مستوعبا لمادته ، ولكثير من العلوم .

٤ ـ ضرورة الاهتمام بإعداد الخطباء باعتبارهم قادة المجتمع ، ولا بد من توافر شروط هامة فيمن يمارس الخطابة ، ومن بين تلك الشروط .

ـ أن يكون غزير الثقافة ، واسع الاطلاع .

— أن يكون متمكنا من اللغة، ماهرا فى إستخدام عباراتها.

— » » قوى الذاكرة، ملما بعلم النفس.

— » » ملما بعلوم الفلسفة والقانون والفلك والهندسة والمو[illegible]

إلى غير ذلك من العلوم التى توسع مداركه، وتدعم حديثه، وتكسبه الهـ[illegible] إقناع سامعيه.

(٢) كوينتايان (٣٥ - ٩٥ ميلادية)

- خليفة شيشرون فى الفكر التربوى عند الرومان ، ومن أشد المعجبين بآرائه .

- من أصل أسبانى ، عاصر بداية الإمبراطورية الرومانية .

- وتلقى تعليمه بالمرحلة الثانوية وفى مدارس الخطابة فى روما .

- عمل بالتدريس ، واهتم بأمور التربية ، وتنقل بين روما وأسبانيا لتدريس القانون وعمل بالقضاء إلى أن مات بروما، بعد أن ترك مؤلفات فى الخطابة وفنونها، وما تتطلبه فى الخطيب الناجح .

- كان لوالده تأثير واضح فى حياته ، إذ تلقى عليه بعض دراسته ، وكان لهذا أثره فى توجيه كوينتليان إلى الكتابة عن التربية ، وأساليبها ، ويؤكد هـذا ، نوعية الأسلوب الذى كتب به مؤلفاته حيث يميل إلى إستخدام المصطلحات العلمية والوصف الدقيق لعمليات التربية ، وبخاصة مايتصل فيها بالخطابة والخطباء .

مؤلفاته :

ألف كوينتليان كثيراً من الكتب التى تحدثت عن الخطابة ومهمتها والخطباء وإعدادهم كما تحدثت عن التربية وطرق التدريس ، وعن المعلمين والتلاميذ ، وتضمنت آراءه فى المسائل التربوية ، وشئون التعليم .

ومن أهم كتب « كوينتليان » كتاب « معاهد الخطابة » وهو فى مقدمة كتب التربية عند الرومان بصفة عامة ، ومن أكثرها قيمة بالنسبة للخطابة عندهم بصفة خاصة . وقد قسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام . على النحو التالى :

تناول فى القسم الأول منه طرق التدريس التى ينبغى إتباعها فى المرحلة التعليمية التى تسبق مدارس الخطابة (وهى المدارس الأولية والثانوية) والتى تعد الطلاب للالتحاق بها .

— وتناول فى القسم الثانى ، وتدريس العلوم والفنون واللغة اللاتينية الخطابة موضحا آراءه وأفكاره فى ذلك .

— وتناول فى القسم الثالث ، حديثه ونقده لكل من الأدب اليونانى والأدب الرومانى .

ـ وتناول فى القسم الرابع ، كيفية إعداد الخطيب المثالى ، مبينا أهم الشروط والصفات التى يجب توافرها فيه (١) .

آراؤه التربوية :

لكوينتليان كثير من الآراء التربوية التى يمكن اعتبارها ، تعبيراً عن المثل العليا للتربية الرومانية على وجه العموم ، من أهمها :

١ ـ دعوته إلى الأخذ بنظام رياض الأطفال أو مرحلة ما قبل المدرسة الإبتدائية (وكانت تبدأ فى سن السابعة) وينصح بتعليم الأطفال القراءة والكتابة فى سن مبكرة ، عن طريق اللعب ، واستخدام بعض وسائل التسلية فى تعليمهم الحروف ، وتهجى الكلمات والألفاظ .

٢ ـ بالنسبة للمواد الدراسية عامة وبالنسبة للغات خاصة ، يرى ضرورة استخدام كتب المشهورين من المؤلفين فى تعليم القراءة ، وضرورة الاهتمام بتعويد التلاميذ وتدريبهم على الطلاقة اللغوية منذ صغرهم وذلك بتوجيههم إلى

---

(١) د . محمود عبد الرازق شفشق ، منير عطا الله سليمان ـ تاريخ ـ دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٦٨ ص ١٢٢ .

التحدث والتعبير ، وكتابة موضوعات الإنشاء ، مما يهيئهم للخطابة ودراسة فنونها فيما بعد .

٣ ـ دعوته إلى دراسة التلاميذ للعلوم والفنون التى تعينهم على استيعاب كتب الأدب وتذوق فنونه وفهم ما تحتويه من كتابات ، بالإضافة إلى ضرورتها للخطابة الناجحة ، ومن هذه العلوم ، الفلسفة والهندسة والفلك والموسيقى والتمثيل المسرحي ، ففى رأيه أنها جميعها تسهم فى إعداد الخطيب وتكوين ثقافته .

٥ ـ دعوته إلى ممارسة الناشئين ، الرياضة البدنية لأنها تقوى أجسامهم والرقص لأنه يكسبهم الرشاقة وإعتدال القامة ، وهذا من متطلبات الخطابة . بالإضافة إلى ضرورة إتباع وسائل الترويح لتجديد نشاطهم مع إتاحة فرصة للراحة من عناء الدروس كالعطلات المدرسية لإستجمام التلاميذ .

٥ — دعوته إلى ضرورة دراسة اللغة اليونانية للناشئين قبل تعليمهم اللغة اللاتينية ، لأنها وجدت قبلها ، وتعد أساسا لها ، ولعل هذا مما يشير إلى تأثر كوينتليان بالثقافة اليونانية إلى حد كبير .

٦ — دعوته إلى ضرورة مراعاة المستوى الفكرى والعقلى للتلاميذ ، وأنه لابد من أن تكون المادة الدراسية ، مناسبة لهم ، وبقدر ماتتحمله استعداداتهم وقدراتهم على الاستيعاب ، وإلا كان تعليمهم دون جدوى وأدى التدريس إلى غير المقصود منه ، وذهب الجهد معهم هباء .

٧ — دعوته إلى إتباع طريقة التلقين فى التدريس ، وما يتبعها من حفظ واستظهار ، فهى من وجهة نظره ، الطريقة المثالية للتدريس ، وربما كان هذا ، هو الأسلوب الشائع فى العصور القديمة ، والذى امتد فيما بعد إلى عصور متتالية .

٨ — دعوته إلى عدم استخدام العقوبة البدنية مع التلاميذ لعدم جدواها ،

وإنما ينبغى مراعاة مايكون بينهم من فروق فردية فى تقبلهم للعلم ومدى إفادتهم منه ، لذلك ، ينبغى إتباع الأساليب المناسبة التى تتمشى مـع نوعياتهم ، وميولهم[١] .

٩ – دعوته إلى إتباع الأساليب التشجيعية كالمدح والحوافز فى تعليم التلاميذ، إلى جانب وجوب التنافس الشريف بينهم، مما يدفعهم إلى مزيد من العلم، والتحمس فى تحصيله .

١٠ — دعوته إلى تعليم الفتاة ومساواتها بالفتى فى طلب العلم باعتبار أن المرأة نصف المجتمع ، ومن حقها أن تتعلم ، ولهذا أثره على تربية الأجيال وتنشئتهم ، فهناك فرق بين الأم المتعلمة ، والأم غير المتعلمة .

١١ — يرى قلة فاعلية الدروس الخصوصية التى يتلقاها بعض التلاميذ فى منازلهم باعتبارها دراسة فردية ، ليس فيها مجال للتنافس بين التلاميذ بعضهم البعض، ويفضل عنها الدراسة الجماعية داخل قاعات الدرس ، حيث تتبادل آراء التلاميذ ، وتنطلق أفكارهم وفى هذا العديد من الفوائد لهم .

١٢ ـ تأكيده على أن المعلم ، ينبغى أن يكون متمكناً من مادة تخصصه وأن تكون ثقافته واسعة ، وأفق علمه كبير ، إلى جانب هذا ، ينبغى أن يكون على خلق كريم وصفات طيبة .

١٣ ـ فى رأيه أن يكون المعلم (أياً كان ، ومعلم اللغة بصفة خاصة) لبق الكلام ، رفيق التعبير ، حسن الخلق ، يجيد تفسير آراء الكتاب والشعراء وأن يتابع تلاميذه فى تعليمهم ، وتقويم ما تعلموه .

---

(١) فتحية حسن سليمان — التربية عند اليونان والرومان — مرجع سابق ص ١٠٢

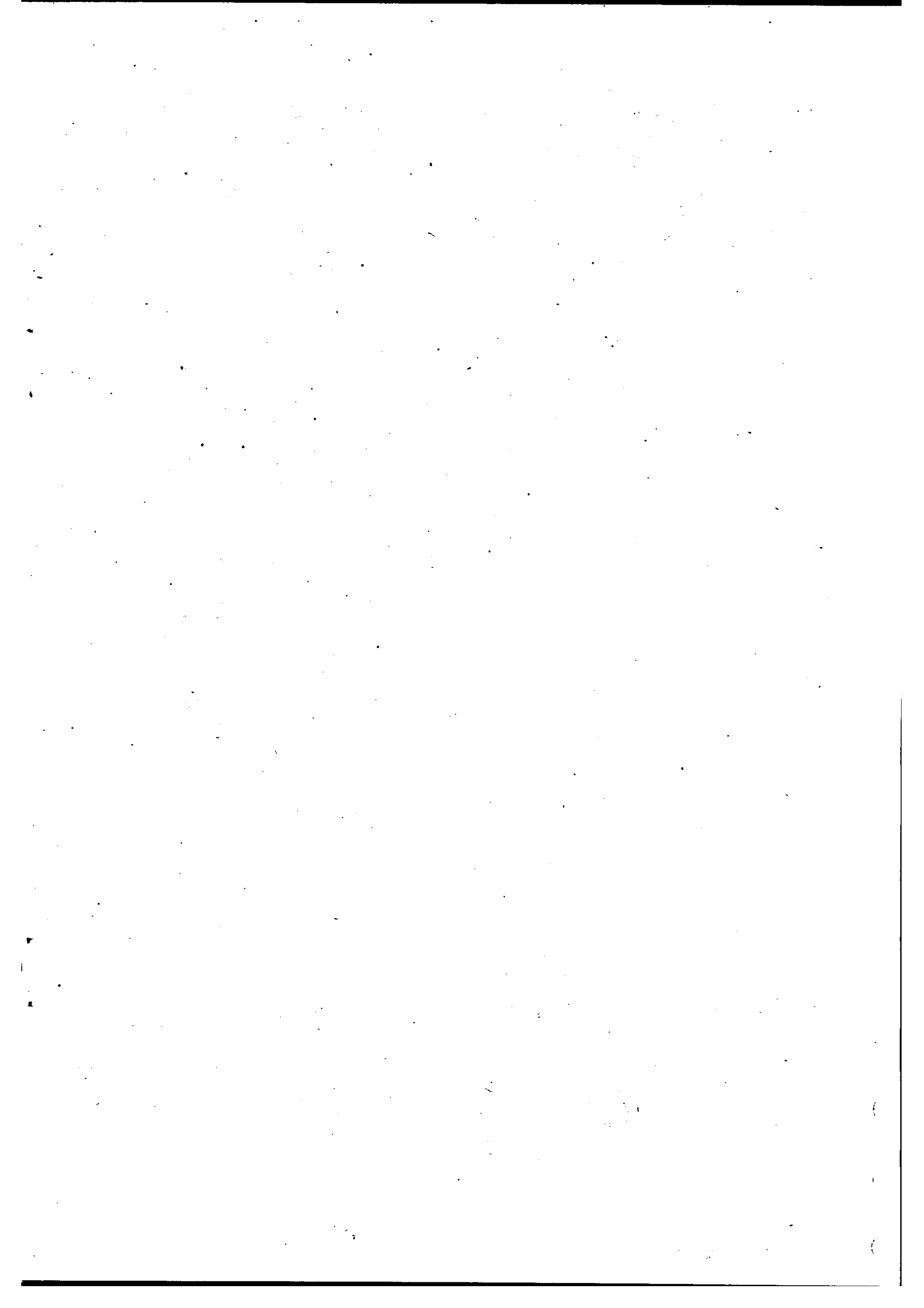
١٤ - دعوته إلى وجوب ظهور الآباء والمربين بمظهر القدوة الحسنة أمام أبنائهم وتلاميذهم، مع استخدامهم لغة مهذبة فى حديثهم معهم، واتباع أساليب التربية السليمة، لما لذلك من أثر فى مستقبل حياة هؤلاء الناشئين ..

١٥ - بالإضافة إلى ما سبق، يؤكد كوينتليان ضرورة الاهتمام بإعداد الخطباء إعداداً جيداً، واشترك كثيراً من الصفات التى يجب توافرها فى الخطيب كما اعتبر الخطباء الممتازين هم المواطنين وأكثرهم نفعاً للوطن عمن سواهم، ووصفهم بأنهم حفظة النظام فى المجتمع بما يقدمونه من خدمات وما يصدرونه من أحكام، وما يسهمون به من حلول لمشكلات مواطنيهم.

هذا، وجدير بالذكر، أن آراء كوينتليان فى التربية، طبقت - إلى حد كبير - فى عصور بعده، لدرجة أنها كانت بمثابة « الإنجيل التربوى » لدى بعض المربين فى عصر النهضة الأوروبية، لشدة إعجابهم بما تضمنته [1].

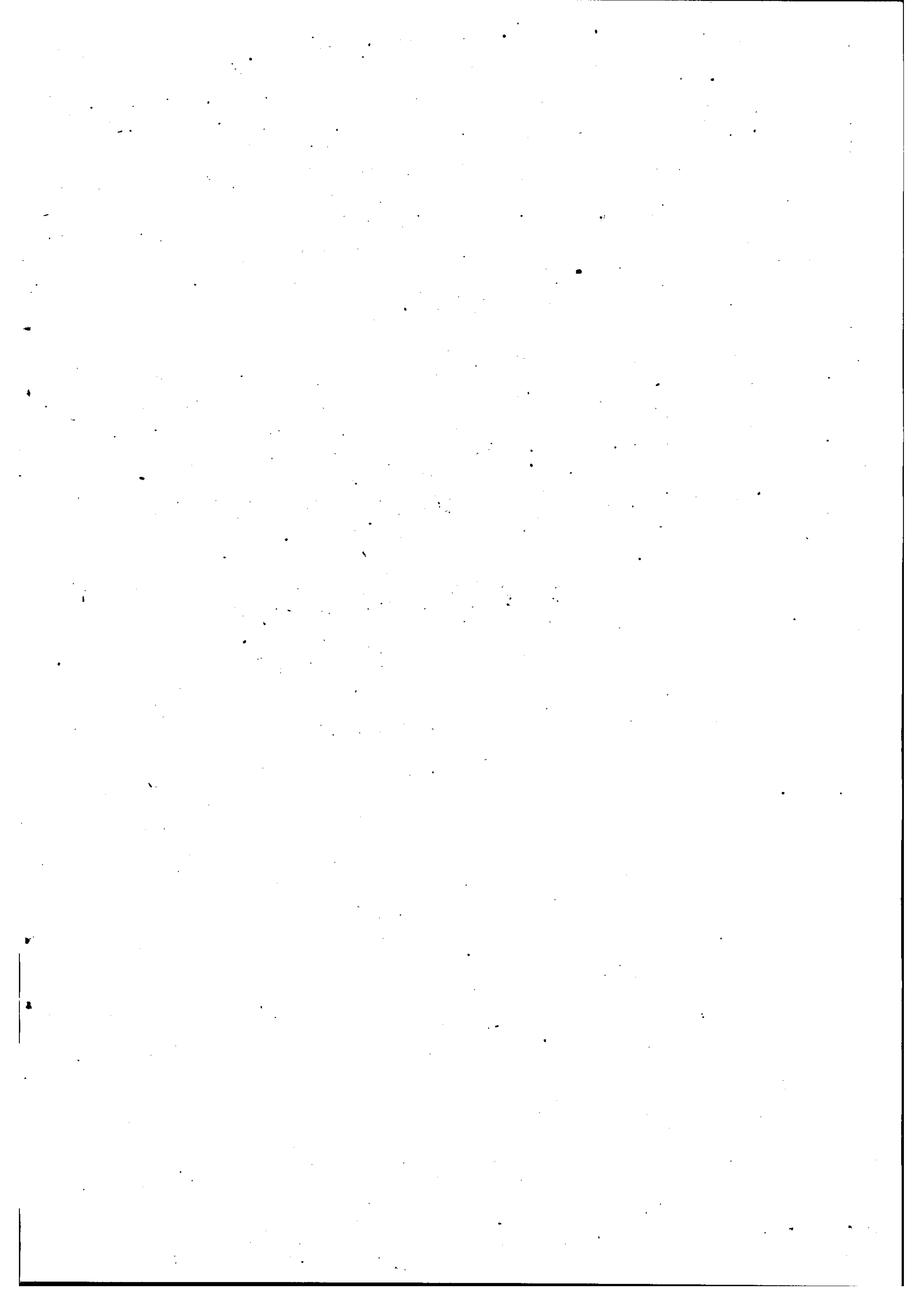
---

(١) د. وهيب سمعان. الثقافة والتربية فى العصور القديمة. مرجع سابق ص ٢٤٩



الفصل السابع

تحليل ومقارنة لاتجاهات التربية
فى
المجتمعات القديمة



بعد أن عرضنا لاتجاهات التربية فى كل من المجتمع الفـرعونى والمجتمع الاغريقى والمجتمع الرومانى باعتبارها مجتمعات وجدت فى عصور قديمة ، نعود فنتناول بالتحليل والمقارنة تلك الاتجاهات بصفة عامة .

أولا – من حيث التركيب الاجتماعى :

يبدو أن المجتمعات الإنسانية القديمة ، كانت طبقية فى معظمهـا . حيث يقسم المجتمع إلى فئات أو طبقات وإن تفاوتت فى طبيعتها ، هذه الطبقات هى :

الطبقة العليا ، ويمثلها الحـكام والأمراء والنبلاء أو الطبقة الارستقراطية ، ثم الطبقة الوسطى ، وتتمثل فى كبار التجار والأثرياء و كبار العسكريين .

ثم طبقة المنتجين، وتتمثل فى الفلاحين و العمال وهم السواد الأعظم من الشعب أو العبيد .

ففى المجتمع المصرى ؛ وجدت الطبقة العليا ، وكان على رأسها فرعون الذى آمن المصريون بأنه ظل الله الممدود على أرض مصر ، وإلى جانب فرعون شملت هذه الطبقة ، الأمراء و كبار الحـكام و كبار الموظفين و كبار الـكهنة .

ووجدت الطبقة الوسطى ، وشملت صغار الموظفين والـكتبة وذوى العـلم والمعرفة والخبرة كما شملت أصحاب الحرف من الصناع المهرة وصغار الفنانين والتجار .

ووجدت الطبقة الدنيا ،وشملت الفلاحين والرعاة والصيادين والملاحين والعمال الـكادحين ، وكان هؤلاء يمثلون الـكثرة الساحقة من سكان مصر الفرعونية .

والجدير بالذكر أن هذه النوعيات عاشت جميعها فى وئام ساد المجتمع المصرى بل كان للفرد أن ينتقل من طبقة إلى أخرى اعتمادا على مواهبه وقدراته .

وفى المجتمع الإغريقى :

(أ) فى اسبرطة : وجدت الطبقة العليا وهى طبقة السادة أو الحكام . ووجدت طبقة الأحرار أو البريثيسيين Perioeci وهم الذين يعملون بالتجارة أو الصناعة فى المدن . ووجدت طبقة الأرقاء أو الهيلوتيين Helots نسبة إلى مدينة هيلوس Helus وكان أهلها من أول من استعبدهم حكام اسبرطة ومن المعروف أن الحكام الاسبرطيين ، كانوا يسخرون أفراد الطبقتين الأخريين فى خدمتهم والقيام بجميع الأعمال اليدوية والشاقة فى الدولة مما أدى إلى سخط هاتين الطبقتين وإيجاد حالة من عدم الاستقرار داخل البلاد ، وقد تمكن الحكام من تنفيذ ما أرادوه باتباعهم النظام الاستبدادى الذى كان متبعاً فى تربية النشء والشباب .

(ب) فى أثينا : اشتهر المجتمع الأثينى بكونه أكثر ديموقراطية من المجتمعات اليونانية القديمة الأخرى ، فقد تدرج الحكم فى أثينا من ديكتاتورية ملكية إلى جمهورية ارستقراطية فى حوالى القرن السابع قبل الميلاد ، وكان يحكم هذه الجمهورية حاكم ينتخب من بين الطبقة الارستقراطية لمدة سنة ، إلا أن الطبقة الارستقراطية تحكمت فى بقية الشعب وتملكت الأرض وفرضت الضرائب ، مما جعل الشعب يثور ضدها ، وبمرور الوقت تطورت الحالة الاجتماعية فى أثينا من الارستقراطية إلى الديموقراطية .[1]

ونستطيع أن نقول إن النظام الاجتماعى فى أثينا كان أساسه تقسيم الشعب إلى أحرار وعبيد (أو سادة وأرقاء) ولقد أنكر الأحرار على العبيد حقوقهم القانونية والمدنية ووضعوا لهم من أساليب الحياة الاجتماعية ما يحقق ذلك ولقد تعصب الأثينيون للأصل والنسب بدرجة كبيرة ، لاسيما فى العصور الأولى ، واحتقروا الغرباء حتى ولو كانوا من المدن اليونانية الأخرى .

---

(١) فتحية حسن سليمان . التربية عند اليونان والرومان . مرجع سابق ص ٢٠

وفى المجتمع الرومانى :

تعرض المجتمع الرومانى — طوال عصوره القديمة — إلى نوعيات من الحياة الاجتماعية ، مابين ارستقراطية وديكتاتورية ، وتشير كتب التاريخ ـ بصفة عامة ـ إلى أن المجتمع الرومانى كان ينقسم إلى :

الطبقة الارستقراطية ، وهى الطبقة الحاكمة وما تتضمنه من أمراء ونبلاء . وطبقة الملاك أو الاقطاعيين ، ثم طبقة الفلاحين أو العبيد .

ومن المعروف أن بلاد الرومان كان يسكنها عدد من القبائل ، منها قبائل ايطالية لاتينية ، وقبائل يونانية ثم قبائل من أجناس أخرى .

وقد اشتهر الرومان الذين ينتمون إلى أصل لاتينى باعتقادهم بأنهم أعظم الأجناس البشرية وأنبلها ، وأنهم خلقوا للسيادة والحكم ، وعلى ذلك استعبدوا غيرهم وبخاصة من انتصروا عليهم أو أسروهم فى حروبهم .

وفى أواخر العصور الإمبراطورية ، كان الشعب الرومانى ، يتمثل فى شكل هرم كبير ؛ قمته الإمبراطور وأسرته وحاشيته ، يليهم ضباط الجيش والكهنة ثم عدد قليل من كبار التجار ، وأخيراً تأتى القاعدة الكبيرة المتمثلة فى السواد الأعظم من الشعب المغلوب على أمره .

وبطبيعة الحال ، كان لطبيعة هذه المجتمعات آثارها على اتجاهات التربية فيها .

ثانيا — من حيث النواحى الحضارية والفكرية :

العقيدة فى المجتمع المصرى : اقتضت الحياة فى وادى النيل ،قيام تنظيمات اجتماعية تتناسب مع الاستقرار حيث الزراعة والعمران ووجود الحياة السياسية والاقتصاديه كما وجدت صلات بين مصر الفرعونية وغيرها من الدول المجاورة.

وتشير الدراسات التي قام بها بعض المتخصصين إلى أن الحضارة اليونانية القديمة لم تكن الحضارة الوحيدة المبتكرة في العصور القديمة ، بل إن الحضارة المصرية القديمة والحضارات الشرقية الأخرى قد سبقت الإغريق ، ويؤكد هذا ما قاله « أرسطو » فيلسوف اليونان بأن المصريين القدماء قد سبقوا الإغريق في كثير من العلوم والفنون ، حيث كان المصريون شغوفين بالبحث المنطقي لا سيما في مجال الرياضيات والعلوم(١) .

وقد كان الشعب الإغريقي على درجة كبيرة من رقة الخيال والحساسية الإنسانية بالإضافة إلى أنه مجد الجمال في كل صوره ، وكذلك كان قدماء المصريين .

أما الرومان فقد كانوا قوماً عمليين ، منظمي التفكير ، بعيدين عن الخيال والفلسفة ، وامتازوا بتفضيلهم العمل على القول وقدروا الأشياء حسب قيمتها النفعية ، أي أنهم كانوا مخالفين لليونان ويتضح الفرق بين المجتمعين فيما قاله البعض من أنه إذا انتقلنا من أثينا إلى روما فكأننا انتقلنا من الشعر إلى النثر ، أو من نزهة فنان إلى مؤسسة عملية ، من قوم حاولوا جعل أوقاتهم جميلة وسعيدة ليتمتعوا بها تمتعاً منطقياً نبيلا ، إلى قوم ضحوا بالمتعة الحاضرة في سبيل المكسب المنتظر ، ومن قوم يحيون بتفكيرهم إلى قوم يحيون بقوتهم(٢) .

أما عن العقيدة ، فقد لعب الدين دوراً هاماً في المجتمعات القديمة بصفة عامة بل وغيرها من المجتمعات . ومن البديهيات المعروفة في حياة الناس ، أن أول ما يشغل العقل البشري ويحرك العواطف الإنسانية هو التفكير في الكون ، وفي القوى المسيطرة على هذا الكون ، وكيف تتحكم تلك القوى في الكائنات ، كما

(1) Davidssn, Thsmcs, Asistoileand Aucient Educatinal Ideals, Scilue's New-York, 1901

(2) Davidssn, Thsmas, A History of Education, Bostonr; Houghtonr Miltnr Co, 1920, P. 106.

يحاول العقل تفسير مظاهر الطبيعة وفهم طبائع المخلوقات ، ثم التفكير فى الموت وما وراءه ، . . من كل أولئك نشأ ما يعرف بالعقيدة الدينية ، وما يشكل مظاهرها من شعائر وطقوس وأساطير .

والعقيدة الدينية شىء لازم فى حياة البشر ، والإنسان لا يستطيع أن يعيش مستقراً بدونها ، ولن يكون له فى الحياة أثر واضح بدونها كذلك ؛ فالدين والحضارة توأمان، إذ أن الحضارة الإنسانية فى كل زمان ومكان ،قد نشأت غالباً تحت راية الدين ، وهو مؤثر قطعاً فى الاتجاهات العقلية وفى التطور الفكرى إلى حد كبير ، والدين رائد الحضارات فى كل زمان ومكان .

وقد تميزت الديانة المصريه القديمة بمميزات وخصائص طبعتها بطابع فريد بين سائر الديانات القديمة . إذ اعتقد المصريون منذ أقدم العصور أن الموت فترة إنتقال ، وأن الإنسان يبعث بعد موته ليستأنف حياة خالدة على نحو ما بعث « أزوريس » بعد أن قتله أخوه « ست » .

ومنذ فجر الإنسانية ، والناس يدفنون موتاهم ويجعلون معهم من ألوان الطعام والشراب وفنون المتاع ، مايعينهم على استئناف الحياة بعد فترة الموت .

وفى الطبيعة المصرية ، مايدفع الناس إلى التفكير فى البعث ؛ فهذه الشمس لاتكاد تغرب عن يمين النيل إلا لتطلع من يساره إذا ما كان الصباح ، وذلك القمر ، لايكاد يختفى عن السماء المصرية حتى يعيد فيها سيرته الأولى ، وهذا النهر المبارك ، مايكاد ماؤه يفيض حتى يعود ليفيض من جديد ، وهذه الأرض على ضفافه لايكاد زرعها يستوى فيصفر ليحصد ، حتى يعود فيخرج من جديد بإذن الله . (١)

وفى ضوء عقيدة المصريين، كانت حضارتهم بما شملت من بناء وتشييد وعمران

(١) د . احمد بدوى . د . محمد جمال الدين مختار . مرجع سابق ص ٥٩

وماقام فى ربوع وادى النيل من فنون وعلوم وحياة زاخرة بمختلف مظاهر تقدمهم ونبوغهم .

وأما اليونان ، فقد تأثرت عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وأخلاقهم ـ إلى حد كبير ـ بالديانات القديمة ونفوذ الآلهة حتى اصطبغت هذه القيم بالصبغة الروحية ، فقد كانت لهم عشرات من الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلم والجمال ، كما كانوا يعتقدون أن الآلهة تحارب بعضها البعض الآخر ، وإذا كان فرعون مصر إلهاً يموت ، فآلهة الإغريق خالده لاتموت ، ولكنها تغضب وتثور وتهدد وتنذر ثم تهدأ ، ويرقص الإغريق ويقيمون الاحتفالات (١) .

لقد كان الطفل الأثيني يلقن تلقيناً دينياً خاصاً حين يدرب على عبادة آلهة الأسرة ، هذا ، بالإضافة إلى ما كان يتلقاه من أصول الدين فى الصلوات الدينية العامة ، حيث كان يلجأ إلى الأناشيد والرقص الدينى ويحضر الحفلات الدينية المنظمة ، ويخيل إلينا أن هذه الرياضة فى المدرسة وفى المنزل ، كانت تحمل طابعاً دينياً خاصاً ، لاسيما أن التربية الرياضية نفسها كانت من مراسيم عبادة الإلهة (٢) .

وبالرغم من ذلك ، فإن الإغريق لم يصلوا فى عقيدتهم وتمسكهم بها فيما كان لهم من حضارة كما فعل الفراعنة .

وأما الرومان : فقد لعب الدين دوراً مهماً فى الحياة الاجتماعية للشعب الرومانى القديم ، سواء كان ذلك فى عهد الجمهورية أم فى عهد الإمبراطورية ، وكانت العقائد الدينية فى روما قديماً كالعقائد الدينية التى انتشرت فى الحضارة القديمة السابقة كاليونانية وغيرها ، وكان الرومان يعتقدون أن عالم الأرواح عامر بالآلهة الذين صوروهم على

---

(١) د . سعد مرسى ، د . سعيد اسماعيل . مرجع سابق ص ٩٢ .

(٢) د . محمود عبد الرازق شفشق ، منير عطا الله مرجع سابق ص ٣١ .

غرار الآدميين ، وكان نجاح الفرد أو المجتمع أو فشلهما ، يترتب على رضاء أو غضب تلك الآلهة ، وقد اعتقدوا فى آلهة ترعى مصالح الأسرة وأخرى ترعى المصالح الشعبية العامة ، لذلك عنيت الحكومة بتعيين فئة من الكهنة وظيفتها الإشراف على الشئون الدينية وضبط الأعياد والمناسبات القومية وإقامة المراسيم فيها ، ثم تدريب الناس على هذه الطقوس ، حتى إذا تولى أغسطس الحكم إمبراطوراً ، وارتاح الناس من ويلات الحروب والمنازعات وذاقوا طعم السلم والهدوء لأول مرة بعد حوالى قرنين من الزمان ، بدءوا ينسبون إلى الامبراطور أغسطس صفات الآلهة حتى أصبحوا يعبدونه هو أيضاً (كما كان يفعل المصريون القدماء) واستمرت فكرة تقديس الإمبراطور بعد حكم أغسطس فترة طويلة حتى تخلوا عنها تدريجيا ثم نهائياً فى عصر قسطنطين[١]

لقد كان للدين عند الرومان صبغته العملية فى حياتهم ، إذ كان وسيلة لتنظيم الحياة اليومية ومن ثم كان أكثر ارتباطاً بالشئون السياسية والاجتماعية منه عند الإغريق ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان للدين ، أثر خلقى واضح ، لم يظهر عند الإغريق ، وقد أعلى الرومان حب الوطن وزادوا من قيمة العلاقات الأسرية ، واحتفظوا بقدسية القسم وإرتفعوا بمعنى الواجب ، وكل هذه الأشياء أهملتها الديانة الإغريقية ، وهذه العوامل التى أثرت فى الحياة ، كان لها أعظم الأثر أيضاً فى الأمور التربوية عند الرومانيين .

حياة الأسرة :

كانت الأسرة فى مجتمع مصر القديمة ، متماسكة وتنال التقدير من أفرادها ومن المسئولين فى المجتمع ، وقد كانت كذلك فى المجتمع الأثينى إلى حد كبير ، بينما فصمت عراها فى المجتمع الاسبرطى ، وكان وأد الأطفال وصمة فى حياة التربية اليونانية بصفة عامة أما فى المجتمع الرومانى ، فكانت ذات مكانة طيبة ،

---

(١) فتحية حسن سليمان — مرجع سابق ٨٧

يلتزم كل فرد فيها بمجموعة من الواجبات عليه تأديتها ويتـــدرب عليها منذ حياه .

مكانة المرأة :

تمتعت المرأة فى مصر الفرعونية بكثير من التقدير والاحترام بل والتقديس فى بعض العهود إذ اتخذت رمزاً للعبادة ، ولـكنها لم تنل حظاً كبيرا من التعليم ، بينما كان تعليم بنات طبقة الأمراء والنبلاء الزاميا فى أغلب الأحوال .

أما فى العهود اليونانية ، فقد كانت المرأة فى منزلة متدينة ، تصل إلى منزلة العبيد أحياناً وحرمت النساء من المدارس كما حرم العبيد الذين لم يعتبروا مواطنين .

وأما عند الرومان ، فقد نالت المرأة قسطا كبيرا من التقدير والمـكانة الاجتماعية التى اتسمت بالاحترام ، وكان لها دورها الهام فى تربية الأطفال .

أوضاع التعليم :

فى المجتمع الفرعونى :

كان النظام التعليمى ، يشمل المرحلة الأولى والتى تبدأ فى بعض العصور من سن الرابعة أو الخامسة وتمتد حتى سن العاشرة أو الحادية عشرة ، ويشمل المرحلة الثانوية ولـكنها ليست بالمعنى المعروف لدينا الآن ، وكذلك وجدت التلمذة الصناعية أو مانسميه بالتدريب المهنى ، ثم كان هناك التعليم العالى وهو يتم غالبا فى المعابد ، والتى كانت بمثابة جامعات فى ذاك الوقت ، ومن أشهرها معبـد الـكرنك فى طيبة ومعبد تل العمارنة ، ومعبد ممفيس ، ومعبد أدفو ، كما امتازت جامعة أون (هليوبولس) بشهرتها فى العلم حيث كانت تدرس علوم الدين والرياضة التطبيقية وعلم الفلك وعلم الطبيعة والهندسة وشئون المساحة وغيرها من علوم الطب ، القانون ، الرسم ، الحفر ، الموسيقى ، الأخلاق ، إلى جانب اللغات الأجنبية ، وقد تعلم فى هذه الجامعات المصرية كثير من مفـكرى العالم آنذاك من أمثال : أفلاطون فيلسوف الإغريق وصولون مشرع أثينا وطاليس وفيثاغورس وغيرهم

واقد كان هدف التربية فى مصر الفرعونية هو تنمية الثقافة المصرية واستمرار بقائها ، كما كان يهدف التعليم إلى خلق المواطن الصالح الذى يضطلع ببعض أمور الدولة [1].

فى المجتمع اليونانى :

بالنسبة لإسبرطة :

كانت التربية تبدأ بمولد الطفل ، وكان الطفل المولود حديثاً يستحم بالخمر والنبيذ على أساس أن هذا الأمر قد يقضى على الطفل الضعيف ، ويقوى الطفل القوى ، ولما كان الأطفال ملكاً للدولة ، كان الرضيع يعرض فور ولادته على المجلس العام حيث يقرر الرجال الكبار عما إذا كان يستحق الحياة أو الموت ومن ثم يصبح من المواطنين بعد أن يلحق بمعسكرات فى سن السابعة ويظل بها حتى سن الثلاثين حيث يتعلم كل ماترغب الدولة فيه من أساليب المواطنة الصالحة فى خدمة اسبرطة ، بصرف النظر عن الروابط الأسرية ، فتربية النشء تربية عامة حتى إنه يقال إن امرأة اسبرطية أرسلت أولادها الثمانية إلى ساحة الوعى تلبية لنداء الوطن فماتوا جميعا وضمهم قبر واحد ، غير أنها لم تبك ولم تذرف دمعاً ، بل صاحت قائلة : « لك النصر يااسبرطة ، فإننى لم ألدهم إلا ليموتوا من أجلك » .

ولنا أن نتصور الكيفية التى تمت بها التربية الاسبرطية من العبارة السابقة .

وبالنسبة لأثينا :

كانت التربية الأثينية أكثر مرونة من التربية الاسبرطية وكانت المدارس فى أثينا كثيرة ومتنوعة ، وفيها ازدهرت العلوم والفنون ، ومنها أخذت دول العالم فى الشرق والغرب ، وكان هدف التربية فى أثينا إعداد المواطن المتوازن فى شخصيته وعلى مدى المراحل التعليمية التى يمر بها والتى تمكنه من تحمل مسئولياته نحو الدولة .

---

(١) د . أحمد بدوى ، د . محمد جمال الدين مختار . تاريخ التربية والتعليم مرجع سابق ص ١٦٠ ؛ سليم حسن ــ مصر القديمة ــ ج ١٤ ص ٤٠

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن إتصال أثينا بغيرها من دول العالم المعاصرة لها ، مكنها من الاستفادة من الخبرات المتعددة .

وفى المجتمع الرومانى :

هدفت التربية إلى إعداد المواطن الشجاع الواقعى ، الذى يتمتع بتكامل شخصيته فالمعروف أن الشعب الرومانى كان شعباً عملياً ، يتمسك بالواقع الملموس وكانت التربية الرومانية تربية عملية، مبنية على المشاهدة والممارسة ، وبالرغم من هذا فقد امتزجت التربية الرومانية بالتربية اليونانية فى بعض عصورها ، وبالتالى أخذت عنها الكثير ، كما اختلفت عنها فى الكثير أيضاً ، وبالرغم من أن كليهما ارتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً ، إلا أن اتجاه اليونان للتربية الدينية ، اقترن بالنواحى الجمالية والفنية . فتعلم الصغار الموسيقى والغناء والرقص لإستعمالها فى المناسبات الدينية العديدة ، بينما اتجهت التربية الدينية لدى الرومان إلى تعليم الصغار الطاعة والولاء لأولى الأمر واحترام الآلهة والأبوين ، فمجدوا الفضائل وتحلوا بها .

والواقع ، أن الرومان قد نقلوا الكثير من شئون التربية عند اليونان ، غير أنهم تفوقوا فى النواحى القانونية والإدارية والعلوم التطبيقية كفن المعمار ، ولئن كانت التربية اليونانية (والأثينية بصفة خاصة) تهدف إلى المثالية كما أرادها فلاسفتها ، فإن المثالية الرومانية — من وجهة نظر الرومان — تتحقق فى ممارسة المواطن لحقوقه وواجباته، وكان للمواطن الرومانى خمسة حقوق حددها القانون ، وهى : حق الوالد على أولاده ، حق الزوج على زوجته ، حق السيد على عبيده ، وحق الرجل الحر على من تعاقد معه أو أخل بوعده ثم حق الملكية[1] .

(*) صالح عبد العزيز — تطور النظرية التربوية — مرجع سابق ص ١٤

(١) See. Wilkims, A.S. Roman Educatiou (Cambridge, 1905).

مناهج التعليم :

فى المجتمع الفرعونى :

درس المصريون كثيرا من أنواع العلم والمعرفة مثل الأدب والقصص والطب والرياضيات والفلك والكيمياء ، إلى جانب التربية الرياضية والعسكرية والموسيقى والرقص ثم الكتابة التى كانت لها أهمية كبيرة لدى قدماء المصريين فى كثير من الأعمال : الإدارية والتجارية والقضائية والرسمية ، بل والكتابة للموتى ، فقد وجدت على بعض أكفانهم وجدران قبورهم كتابات لموتاهم بالإضافة إلى كتابات ورق البردى .

وفى المجتمع الإغريقى :

درسوا العلوم المختلفة وقد وضع الإغريق الأساس لما عرف بعد الفنون السبعة الحرة The Seven Liberal Arts وقد قسمت هذه الفنون إلى قسمين :

الثلاثيات Trivium وتشمل فنون الكلام وهى: النحو والمنطق والبلاغة.

والرباعيات Quadrivium وتشمل: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

وذلك لحاجتهم إلى هذه الفنون فى حياتهم المدنية والسياسية والاقتصادية ، وقد أغفل الإغريق التربية الحرفية ، لأن الحرف كانت قاصرة على العبيد بالرغم من مهارة اليونانيين فى التجارة والصناعة (١).

وفى المجتمع الرومانى :

كانت مناهج التعليم منقولة - فى معظمها - عن اليونان ، فقد درسوا الثلاثيات لحاجتهم إليها ، ولم يغفلوا الرباعيات ، إلى جانب اهتمامهم بعلوم الخطابة وفنونها والمسائل القانونية والفلسفة ثم الدراسات الدينية بعد اعتناق الرومان للمسيحية وذلك فى العصور الأخيرة من حياة الدولة الرومانية .

---

(١) د . وهيب سمعان وآخران ـ دراسات فى المناهج ـ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٦ ط ٢ ص ٤ ـ ٨

وتشير كتب التاريخ إلى أن الحياة المدرسية فى العصور القديمة ـ بصفة عامة ـ كانت تتسم بالشدة ، كما كان التعليم طبقياً إلى حد كبير ، إذ كان قاصرا على طبقة الأمراء والنبلاء فى مصر الفرعونية وكذلك الحال بالنسبة لواقع الحياة فى أثينا بالرغم مما قيل عن ديموقراطية التعليم فيها ، بينما كان التعليم ديكتاتوريا فى طبيعته ، ديموقراطياً فى مظاهره فهو يقدم لأبناء الدولة جميعهم بالمجان ، فى حين أنه يتوقف على ثروة أولياء الأمور ووضعهم الاجتماعى فى أثينا .

المعلمـــون :

عند الفراعنة : كان المعلمون فى مصر الفرعونية ينتمون إلى طبقات معينة أو يختارون من بين فئات معينة ، وفقاً لظروف المجتمع الذى يوجدون به ؛ فقد كانوا فى عصر الدولة القديمة ، يختارون من بين كبار رجال الدولة، بل كانوا يختارون من الطبقات العليا فى المجتمع ، وفى عصر الدولة الوسطى ، كانوا يختارون من أعيان الأقاليم ، ثم فى عصر الدولة الحديثة كانوا يختارون من بين المقربين لفرعون ومن أعيان البلاد أيضا ومن أبرعهم فى بعض فنون الحرب أحياناً . (١)

وعند الإغريق : كان كثير من المعلمين فى أثينا غرباء من خارجها ، وكانوا فى مرتبة العمال وذوى الحرف الوضيعة ويتقاضون مرتبات وضيعة أيضا ، كما كان ينظر إليهم نظرة العبيد أى الذين أسروا فى الحرب أو ليسوا من مواطنى أثينا فهم غير مواطنين أو أحرار، هذا بالنسبة للمدارس بصفة عامة ، أما المدارس التى يلتحق بها أبناء الحكام والأغنياء ، فكان يقوم بالتدريس فيهـا معلمون من رجال الدين والكهنة وممن عرفوا بالعلم الكثير ونالوا احترام الناس . أما فى اسبرطة ، فقد كان المعلمون ممن تختارهم الدولة للعمل فى معسكراتها (ومدارسها القليلة) وكان يشترط فيهم حسن السيرة ونبل الخلق والقدرة على تحمل المسئولية بحزم .

---

(١) د . أحمد بدوى ، د . محمد جمال الدين مختار ـ تاريخ التربية والتعليم فى مصر مرجع سابق ص ١٨٧ ـ ١٨٨

وعند الرومان : من المعلوم — كما يدل الواقع التاريخى أن الرومان استعانوا كثيرا بالمعلمين اليونانيين فى مدارسهم،أو من الغرباء عن المجتمع الرومانى، وقد استمر ذلك لفترة طويلة،لاسيما فى عهود الثقافة اليونانية الرومانية ، ثم كانوا من بين رجال الدين عند اعتناق الرومان المسيحية ، حيث كان التعليم يعتبر جزءا من عمل رجل الدين وبخاصة فى عصر الإمبراطورية ،حتى إذا كانت نهاية الدولة الرومانية كان المعلمون على درجة كبيرة من الجفاف الفكرى السائد فى ذلك الوقت .(١)

أما حظ الفتاة من التعليم:فى تلك العصور(الفرعونية ، اليونانية — الرومانية) فقد كان قليلا بمقارنتهـا بما ناله الفتى من العلم والتعليم ، بالرغم من إسهامها بنصيب كبير فى تربية النشء وحياة الأسرة وعتعها بمكانة سامية فى مجتمعات هذه العصور وتبوئها مناصب رفيعة إلى جانب قيامها بكثير من الأعمال والحرف فى بعضها .

(ثالثا) من حيث التراث الإنسانى :

بالنسبة للفراعنة : لقد ترك قدماء المصريين الكثير من آثارهم ، التى تدل على حضارتهم وأمجادهم وما كان لهم من علم وفن أفاد منهما الكثير من شعوب الأرض فى زمانهم وبعدهم ، وتاريخ الفراعنة هو تاريخ للبشرية ، أو على الأقل يمثل حقبة هامة جديرة بالاهتمام وفى أحد الأمكنة الهامة من دنيا الناس وهى مصر ، وما أكثر ماذكرت مصر ومدائنها وحكامها ونيلها وخيراتها فى الكتب السماوية المقدسة ومنها التوراة والقرآن ، واعترف بفضلها وشهد بكفاية شعبهـا كثير من مؤرخى العالم ومفكريه .

وتؤكد الدراسات الحديثة ، أن المصريين القدماء كانت لهم — بجانب

(1) Butte. OP. Cit. pp. 121 — 122.

معارفهم وعلومهم التطبيقية ـ علوم نظرية قامت على أساس من الفكر الإنسانى والبحث المنظم والمنهج التجريبى، ولولا ذلك السياج القوى من السرية والغموض الذى أحاط به الكهنة المصريون علومهم، لأمكننا التوصل إلى الكثير من الآراء والنظريات العلمية التى كان لهم الفضل فى اكتشافها .

ولقد حفلت جدران معابد المصريين بآدابهم المصورة والمكتوبة والتى تعتبر مرآة صادقة نرى فيها أهداف المجتمع ونستشف منها اتجاهات التربية والتعليم .

بالنسبة للاغريق :

لقد ترك الإغريق العديد من روائع الفكر والعلم والفلسفة ما أفاد منه دول الشرق والغرب، فقد تميزت ثقافة اليونان بالسعة والعمق وتنوعت معارفهم، وتأثرت الآداب العالمية بما كتبه اليونان وما نقل للعالم منهم، فكل ماهو موجود — فى عالمنا المعاصر — من صور أدبية كالشعر الغنائى والقصائد وأناشيد الرعاة والرواية القصصية، والمقالة، والخطبة، والسيرة، والتاريخ، والمسرحية .. كل هذا يونانى وكل مسمياته مأخوذة تقريباً عن اليونانية، كذلك فإن علماء الرياضة اليونان هم واضعو قواعد حساب المثلثات، وحساب التفاضل والتكامل، وعلماء الطبيعة والكيمياء أثروا هذا المجال بفكرهم ونظرياتهم وعملهم واستنتاجاتهم من أمثال أرشميدس وبطليموس وغيرهما، إلى جانب أساطين الفكر الفلسفى من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الآراء التربوية التى نادى بها فلاسفة الإغريق فى تلك العصور، لايزال كثير منها تنادى به التربية الحديثة وتتفق فى مضمونها مع مقتضيات حياتنا المعاصرة، من ذلك : ضرورة الاهتمام بالتربية، فى هذا اهتمام بالمجتمع وعليها يعتمد إصلاحه ؛ ومنها ؛ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ومراعاة ميولهم ورغباتهم أثناء العملية التعليمية، ومنها، أهمية اللعب فى حياة الصغار ؛ وضرورة قيام التعليم على العمل والاهتمام بالخبرة الشخصية للمتعلم ولعل هذا يتفق مع ما ينادى به المذهب البرجماتى الذى

يدعو إلى تعويد النشء التفكير والاعتماد على النفس ، بالاضافة إلى العمل على تكامل الشخصية والعناية بنواحيها المختلفة .

وهنا ينبغى الا يفوتنا أن نشير إلى ماحدث من تفاعل حضارى بين الفراعنة والإغريق؛ فقد كان طبيعياً أن تنشأ بين مصر وجيرانها فى حوض البحر المتوسط وفى جزره الغربية صلات اقتصادية وثقافية ، وكان طبيعيا أن تزداد تلك الصلات مع الأيام ، وأن تشمل بلاد الإغريق بعد أن كمل بناؤها وأصبحت مركزا من مراكز الحضارة بمعناها الواسع الدقيق ، بل أصبحت مطلع النور الذى كشف عن مجاهل الغرب ومعيناً لما قام فيه بعد ذلك من حياة استطاع أهلها أن يرثوا تراث الدنيا وأن يجعلوا أنفسهم أمناء على خزائنه .

لم تكد الأبواب تفتح بين مصر وبلاد الإغريق ، حتى نشطت حركة البدل والتجارة بين البلدين ، وعلى ذلك السبيل ، تبودلت مظاهر الحضارة والمعرفة وألوان العلم والثقافة بين شعب مصر وشعب اليونان ، وكان أوائل من حملوا رسالات ذلك أهل فينيقيا ؛ وهم يومئذ رواد البحر وأمراء الثغور ؛ وفى ركاب القوافل تتابعت أفواج السائحين من طلاب الرزق وعشاق المعرفة .

وما كان التاريخ يبلغ بدنياه أيام القرن السابع قبل مولد السيد المسيح (عليه السلام) وعلى حكم مصر يومئذ تلك الأسرة التى أسماها «مفتون» الصاوية وجعل ترتيبها بين الأسر السادسة والعشرين ؛ وجعل رأسها رجلا يقال له « ابسماتيك » حتى فتحت مصر أبوابها فى وجوه الأغارقة ؛ يقبلون عليها زرافات ووحدانا ؛ ثم لايلبثون حتى يندسوا فى كافة أنحائها ؛ ويتسللوا إلى كافة مرافقها ؛ ثم يبلغوا قصر الحاكم ؛ الذى جعل منهم جنداً يحمون الثغور ؛واتخذ منهم خاصة جنده [1] وبات من استقر منهم فى مدائن مصر يستقبلون أفواجاً من مواطنيهم الذين

---

(١) أنظر - هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٤٢ - ٥٦

كانوا يطلبون المعرفة ، فيحملوا إلى بلادهم ما أفادوا من أخبار ، ومن علومها ، ومظاهر حضارتها ما يشاءون . وقد عثروا بين قراطيس البردى المكتوبة باللغة الإغريقية على رسالة من أم إغريقية إلى ولدها الذى يقيم فى مصر ، جاء فيها :

« . . وعندما بلغنى أنك تتعلم الكتابة المصرية ، فرحت لك . . »

وفى ذلك ، ما يدل على أن الإغريق الذين بلغوا مصر ، لم يتوانوا فى الإفادة من وجودهم ومنهم من كان يرى أن الإفادة لن تتم دون تعلم لغة البلاد .

ويلاحظ من يعرفون الحياة الإغريقية ، أن أثر مصر ظاهر فيها منذ أيام « هومير » فأساطير الإغريق وثقافتهم الدينية والدنيوية ، واتجاهاتهم الفنية تأثرت بمصر ، بل إن أبجدتهم نفسها قد تمت على أصلها المصرى ، حملها إليهم الفينيقيون بعد أن وقعوا عليها فى صخور سيناء .

على أن الإغريق لم ينكروا ، ولم ينكر التاريخ أنهم عرفوا من المصريين قراطيس البردى ، وكانت تبلغهم أول الأمر عبر البحر من ميناء « بيلوهى » ، سطروا عليه نتاجهم العلمى والأدبى ، واشتقوا من إسمه الذى عرفوه به ، إسم الكتاب وإسم خزانة الكتب .

والمؤرخون من بلاد يونان ، وعلى رأسهم أبو التاريخ « هيرودوت » يشهدون للمصريين بالسبق فى مضمار المعرفة ، ويعترفون لهم بالعقل الخلاق ، والفكر الرفيع ، والبصيرة النفاذة ، ويرون فيهم أئمة فى طبيعة الأشياء ، وأصحاب المقدرة على كشف ما غمض من أسرار الكون ، لأنهم من أغزر الناس علماً ، وهم أول من عرض السنة الشمسية ، ووضعوا تقويماً تفوقوا به على اليونانيين والمصريون ، هم أول من سمى الآلهة بألقابها ، وأول من أقام للآلهة الهياكل والتماثيل والمعابد ، وأول من حفر الصور على الأحجار ، ثم هم أسبق الناس إلى إقامة الأعياد العامة والمواكب وعنهم تعلم اليونانيون ذلك . . وهيرودوت ، لم يشهد لهم بتلك المواهب العقلية فحسب ، بل شهد لهم بفضائل سبقوا بها كافة

الشعوب ؛ فهم أول من السنة التي تحرم مباشرة النساء في المعابد ودخولها بعد ذلك دون إغتسال ، وهم أكثر الشعوب مراعاة للنظافة ، وكذلك ، لم ينس المؤرخون والفلاسفة الإغريق ، أن يذكروا بعض علوم المصريين التي أخذها عنهم اليونانيون ، ومنها علم المساحة والحساب والهندسة والفلك ، والرسم والكتابة التي اعتبروها مصرية النشأة .

بالنسبة للرومان :

كانت الدولة الرومانية ، أمة عملية ، لاتبغى العلم لذاته ، ولا تهتم بالبحث وراء الحقائق ، ولا تجد سروراً في التفكير المحض ، ولا إستمتاعاً بمظاهر الجمال في العالم ، وإنما كان من شأن الروماني أن يعيش لغرض مادى ، وأن يبذل جهده للحصول عليه .. وأظهر قدرة نادرة على تنظيم الشعوب المختلفة ، وإيجاد الائتلاف بين أجزاء الإمبراطورية الرومانية مع سعة رقعتها وتراى أجزائها ، وامتاز في التشريع وفي ابتكار النظم ووضع القوانين التي تحدد للناس طريق العمل كأفراد مسئولين في جماعة متماسكة ، ولاتزال القوانين الرومانية ، أصلا للشرائع الوضعية في جميع أنحاء العالم المتدين .

وإذا قارنا — في إيجاز — بين النزعة الرومانية العملية ، وبين النزعة الإغريقية المثالية ، لوجدنا اختلافاً كبيراً بين شعبين متجاورين ؛ ففي بلاد اليونان ، درجت الفلسفة والشعر والموسيقى ، ونشأت الحرية الفكرية والسياسية والدينية ، وكان أهلها أساتذة الأمم وفلاسفة العصور ، وتركوا للبشرية ثروة فكرية كبيرة ، وبالرغم من ذلك ، كان الرومانيون ينظرون للإغريق على أنهم شعب خيالى غير عملى ، بينما نظر الإغريق للرومان على أنهم جماعة متبربرة ، لهم قدرة حربية تجعلهم لايهتمون بالمظاهر العليا للحياة والثقافة ، وإذا كان الإغريق خياليين ذوى نظرة متضائلة للحياة فإن الرومان كانوا شعباً يستند إلى الحقيقة في تقديره للأشياء[1] .

(1) Bury J. B.History of the later Roman Empire (2 vols) London 1923.

صالح عبد العزيز — تطور النظرية التربوية — مرجع سابق ص ١١٢

على أن الرومان قد نقلوا الكثير من شئون التربية عن اليونان ، لاسيما فى عهد الإمبراطورية ، وبعد أن أصبحت اليونان جزءا منها ، ويعتبر القرنان الأول والثانى الميلاديان العصر الذهبى للامبراطورية الرومانية . فقد حظيت التربية والتعليم باهتمام الأباطرة والمسئولين .

وقد ترك الرومان تراثاً فكريا يتمثل فى آراء المربين الرومانيين من أمثال شيشرون وكوينتليان وبلوتارك وغيرهم ممن نادوا ببعض الآراء التى تتفق - إلى حد كبير - مع الاتجاهات التربوية المعاصرة ، والتى من بينها : ضرورة تعليم الأم لأثر ذلك على أبنائها ، مراعاة نوع المادة التى يدرسها التلاميذ ومدى ملاءمتها لهم ، أهمية العناية بتكوين الأخلاق الحميدة والخصال النبيلة فى تربية الصغار ، انكار العقوبة البدنية التى تتبع معهم ، إلى غير ذلك من الآراء التربوية .

وبعد ، فلئن كانت اتجاهات التربية فى المجتمعات الثلاثة تتشابه أوتقترب من التشابه فى بعض نواحيها لاشتراكها فى عصور زمنية متقاربة ، فإن هذه الاتجاهات إنما تخضع قبل كل شىء لظروف المجتمع والبيئة التى تتم فيها والعوامل الثقافية المتنوعة لكل منها باعتبارها موجهات لأساليب التربية ونظم التعليم .

ولئن كان الفراعنة واليونان والرومان قد تركوا للبشرية — فيما تركوا — تراثاً إنسانياً ، فإن حجم هذا التراث أو نوعه أو قيمته يتفاوت من مجتمع إلى مجتمع ، بل ومن عصر إلى عصر ، وذلك وفقاً لطبيعة تلك المجتمعات ومقتضيات الحياة فيها .

وفى ضوء دراستنا التحليلية المقارنة لأوضاع التربية والتعليم فى هذه المجتمعات ، نستطيع أن نستخلص الخطوط الرئيسية لمسار التربية - بصفة عامة — على النحو التالى :

(أ) المجتمع الفرعونى :

- وضوح أثر العقيدة والاتجاهات الدينية — بصفة عامة — فى اتجاهات التربية ونظم التعليم .

- كانت المعرفة والثقافة والعلم ، أسمى ما يصل إليه الإنسان المصرى .
- قداسة العلم والمعرفة وإيمان أهل العلم والمعرفة بذلك .
- تمجيد أهل العلم والمعرفة سواء فى دنياهم أو بعد موتهم .
- وضع أساسيات المجتمع المصرى ، مزودة بالعلم والحكمة والسلوك القـويم .
- التعليم ضرورة من ضرورات الحياة وليس لوناً من ألوان الترف .
- إعداد الموظفين (الكتبة) للعمل فى مرافق الدولة والأعمال الحكومية.
- التربية المهنية أو الفنية ملازمة لمتطلبات الحيـاة فى الدنيـا ومن أجل الخلود عند البعث .

(ب) المجتمع الإغريقى :

- العمل على إعداد أجيال قوية ، محاربة ، فى خدمة الدولة . (إسبرطة)
- العمل على إعداد أجيال متوازنة الشخصية ، متكاملة النمو . (أثينـا)
- تنوع أساليب التربية والتعليم وتكاملها (نظامية وغير نظامية) (أثينا)
- إعداد أجيال تتلاءم فى حياتها مع متطلبات المجتمع وظروفه .
- الاهتمام بذاتية الفرد ، لاسيا من الناحية العقلية . (أثينـا)
- الاهتمام بالعلم من أجل العلم (إلى حد كبير) .

(حـ) المجتمع الرومانى :

- اقتباس كثير من وسائل التربية اليونانية وبخاصة فى العصور الأولى .
- إعداد الفرد الذى يتصف بحبه للعمل وحماسه للدفاع عن وطنه .
- اعتقاد الرومان فى أن الحـكمة والمعرفة ينبغى أن تـكون خدمة الدولة.

- اعتبار التعليم عن طريق الخبرة الشخصية فى الحياة أفضل وأنفع من التعليم المدرسى .
- الاهتمام بالخطابة وإعداد الخطباء واعتبار الخطابة من مظاهر الثقافة الراقية .
- الاهتمام بالمسائل القانونية وتنظيم الحقوق والواجبات .
- وضوح أثر الدين والمعتقدات الدينية أحياناً فى سلوك الرومان ونظم حياتهم .

وفى نهاية حديثنا عن الاتجاهات التربوية فى المجتمعات القديمة الثلاثة ، نود أن نشير إلى أن هذه المجتمعات وإن اختلفت — بدرجة أو بأخرى — فى طبيعة هذه الاتجاهات ، إلا أنها تشترك — بصفة عامة — فى :

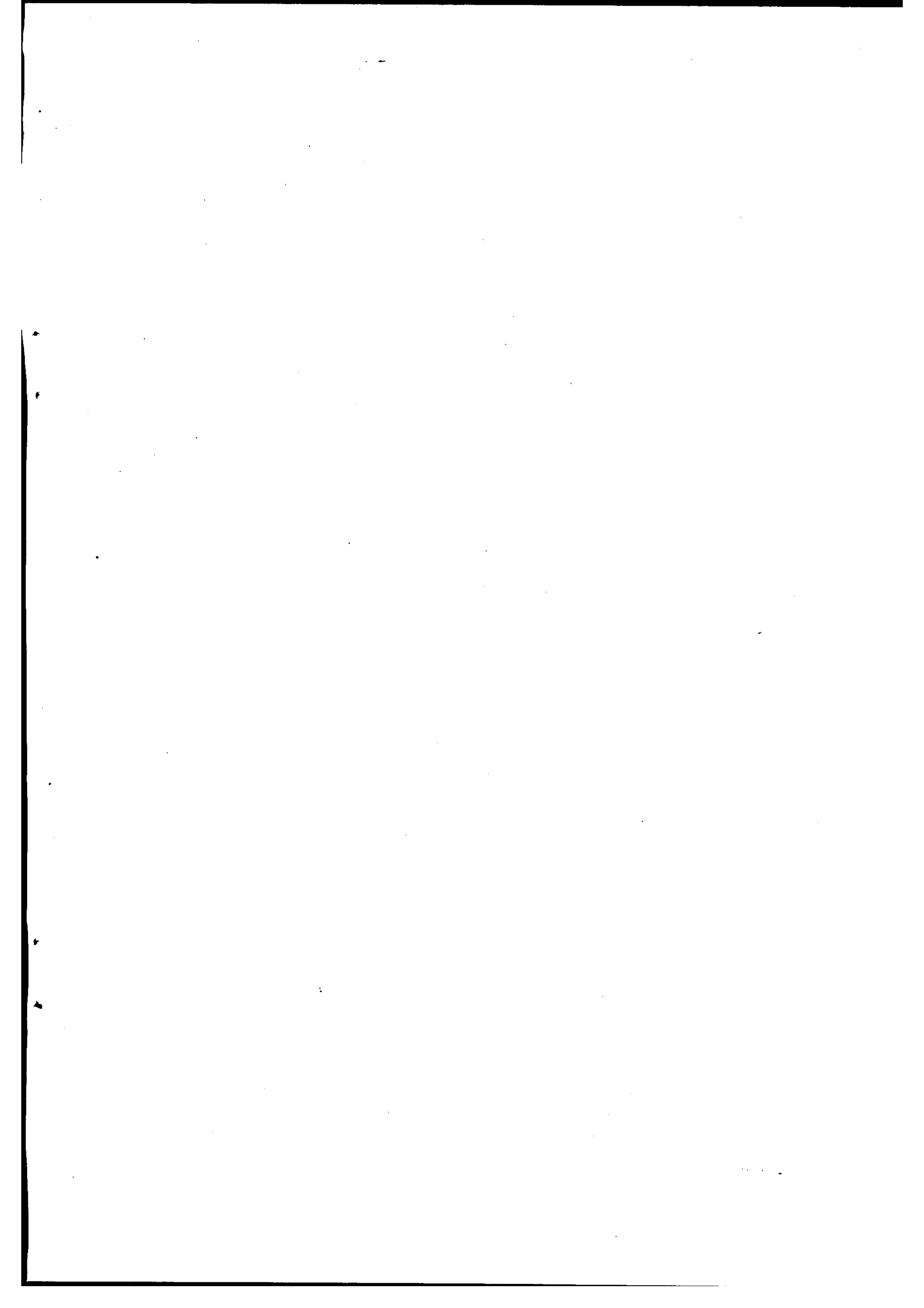
- أهمية المنزل والأسرة فى إعداد الأجيال الناشئة لاسيما فى السنوات الأولى .
- إعطاء أهمية للمرأة ودورها فى هذه التنشئة وإشراكها فى كثير من الأعمال .
- ضآلة حظ الفتاة فى التعليم (النظامى أو المدرسى) برغم نبوغ بعضهن فى بعض العصور .
- طبقية التعليم ، وقصوره على فئة معينة فى كثير من العصور

الفصل الثامن

اتجاهات التربية

فى

مجتمعات العصور الدينية



تقـــديم

المراد بالعصور الدينية ، القرون الأولى التي ازدهرت فيها الديانات السماوية ورسخت في نفوس الناس كعقيدة ، تتمثل في سلوكهم ، وتؤثر في اتجاهاتهم التربوية ، كما توجه نظمهم التعليمية إلى حد كبير .

وسنقصر حديثنا — في هذا الفصل — على نوعين من العصور الدينية ، هما : العصور المسيحية، والعصور الإسلامية ، متوخين في ذلك ، اتجاهات التربية في قرونها الأولى بصفة خاصة ، مع الإشارة إلى التنظيمات التعليمية فيها :

أما عن العصور المسيحية ، فنرى أن نتخذ من حياة المسيحية في مصر ، خلال قرونها الأولى ، مجالا نستبين منه اتجاهات التربية المسيحية بصفة عامة وأما عن العصور الإسلامية ، فنرى أن يكون الحديث عنها — على وجه العموم — بالنسبة للمشرق العربي ، وذلك في القرون الأولى ، ثم ما أعقبها من فترات ، إزدهرت فيها الحياة الفكرية والثقافية بصفة عامة ، وكان لها — بطبيعة الحال — أثرها على اتجاهات التربية في المجتمعات الإسلامية ، والتي تعتبر متلازمة — زمنياً — مع القرون الوسطى في أوربا .

(ا)

إتجاهات التربية المسيحية

الدين وثيق الصلة بالتربية ، مافى ذلك شك ، والمسيحية ليست نظاماً فلسفياً يقوم على قوانين المنطق ولكنها دين ، نشأ فى بلاد الشرق ، يضع للناس قواعد يسترشدون بها فى أعمالهم ، ويرتكز على الإيمان بمقدسات الجوانب الروحية عند الإنسان ، وقد حاولت الديانة المسيحية الجمع بين القدسية المسيحية والكمال البشرى ومحاولة إصلاح حياة الناس لاسيما فى مجتمع وثنى فاسد واجهته المسيحية فى أطوارها الأولى ، وأكدت ضرورة الاهتمام بالجانب الأخلاق باعتباره أهم جوانب التربية فى الإنسان . وكانت المدارس المسيحية وسيلة لإصلاح المجتمع الفاسد الذى كان وليد الوثنية ، ولذا نجد أن الطابع العام الذى طبعت به تلك المدارس كان طابعاً خلقياً، وكانت الديانة المسيحية، منبع تعليم الناس لا من الجهة العقلية ، بل من الجهة الخلقية وتهذيب النفس ، فهم وإن حرموا التربية العقلية ، فقد غالوا قسطاً عظيما من التربية الخلقية التى ترمى إلى الزهد فى الدنيا ، وارتقاب الحياة الأخرى الخالدة ، وكان رجل الدين هو المعلم ، أما المنهج فكان الكتاب المقدس ، مع تعاليم ومثاليات المسيحية ، وكان التعليم فى أماكن ملحقة بالكنائس غالباً وبعضها كان فى منازل المعلمين كما حدث بالإسكندرية فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ، وكذلك وجدت الأديرة والرهبنة وقد هدفت هذه التربية لا إلى نمو عقلى أو اجتماعى وإنما إلى نمو خلقى روحانى ، وقد كانت معاهد التربية المسيحية فى عصورها الأولى على النحو التالى[1] :

١ — المدارس الدينية الإعدادية : الملحقة بالكنائس ، برامجها خلقية ،

(١) صالح عبد العزيز — تطور النظرية التربوية (المطبعة الأميرية) القاهرة ١٩٤٧ ص ١٢٥

دينية ، تهتم بحفظ الكتاب المقدس والكتب الدينية الأخرى ، وكان غرضها الأساسي إنقاذ الروح ونجاتها .

٢ — المدارس اللاهوتية : كما كانت في الإسكندرية ، وكانت تدرس إلى جانب الكتاب المقدس — الفلسفة اليونانية والعلوم والآداب اليونانية مع مزج الفلسفة بالدين . وكان هدفها الأساسي تخريج معلمي المدارس الدينية الإعدادية ، وواضح أن إعدادهم كان إعدادا دينياً واضحاً .

٣ — الأديرة ونظام الرهبنة : وقد وجدت في أماكن كثيرة من العالم منذ القرن السادس الميلادي ، عندما انتشر الفساد في مجتمعات الدولة الرومانية حتى مصري إلى رجال الدين الذين أصبحوا دنيويين ، الأمر الذي جعل طوائف من رجال الدين يلجأون إلى حياة الزهد والتقشف والعزلة عن الناس . وكان هذا منشأ الأديرة التي يعتكف فيها الرهبان منفردين في صوامع ، ولا يجتمعون إلا وقت الطعام والصلاة ، ومعظم عملهم الاشتغال بفلاحة الأرض أو دراسة الأدب ، وكان الدير أهم أنواع المدارس في أوربا الغربية منذ القرن السابع حتى قيام النهضة الأوربية .

وقد ازداد نشاط هذه الأديرة من الناحية العلمية عندما أصدر القديس بندكت سنة ٥٢٩ م قانونه الذي أخذ به ديره (في الجنوب الغربي لإيطاليا) واتبعته الأديرة في غرب أوربا ، وقد حتم القانون على كل راهب بأن يقضي كل يوم سبع ساعات على الأقل في العمل اليدوي ، وساعتين على الأقل في القراءة كذلك حتم على الرهبان قراءة الإنجيل وسير الآباء ونسخ المخطوطات وتعليم النشء القراءة والكتابة ، وبذلك أصبحت الأديرة مدارس لنشر الكتب وتعليم التلاميذ .

وكان النظام البندكتي أول نظام اعترف بقيمة العمل اليدوي في التربية وقد تحققت أغراض بندكت ، إذ نشط الرهبان في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية فرفعوا شأن الزراعة والتجارة والتعدين والدباغة والنسيج والعمارة ،

فأنشأوا الملاجىء للفقراء والمرضى وغير ذلك ، وكان مما قصده بندكت من وراء هذا أن ينفض غبار الكسل الذى ساد حياة الرهبان فى الأديرة الشرقية .

أما مناهج مدارس الأديرة : فكانت بسيطة فى أول أمرها ، إذ كانت قاصرة على القراءة والكتابة والحساب وقراءة الكتاب المقدس ونسخ الكتب الدينية وحساب التقويم الدينى ولكنها بعد ذلك تضمنت دراسة الآداب القديمة وغيرها .

ويتضح من هذا أن نظام الأديرة كما وضعه بندكت يعنى إلى جانب الناحية الروحية والخلقية ، بالناحية العملية والعمل اليدوى وأهمية الحياة الاجتماعية وبذلك دخل الرهبان ميدان التعليم وميدان الخدمات الاجتماعية والحرف ؛ وأصبحوا من وسائل التهذيب الخلقى وتربية المجتمع[1] .

ولقد كانت هذه الحركة العظيمة ، الحلقة التى تربط بين العصور الوسطى وعصر النهضة ، كما كانت تمهيداً له .

نموذج من حياة التربية المسيحية :

التربية فى مصر فى العصر القبطى :

يمكن تقسيم العصر القبطى — من حيث دراسة المؤسسات التربوية إلى مرحلتين تعقبهما مرحلة اضمحلال :

(ا) المرحلة الأولى : مرحلة اضطهاد الوثنية المسيحية : من نهاية القرن الأول قبل الميلاد (عندما دخل الرومان مصر) إلى بداية القرن الرابع الميلادى (سنة ٣١١ م) .

---

(1) See.Monk op : TBYT Book in The History of Education

• كانت بداية ظهور المسيحية فى مصر سنة ٦٠ م ولكن المسيحيين وقعوا تحت وطأة اضطهاد من الوثنيين .

• تتميز هذه الفترة بانتشار الرهبنة والأديرة ، هرباً من الاضطهاد وعملا بما تضمنته الديانة المسيحية[1] .

(ب) مرحلة سيادة الثقافة القبطية : من أوائل القرن الرابع الميلادى إلى أوائل القرن الثامن الميلادى وفيها اعترفت الدولة الرومانية بالديانة المسيحية سنة ٣٧٩ م كدين رسمى للدولة .

• وفى هذه الفترة ظهرت الثقافة القبطية فى أعمال معتنقيها من المصريين وسادت اللغة القبطية وأصبحت لغة الكنيسة والشعب والمكاتبات الرسمية .

• ولكن بمجىء العرب إلى مصر واتباعهم سياسة التسامح الدينى ، بدأت عناصر ثقافية أخرى تسير جنباً إلى جنب مع الثقافة القبطية نتيجة لاعتناق كثير للدين الإسلامى وانتشار اللغة العربية بين المصريين وخاصة فى المدن والقرى الكبيرة ، الأمر الذى جعل اللغة القبطية تنكمش تدريجياً .

المؤسسات التعليمية فى العصر القبطى :

كانت المؤسسات تتمثل فى : —

١ ـ المنزل : حيث أكدت الديانة المسيحية ضرورة العناية بالأطفال والاهتمام بتربيتهم والعمل بتعاليمها فى تثبيت القيم الروحية والخلقية حتى أن بعض المنازل فى الإسكندرية مثلا كانت تخصص حجرة فيها للعبادة والتفرغ للصلاة وقراءة وترتيل الألحان الدينية .

---

(١) د . سعد مرسى ، د . سعيد اسماعيل — تاريخ التربية والتعليم — عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٩ .

٢ـ الكنيسة : كانت تجمع إلى كونها مكاناً للعبادة ، دورها فى التعليم ، فكانت تعمل بوظيفتها الروحية والتربوية على تحقيق الهدف الأساسى من التربية المسيحية وهو تحقيق غرض الله من خلقه للإنسان ، أن يعبده ويحفظ وصاياه ليكون له نصيب فى ملكوت السماء وذلك باتباع ما تدعو إليه وما تتطلبه من سلوك وخلق ، بالإضافة إلى ذلك فإن الصلوات والقداسات التى كانت تمارس فى الكنيسة بما فيها من موسيقى ، جمعت بين ألحان الفرح والحزن والخشوع مما جعل منها وسيلة فعالة لتربية الوجدان .

كذلك اهتمت الكنيسة بالتعليم عن طريق المثل العليا الممثلة فى أشخاص الشهداء وأعمالهم وتضحياتهم ، كما أن كتابات الآباء فى التربية الروحية وأقوالهم اعتبرت ذخيرة لها وزنها التربوى ومن هذه الكتابات ، ككتاب الراعى « لهرماس » ، وكان « هرماس » هذا قسيساً فى كنيسة القرن الأول الميلادى .

ولا يفوتنا أن نذكر أن الكنيسة — إلى جانب ذلك — كانت مؤسسة للتربية الاجتماعية والأحوال المدنية ، فقد عملت على تأكيد قوانين الزواج والطلاق وحماية الأسرة والطفوله ، كما أنها وقفت ضد الاسترقاق .

٣ـ المدرسة : يذكر المؤرخون أن أول مدرسة مسيحية أقيمت بمصر كانت بالإسكندرية سنة ٥٨ م ، وقد أنشأها القديس « مار مرقس » وكانت تهدف إلى تعليم المصريين المسيحيين حقائق الدين الجديد .

عندما زاد عدد الحضور إليها مع تفاوت المستوى ، تخصص مدارس للصغار وأماكن لموعظة الكبار[١] .

نظام التعليم ومناهجه :

المرحلة الأولى ، وكانت بمثابة مدرسة ابتدائية للصغار ، وغالباً ما كانت المدرسة ملحقة بكنيسة أو بأحد الأديرة .

---

(١) سليمان نسيم — تاريخ التربية القبطية ص ٩٧

المدرسة الابتدائية أو المرحلة الأولى : وكان التعليم بهذه المرحلة إجبارياً وبالمجان ولم يكن هناك سن معينة للالتحاق بهذه المرحلة الأولى ، كما لم تحدد مدة الدراسة ويرجح أن سن الالتحاق بها كان حوالى سن الخامسة أو السادسة .

أما مناهجها : فكانت اللغة القبطية — تعاليم الكتاب المقدس — استظهار بعض المزامير والألحان الكنسية بالإضافة إلى بعض مبادىء الرياضيات كحساب المساحات والموازين والمكاييل ٠٠٠٠ إلخ .

١ـ مدارس الموعظة : وكانت للكبار الراغبين فى الدخول فى الإيمان وكان الدارس يمر فى مراحل ثلاث فى فترة تتراوح بين عامين أو ثلاثة أعوام .

٢ـ مرحلة التعليم العالى : وهى تماثل جامعات اللاهوت التى انتشرت فى ربوع العالم المسيحى شرقاً وغرباً . ولم تعرف جامعات اللاهوت مبان خاصة بل كان الأساتذة يستقبلون طلبتهم بمنازلهم أو فى أماكن يرون أنها لائقة .

وقد شاع نظام الطالب المتجول الذى يرحل من جامعة إلى أخرى سعياً وراء مزيد من العلم . كما كان للأساتذة حرية تخير مايرونه مناسباً فى إطار من الخطوط العريضة المتفق عليها . وإن كان يبدو أن المناهج فى هذه الجامعات شملت تعليم أصول العقيدة مع تفسيرها وشرحها ، كما اهتمت بالدراسات العلمية البحتة كالهندسة وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والفلك وكذلك اهتمت بالفلسفة والشعر ، والأخلاق وذلك لتنمية قوى التفكير والملاحظة ، ومن أمثلة المراحل التعليمية فى التربية المسيحية المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية .

(ب)

إتجاهات التربية الإسلامية

الإسلام والعلم : تبدأ التربية الإسلامية – كما تبدأ فى أى تربية أخرى – بالمحيط الاجتماعى والفكرى ، الذى يسود الحياة نفسها ، على أنه ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أمرين :

الأول : أن التربية الإسلامية ترتبط بالدين والسنة والأحكام الإسلامية .

الثانى : أن التربية الإسلامية تتم فى ضوء النظام السياسى للدولة الذى كان قائماً فى تلك الفترة من العصور الأولى للاسلام .

وهذا يعنى أن التربية الإسلامية – شأنها شأن أى نوع من التربية – كانت أداة سياسية ، اجتماعية ، أفاد منها الخلفاء والأمراء فى خلق جو فكرى يتمشى مع ما يريدون وربما كان من الشواهد المعروفة فى ذلك ما كان بين السنة والشيعة من صراع ، حين نادى هؤلاء بمبادىء معينة ، فيخالفهم الآخرون وينادون بتعاليم لمبادىء بل وينشئون أماكن جديدة للعلم والدراسة محاولين بذلك أن يقللوا أو يهدموا تعاليم وآثار المعاهدة السابقة مثلما كان الحال فى عهد العباسيين ، وكذلك من قبلهم فى عهد الأمويين .

ونحن فى تناولنا لطبيعة التربية الإسلامية ، ربما لانتعرض لبعض جوانبها، ليس لعدم أهميتها وليس عن تقصير ولكننا نولى عناية خاصة بأماكن التعاليم فى العصور الإسلامية باعتبار أن هذه الأماكن أسهمت إلى حد كبير فى تدعيم التربية الإسلامية ، وتعميق مفاهيمها ، من ناحية ، ولأنها من المصادر الأساسية للتربية من جهة أخرى .

والواقع أن الإسلام ، قد اهتم اهتماماً كبيراً بالعلم بصفة عامة ، وبالقراءة والكتابة بصفة خاصة ، لما لها من أهمية فى حياة العام ، فإذا اعتبرنا القراءة هى النافذة التى يطل منها الإنسان على المعرفة بأنواعها المختلفة فإن الكتابة هى التدوين ، الذى يسجل هذه المعرفة ويحفظها على مر العصور ، هذا فضلا عن القراءة والكتابة ، سبيل هام من سبل التقدم البشرى فى مختلف المجالات ، بالإضافة إلى أنهما من أهم الوسائل التى تميز الإنسان عن غيره من مخلوقات العالم .

وقد حث الإسلام كثيراً على طلب العلم وأشاد بفضل العلماء ، حيث جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة النبوية ، الكثير من الآيات والمأثورات والأعمال التى تؤكد طلب العام والدعوة إلى التعليم ، والقراءة والبحث والاطلاع ، وكذلك ، العلم الذى يصحبه العمل ، ليس فى مجال الدين كدين ، أو العبارات كإيمان ، أو معتقدات أو لتهذيب النفس البشرية ، فحسب ، بل وكذلك فى شئون الحياة كلها ، ومابعد هذه الحياة سواء فى السلم أو الحرب ، فى الشدة أو الرخاء ، فى القريب أو البعيد من الأماكن بل أنه طلب من الإنسان فيما حوله ، من بشر ، ومن سماء وشمس ، وقمر ونجوم وآفاق وفى الأرض وما فيها من زرع ونبات وجبال وبحار وأنهار .... على الإنسان أن يفكر فى ذلك كله ، بعقل كيس ، وفكر مفتوح ، ومشاعر عميقة ، فالدين ليس مجرد عبادة وتقديس وعمل بالأوامر وكف عن المحظورات فحسب ، ولكنه بالإضافة إلى هذا ، إيمان متكامل بكل مكونات هذا الكون وبخالقه .

بل أن الإسلام ، قد فضل الذين أوتوا العلم ، والذين أوتوا الحكمة ، والذين يعملون بما يعلمون على من هم سواهم ، بل أنه رفع منزلة العلماء فجعلهم ورثة الأنبياء . كذلك فإن الإسلام أعطى المرأة حق التعليم كما أعطاه للرجل ، وسوى بينهما فى طلب العلم والبحث على التفقه فى أمور الدين والدنيا .

أليس كل ذلك دليلا على اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم ؟ ؟

أماكن التعليم فى التربية الإسلامية وبخاصة فى العصور الأولى للاسلام ، كانت تشتمل[1] :

١ـ المساجد :

كان المسجد من الأدوات التعليمية التى استغلت لتعليم المسلمين إما من فوق المنابر وإما عن طريق الحلقات التى تعقد لمناقشة الأمور الدينية والدنيوية ولاشك أن المسجد كان وسيلة من وسائل تكوين الرأى العام فى المجتمع الإسلامى أو عن طريق الناس أثناء الصلاة .

وهنا ينبغى أن نفرق بين الجامع والمسجد : إذ أن هذه التفرقة كانت موجودة بالفعل فى الدولة الإسلامية فالجامع كانت تقام فيه الصلوات الجامعة كصلاة الجمعة . ولو استعرضنا تاريخ الجوامع لوجدناها أمكنة للشعائر الدينية ورمزاً للسلطة السياسية التى تمثلها الدولة القائمة ، فنجد أن جامع عمرو بن العاص يمثل الفتح العربى لمصر سنة ٢١ هجرية ثم يتلوه زمنياً جامع العسكر ، وهو الذى يمثل نفوذ العباسيين على أثر انقضاء نفوذ الأمويين كذلك جامع ابن طولون الذى بنى على نمط جامع « سامرا » ولا شك أن إنشاء العاصمة الجديدة وجامعها دلالة سياسية على الاستقلال الذاتى وعلى الطموح السياسى الذى كان يجيش بصدر « ابن طولون » ويتلو ذلك تأسيس الجامع الأزهر سنة ٣٦٠ هجرية وكان رمزاً للدولة الفاطمية وانتشار المذهب الشيعى وهكذا .... كذلك كان الجامع مكاناً للقضاء واستقبال السفراء وبداية تجمع الجيوش للقيام بحملة من الحملات .

أما المساجد : فكانت توجد بجانب الجوامع ، وهى التى تقام فيها الصلوات الخمس ، ولا يفترض فيها أن تكون مكاناً للصلاة الجامعة .

---

(١) د . أحمد شلبى — تاريخ التربية الإسلامية .

من هذا ، نتبين أن الجامع كان فى العصور الإسلامية ، مكاناً تنعكس عليه صورة الحياة السياسية فى الدولة .

أما الدراسة فى المساجد ، فكانت تتخذ شكل حلقة ، الطلبة يلتفون حول الشيخ الذى يقرأ لهم من كتاب أو يناقشهم فى مشكلة ، ويستمر التدريس حتى ينتهى الشيخ من الكتاب ، وقد كانت الدروس والعلوم التى تدرس فى الأزهر ، على نطاق أوسع وبطريقة أرقى مما كان عليه الحال فى العهد المملوكى ثم العثمانى .

على أن طلاب المساجد كانوا ينقسمون إلى نوعين :

(ا) طلاب منتظمون : من الصباح والمساء ، يقضون عدة سنوات للحصول على أجازة من الأستاذ المختص بالمادة .

(ب) طلاب مستمعون : غرضهم هو الاستماع والمعرفة فحسب ، دون الحصول على أجازة ما أو شهادة بالتحصيل .

وأما أساليب التدريس فكانت على النحو التالى[1] .

(ا) المحاضرة . إما إملاء وإما قراءة فقرة ومناقشتها ، ولذلك فإنها تحتوى على : المناقشة والموازنة والاستنتاج .

(ب) الطريقة الكلية : كالبدء بفكرة عامة والتدرج بها إلى التفاصيل .

(حـ) طريقة المناظرة : كتابة المقالات ، شحذ الذهن — الإيجابية فى التعليم .

٢ـ الكتاتيب :

كانت قائمة بذاتها أو ملحقة بالمساجد .

• منها كان يشتمل على : القرآن الكريم — الحديث الشريف — الدين — الأدب — التربية الخلقية — الخط — الحساب — قواعد اللغة العربية .

---

(1) A. H. Fahmy : The Educational Gleas of the Moslems in the Middle ages

• وظيفة التربية الخلقية ، ضرورية فى السنوات الأولى للنشء — اتخاذ الوعظ وسيلة لذلك ، والمدح دون الذم — التقليد وسيلة فطرية لحياة المجتمع .

• العقل السليم فى الجسم السليم فى المجتمع السليم .

ديموقراطيتها : مباحة للجميع ولكنها ليست إلزامية .

• توقف عليها أموال كغذاء وكسوة الفقراء من تلاميذها .

• بالرغم من أهميتها بالنسبة للناحيتين التثقيفية والخلقية ، إلا أنه يؤخذ عليها .

• الاعتماد على الذاكرة دون شرح المغزى .

• عدم الاهتمام بميول الطفل ورغباته .

• اتباع التنافس دون التعاون بين التلاميذ .

• طريقة الوعظ كأسلوب للتهذيب غير مجدية .

• إغفال الناحية الجمالية عند التلاميذ والتركيز على الناحية النفعية .

ومن المعروف أن حجم الكتاتيب من حيث سعتها وعدد تلاميذها كان يختلف من عصر إلى عصر .

٣ـ المدارس :

ظهرت بعض المدارس فى عصر الدولة السلجوقية فى القرن الثامن الهجرى ، وقد انتشرت فى العراق والشام ومصر فى عهد الأيوبيين وربما عرفت المدارس من قبل فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، إلا أنه من المرجح أنها لم تعرف فى صدر الإسلام .

والمدرسة فى الواقع مكان للقيادة إلى جانب كونها مكان للتدريس ، وقد كان الغرض الأساسى من تأسيس المدارس فى الدولتين السلجوقية والأيوبية (السينتين)

رد فعل نتيجة للحركة الشيعية التى انتشرت على يد البويهيين قبل قيام الدولة السلجوتية .

وجاء نظام الملك ، وأنشأ أول مدرسة من هذا النوع ، وقد عرفت مثلما عرفت هذه المدارس باسم « المدرسة النظامية » نسبة إليه (نظام الملك السلجوقى) وتم إنشاؤها عام ٤٥٩ هجرية فى بغداد[١] .

• ثم المدرسة النووية الكبرى فى دمشق عام ٥٦٣ هجرية نسبة إلى نور الدين زنكى .

• ثم المدرسة الناصرية التى افتتحت فى عهد السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هجرية بالقاهرة .

وقد كثرت المدارس وتتالت فى العصور الإسلامية وقامت بدور كبير فى نشر التعليم فى عصورها ، ومما يذكر أن هذه المدارس كانت تختلف وظيفتها — بطبيعتها — عن وظيفة المساجد ، وكذلك من حيث المدرسين فهم يعينون من قبل الدولة أما شيوخ المساجد وعلماؤها فهم متطوعون غالباً . كما كان معظم المدارس أمكنة لإيواء طلابها .

ونود أن نشير إلى انتشار المدارس فى مصر أيام الأيوبيين والتى كانت تدرس بها اللغة العربية والفقه على المذاهب الأربعة بصفة خاصة ، وكان من أهدافها مقاومة الاتجاه الشيعى ، وتحويل الأنظار عن الجامع الأزهر الذى معقل المذهب الشيعى .

---

(1) Lave poole Mohammedaans Dynnsties. p. p. 179.

٤ — حوانيت الكتب والوراقين :

كان من نتيجة انتشار الورق واستخدامه فى الكتابة بعد أن كانت تستخدم الجلود والعظام والحجارة (ومن قبل كان يستخدم ورق البردى فى الكتابة) كان من نتيجة ذلك أن ظهرت الكتب والمكتبات التى كان أصحابها يجمعون بين التجارة والثقافة فى أيام العباسيين ثم انتشرت فى كثير من البلاد ، فكانت هذه الحوانيت والمكتبات مصدراً من مصادر العلم والمعرفة حيث كان الناس يترددون عليها ويتعلمون منها ولعل من أشهرها ، كان « بيت الحكمة » الذى أسسه الخليفة المأمون فى بغداد .

٥ — قصور الخلفاء ومنازل العلماء :

كانت قصور الخلفاء ومنازل العلماء والفقهاء والأدباء ، مجالا للعلم والتعليم للناس بصفة عامة ، وقد كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، السبق فى هذا ، حيث اتخذ من دار الأرقم بن أبى الأرقم مكانا يعلم فيه المسلمين ، مبادىء الإسلام وتعاليمه ، ثم وجدت هذه القصور والمنازل بما اشتملت عليه من مجالس . ومنتديات علمية وأدبية وتثقيفية أفاد الكثيرون منها .

وفى السطور التالية ، نتناول شخصيتين إسلاميتين هامتين ، كانت لكل منهما مكانته وآراؤه التربوية ، التى يمكن إعتبارها من أهم مبادىء التربية الإسلامية .

من اعلام الفكر التربوى عند المسلمين

(ا) الغزالى

- هو أبو حامد محمد الغزالى ، ولد بمدينة طوسى بإقليم خراسان ببلاد فارس عام ٤٥٠ هجرية .
- اشتغل بغزل الصوف ، ثم درس علوم الدين والفلسفة ، وعمل مدرساً بالمدرسة النظامية .
- اتبع منهج من سبقه من فلاسفة المسلمين (مع ميله إلى التصوف) من أمثال ابن سيناء والفارابى ، حيث بدأ بالمنطق ثم انتقل إلى الإلهام .
- من أشهر مؤلفاته :

١ - كتاب إحياء علوم الدين .

٢ - كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب .

- من آرائه التربوية : من أبرز آراء الغزالى فى التربية :

(مع تأثره بالاتجاهات الفلسفية والصوفية) .

- الاهتمام بالعلم والتعليم ، باعتقاد أن العلم الصحيح هو سبيل الكمال الإنسانى من أجل التقرب إلى الله ، ومن ثم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة[1] .
- ينبغى أن يطلب العلم للعلم لأنه فضيلة فى ذاته كما أنه متعة يحس بها طالبه[2] .

---

(١) الغزالى - إحياء علوم الدين - مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٠٦ هـ الجزء الأول ص ١٣ .

(٢) فتحية حسن سليمان - مذاهب فى التربية - بحث فى المذاهب التربوى عند الغزالى دار الهنا - القاهرة ١٩٥٦ ص ١٧ .

- التفرقة بين تعليم الصغار وتعليم الكبار، مراعاة الفروق الفردية .
- الإسراع بالثواب والتأنى فى العقاب فى معاملة التلاميذ .
- اللعب بعد الدرس كتعبير عن الفطرة وكترويح للنفس وتجديد للنشاط لدى التلاميذ .
- القدوة الحسنة والمثل الطيب للمعلم فى خلقه وسلوكه أمام تلاميذه .

ويغلب على الظن أن الغزالى ، لم يبد اهتماماً بتعليم الفتاة ، كما لم يحفل بالتعليم المهنى أو الحرفى .

أما عن العلوم والمواد الدراسية ، فقد قسمها الغزالى ، إلى ثلاث مجموعات :

١ — علوم مذموم قليلها وكثيرها ، مثل علوم السحر والتنجيم وكشف الطوالع ، وهذه لا يرتجى نفع منها فى الدنيا أو الآخرة ، وقد تفسد عقيدة دارسها والمصدقا عليها .

٢ — علوم محمود قليلها وكثيرها ، مثل العلوم الدينية والعبادات ، وهذه تؤدى إلى تطهر النفس والسمو بها عن الرذائل وهى تقرب الإنسان من ربه .

٣ — علوم يحمد منها قدر معين ، ويذم التعمق فيها ، وهى العلوم التى تتسبب فى إرتباك الناس وتشككهم ، وقد تؤدى إلى الإلحاد ، مثل الفلسفة .

ثم يرتب الغزالى ، العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين :

(ا) فروض العين أى العلوم المفروضة معرفتها على كل مسلم مثل علوم الدين وعلى رأسها القرآن الكريم .

(ب) فروض الكفاية أى العلوم التى لا يستغنى عنها فى تسيير أمور الدنيا ،

مثل الحساب والطب وبعض الصناعات كالفلاحة والحياكة ، ولكنها لا يجب على كل الناس معرفتها .

أما من حيث نفع العلوم للانسان ، فقد كان الغزالى يرى أنها على النحو التالى:

١ — علوم تنفع الإنسان فى حياته الدنيا وفى آخرته ، وهى تطهر نفسه وتجمل خلقه وتقربه من الله ، وتعده لدنيا الخلود ، مثل القرآن الكريم والدين .

٢ — علوم تنفع الإنسان لضرورتها فى خدمة علوم الدين ، مثل علوم اللغة والنحو .

٣ — علوم تنفع الإنسان من حيث ثقافته واستمتاعه بالعلم ولأنها تتصل بحياته الاجتماعية ، مثل : الشعر والتاريخ والسياسة والأخلاق .

أما من حيث المقررات الدراسية : فهو يقترح ترتيباً لها بحسب أهميتها من وجهة نظره كما يلى [1] :

أولا . مجموعة القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير .

ثانياً : مجموعة اللغة والنحو ومخارج الحروف والألفاظ ، وهى علوم تخدم علوم الدين .

ثالثاً : مجموعة علوم يستفاد منها وهى : الطب ، الحساب ، الصناعات المختلفة ، السياسة .

رابعاً : مجموعة علوم تثقيفية ، وهى: الشعر ، التاريخ، بعض فروع الفلسفة .

---

(١) الغزالى — إحياء علوم الدين — مرجع سابق ص ١٨ .

(٢) ابن خلدون

- هو عبد الرحمن بن خلدون ، ولد فى تونس عام ٧٣٢هـ ، درس كثيراً من العلوم وتقلد كثيراً من المناصب ، فى المغرب والأندلس ومصر فهو مفكر اجتماعى وفيلسوف ومؤرخ .
- له كثير من الآراء ذات القيمة العلمية الكبيرة فى مجالات العلم وبخاصة فى علم الاجتماع .

من أشهر مؤلفاته :

« كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .

وهو من سبعة أجزاء أو مجلدات ، أشهرها المجلد الأول ، ويعرف باسم « مقدمة ابن خلدون » ويقع فى نحو ستمائة صفحة ، تكلم فيها عن أمور كثيرة منها : عمران الأرض فى البدو والحضر ، وطبيعة البشر وأخلاقهم ، كذلك نشأة المجتمعات وإقامة الدول ونظمها وأسباب إزدهارها واضمحلالها ثم الحضارة والتحضر وقد جعل للحضارة ظواهر متنوعة ، منها الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الاقتصادية والظاهرة الثقافية ، وهذه كلها ترافق الحضارة وتواكبها .

- أما عن نظرته إلى العلم والتعليم ، فقد كتب كثيراً عن أساليب التربية والتعليم عند الشعوب الإسلامية فى الشرق والغرب ، وأوضح ما ينبغى أن يتبع من هذه الأساليب فى مختلف مراحل الطفولة والشباب فى تعليمهم .

ولابن خلدون ، رأى فى تقسيم العلوم التى يدرسها المسلم حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام : ١ ـ علوم لسانية . ٢ ـ علوم نقلية . ٣ ـ علوم عقلية .

أما العلوم اللسانية : فتشمل : اللغة ـ النحو ـ البيان ـ الأدب .

وأما العلوم النقلية : فتشمل : قراءة القرآن وتفسيره ـ إسناد الحديث وتصحيحه ، استنباط قوانين الفقه ، وما يتعلق بالكتاب والسنة ثم علم الكلام وعلم التصوف .

والعلوم العقلية : وتشمل العلوم التى يهتدى إليها الإنسان بفكره ، مثل :

المنطق ـ الإلهيات ـ الحساب ـ الهندسة ـ الطبيعيات ـ الكيمياء .

- ثم يرتب ابن خلدون العلوم من حيث أهميتها للمتعلم إلى أربعة أقسام هى : العلوم الشرعية بأنواعها تليها العلوم الفلسفية كالطبيعيات والإلهيات وتليها العلوم الآلية المساعدة للعلوم الفلسفية كالمنطق وأخيراً الفلسفة والمنطق .

آراءه التربوية :

لابن خلدون الكثير من الآراء التربوية ، نذكر فيما يلى بعضها[1] :

أولا : الاهتمام بالقراءة والكتابة ، مع ربط ما يقرأ بمعانيه ومفهومه ثم التدرج من المحسوس إلى التجريد والربط بين المعانى المختلفة ، بعضها البعض .

ثانياً : تأجيل تعليم القرآن الكريم للصغار من الناشئين (كما كان يحدث

للمزيد أنظر .

(١) أبو خلدون ساطع الحصرى ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص ١٥٤ ـ ٤٨٥

فى عصره) لعدم قدرتهم على الاستيعاب والفهم ، على أن يتم ذلك فى سن تمكنهم من الإدراك .

ثالثاً : مراعاة المستوى العقلى ، والنضج الفكرى ، والتهيؤ النفسى فى عملية التعليم .

رابعاً : مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين أثناء تعليمهم وتقبل العلم .

خامساً : ضرورة الاستعداد للتعليم ، ولا بد من التدرج فى القيام به من السهل إلى الصعب وهكذا .

سادساً : ضرورة الإستعانة بوسائل الإيضاح لما فيها من إثارة اهتمام وتشويق فى عملية التعليم .

سابعاً : ينصح المعلم بمعاودة الشرح والإيضاح والتدرج من العموميات أو الكليات إلى الجزئيات أو التفاصيل .

ثامناً : عدم اتباع الشدة أو العقوبة القاسية فى تعليم الصغار ، حتى لا يكون ذلك مدعاة للكسل أو الانصراف عن العلم أو الانحراف فى السلوك .

تاسعاً : ينصح المتعلم بمواصلة تعليمه وألا يجعل تعلمه على فترات حتى لا يكون فى انقطاعه نسيانه ما تعلمه (فى هذا إشارة لتسرب الصغار وانقطاعهم عن الدراسة) .

عاشراً : لا يمانع ابن خلدون فى استعمال الإنسان للغته الدارجة (العامية) إلى جانب اللغة الفصحى ، حتى يتمكن من التعبير عن مشاعره وأحاسيسه .

وفى نهاية حديثنا عن الاتجاهات العامة للتربية الإسلامية التى تعرضنا لبعضها عن طريق طرح بعض الآراء والأفكار ، يمكن أن نقول أن التربية الإسلامية

تعتمد فى جوهرها، على ربط التربية بالحياة الدينية، واتخاذ العلوم الدينية (الشرعية) جوهراً للدراسات الأخرى المتصلة بالدين .

حقيقة ، إننا لو نظرنا إلى طبيعة التربية الإسلامية ، لوجدنا أن الدعوة إلى الإيمان ، مقرونة بالدعوة إلى العلم ، والدعوة إلى العبادة مقرونة بالدعوة إلى العمل، والدعوة إلى الفكر والتأمل مقرونة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان ، والدعوة إلى الغاية مقرونة بالنظر إلى الوسيلة .

وهكذا نجد أن التوازن الحقيق يحيط بجميع جوانب هذه التربية، إذ لا يمكن الاهتمام بأحد الجوانب دون الجوانب الأخرى ، ولا يجوز الاهتمام بالغايات دون الوسائل لأن جميع الجوانب غايات بحد ذاتها ، والأخلاق بأى جانب من هـــذه الجوانب ، يخل بطبيعة التوازن الذى ينبغى أن يسيطر على الفرد[١] .

وبمقارنة ما جاءت به التربية الإسلامية من مبادىء وما تنادى به التربية الحديثة نجد بينهما توافقاً إلى حد كبير ، ومن هذه المبادىء[٢] :

- الحرية والديموقراطية فى التعليم .
- مراعاة الاستعدادات الفطرية .
- التوجيه التربوى المناسب لـكل فرد .
- مراعاة الفروق الفردية فى التعليم .
- الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية .

---

(١) د . محمد فاروق النبهان ـ مبادىء الثقافة الإسلامية ـ دار البحث العلمية ـ الـكويت ١٣٩٤ / ١٩٧٤ ص ١٤

(٢) أنظر محمد عطية الأبراشى ـ التربية الإسلامية وفلاسفتها (ط٢) القاهرة ١٣٨٩ / ١٩٦٩ ص ٢٦

ـ التربية الخلقية والتكامل فى الشخصية .

ـ الاهتمام بالنواحى النفعية ؛ للدين والدنيا .

ـ الدعوة للعلم والتعليم مدى الحياة .

ـ الحث على طلب العلم سواء للفتى أو للفتاة ؛

ـ التدرج فى تربية النشء مع مراحل نموهم .

تحليل ومقارنة

فى ضوء دراستنا السابقة لاتجاهات التربية الدينية بشقيها (المسيحى والإسلامى) فى المجتمع الذى عاشت وازدهرت كل منهما فيه . نستطيع أن نجرى هذا التحليل المقارن :

- أن كلا الديانتين نشأتا فى الشرق مهبط الديانات السماوية كلها ، وهى بهذا تضفى على الشرق العربى - بصفة خاصة - ناحية روحية ، تكسبه الجلال والقداسة بالنسبة لما سواه من أنحاء المعمورة عامة .

- أن كلتا الديانتين وجدتا فى مجتمع تسوده عادات وتقاليد وأخلاقيات فاسدة ، فيه القسوة والبطش والمعاناة والثأر والوأد والإغارة والتحرش والتسلط والطمع والفزع . . إلى غير ذلك مما كان يسود حياة الناس فى تلك الأيام ومما عرض الديانتين - بادىء الأمر - إلى الاضطهاد .

- أن كلتا الديانتين كانت لها أماكن للعبادة وممارسة الطقوس الدينية ، وهى فى نفس الوقت أماكن للعلم ومدارسة تعاليم الدين وما تضمنته أحكامه .

- أن كلتا الديانتين كانت لهما اتجاهاتهما الخاصة والواضحة فى المؤسسات التعليمية التى أنشئت من أجل الدين ثم أضافت إلى علومه علوماً أخرى ، وكان الكتاب المقدس (الإنجيل أو القرآن) وتعاليم النبوة يمثلان محور الدراسة الدينية .

- أن المعلمين فى المجتمعين (المسيحى والإسلامى) كانوا من رجال الدين ولا سيما فى العصور الأولى ، ولم يكن هناك تخصص بالمعنى

المعروف فى عصرنا الحاضر ، ولكن رجل الدين كان يجمع بين علومه وعلوم أخرى (فى معظم العصور) .

• أن كلا من الديانتين اشترطت فيمن يقوم بعملية التعليم أن يكون على خلق فيخلص فى عمله ويراقب ربه فى رعايته لتلاميذه كما يتصف بالنقاء والطهر النفسى إلى جانب إجادته مادته وعلمه .

• أن كلا من الديانتين حرصت على تعليم الفتـــــاة إلى جانب الفتى ، فالديانة المسيحية لم تعترض على تعليم الفتاة ، بل دعت إلى اشتراكها فى الخدمات الدينية بنصيب كبير ، وكذلك ، فعلت الديانة الإسلامية ؛ فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فكل منهما يدعو إلى العلم ويشجع المتعلمين . ومن ذلك ، نرى أن الديانتين قد كفلتا للمرأة حق التعليم الذى لم يتيسر لها فى عصور سابقة .

• أن التربية المسيحية عنيت بالتعليم المهنى أو الفنى (كما كان يحدث فى الأديرة فى العصور المسيحية) إلى جانب اهتمامها بالنواحى الخلقية ، فالمدرســة المسيحية كانت وسيلة لإصلاح المجتمع الذى تسوده الوثنية بمفاسدها ، وكذلك ، اهتمت التربية الإسلامية بالأخلاقيات وتقويمها .

وفى الحديث الشريف : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وهى أيضاً لم تهمل العناية بالنواحى النفعية فى المجتمع ومقومات الحياة بصفة عامــة إلى جانب الاهتمام بنواحى شخصية الفرد وتكاملها كما دعت إلى الاستزادة من العلم ودراسة الـكون وما فيه وضرورة التعارف بين الشعوب وفى ذلك تفاعل حضارى وثقافى له كثير من المزايا .

تلك ، كانت بعض نواحى التشابه بين الاتجاهات التربوية العامة لـكل من التربية المسيحية والتربية الإسلامية .

وفيما يلى نتناول كلا منهما بشىء من التحليل .

أولا — التربية المسيحية :

من المعلوم ، أن الديانة المسيحية تهدف إلى النقاء الروحى والكمال البشرى والبعد عن مباهج الدنيا والإعداد للآخرة ، فهى مقر الرهبنة والعزلة والزهد فى سبيل الخلاص الروحى ، ولهذا ، هدفت التربية المسيحية إلى قهر رغبات الجسد وإعلاء الصفات الروحية والتبشير بالإيمان والأمل فى حياة مستقلة ، ولقد نادى السيد المسيح (عليه السلام) بخضوع الجسد للارادة والروح وأكد الخلاص الأبدى لكل فرد إذا كانت علاقته بالله طيبة .

كما نادت المسيحية بأن القلب والروح الخيران ، وليس مجرد اتباع تقاليد وطقوس معينة هما اللذان يوجهان كل فرد ، إذا كان هدفه السعادة الأبدية فى ملكوت السماء .

ولذا ، نجد أن الطابع العام الذى طبعت به المدارس تلاميذها فى العصور المسيحية كان طابعاً خلقياً ، وكانت الديانة المسيحية منبع تعليمهم ، لا من الناحية العقلية ، بل من الناحية الخلقية وتهذيب النفس ، فهم وإن حرموا التربية العقلية ، فقد نالوا قسطاً عظيما من التربية الخلقية التى ترمى إلى الزهد فى الدنيا وارتقاب الحياة الأخرى الخالدة .

أما عن صلة المسيحية بالفلسفة ، فقد زحفت الفلسفة اليونانية على المسيحية بطريق مباشر ، عن طريق آباء الكنيسة الذين حاولوا التوفيق بين هذه الفلسفة وبين المسيحية ليستطيعوا جذب الطبقات المفكرة إلى المسيحية ، كما زحفت بطريق غير مباشر عن طريق آباء الكنيسة الذين قد درسوا الفلسفة اليونانية قبل أن ينضموا إلى الكنيسة ، وفى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ، كان رجال الدين المسيحى فى الإسكندرية التى كانت مقراً للفلسفة اليونانية)، يصبغون تعاليمهم الدينية بالفلسفة ، فأنشأوا المدارس اللاهوتية لتخريج المعلمين وقادة الدين ، وكانت هذه المدارس فى منازل المعلمين ، وكان الطلاب — بجانب دراسة الكتاب المقدس —

يسمح لهم بدراسة أنواع الفلسفة اليونانية والعلوم والآداب اليونانية والبلاغة وغير ذلك ، ولكنهم كانوا يدرسون كل هذا من وجهة أخرى ولغاية أخرى ، هى الغاية الدينية ، وعلى ذلك ، نرى فى هذه المدارس ، محاولة لمزج الفلسفة بالدين وتقريب التعاليم الدنيوية من الأخروية ، ولكن ، رغم اعتماد المسيحية على الفلسفة اليونانية، إلا أنها خرجت عليها فى بعض النواحى ، فقد اهتمت الفلسفة اليونانية بالناحية العقلية كسبيل الوصول إلى السعادة ،بينما ركزت المسيحية اهتمامها بالدور الأخلاقى ، والعاطفى الذى يلعبه الإيمان فى الوصول إلى السعادة ، كما أنها بشرت بأن مجال السعادة الحقة هو فى الحياة المقبلة فى العالم الروحى الآخر، وليس فى الحياة الحاضرة فى عالمنا المادى[1] .

وأما عن الرهبنة والديرية ؛ فنشوؤها أن طائفة من رجال الدين رأوا أن خير ما يعملون للابتعاد عن الفساد الذى كان قد دب فى مجتمعات الدولة الرومانية حتى سرى إلى رجال الدين فأصبحوا دنيويين ، هو أن يلجأوا إلى حياة النسك والزهد والتقشف ، وكان هذا منشأ الأديرة التى يعتكف فيها الرهبان منفردين فى صوامع، ولا يجتمعون إلا وقت الصلاة والطعام ، ومعظم عملهم ، الاشتغال بفلاحة الأرض أو دراسة الأدب ، لقد كان الغرض الأول من الرهبنة ، هو الزهد كى يتفرغ العقل ، وتنقطع الروح للحياة الآخرة ، هذا ، وقد وجدت فكرة الزهد ، معضداً لها فى أوامر السيد المسيح (عليه السلام) والتى تنص على ألا يفكر المرء فى غده، وأن يبيع بضائعه ليحسن إلى الفقير ، وأن يهجر الأب والأم والزوجة والأبناء ويطرح الدنيا وينكر ذاته ، وينقطع للوعظ ، ابتغاء نشر تعاليم الإنجيل .

وبمرور الزمن ، أضيفت إلى مهمة الأديرة الدينية ، مهمة أخرى ، هى إسهامها فى الحياة التعليمية بنصيب كبير ، فقد أضيفت إلى العلوم الدينية ، علوم أخرى متنوعة ، أثرت الحياة الدينية بمزيد من المعرفة والخبرة والنشاط .

---

(١) صالح عبد العزيز – تطور التربوية – مرجع سابق ص١٢٥

ولكن بالرغم مما تمتعت به الديرية من مكانة وتقدير فى العصور الأولى منذ القرن الرابع الميلادى ، إلا أنها لم تسلم من النقد والتجريح من قبل بعض رجال الدين المسيحى أنفسهم ، فمنهم من يرى أنها قامت فى أساسها على شعور الأنانية المستتر خلف التدين فكل راهب يفكر فى إنقاذ نفسه ويجنبها الضلال دون أن يفكر فى غيره بالقدر الذى يفكر به فى نفسه ، بل وربما أوقعته عزلته عن المجتمع الإنسانى فى كثير من الأخطاء[١] .

ومنهم ، من يرى أن الراهب عندما يعمل داخل الدير ، إنما يتخذ من العمل منفذاً لتصريف طاقة الحماسة المكبوتة فى نفسه وليس لمساعدة غيره أو مساعدة المجتمع .

وكذلك ، منهم من يرى أن نشاط الحركة الديرية أدى إلى التطرف فى فهم الدين ، بل وأدى إلى تمزيق كيان الأسرة ، وشل كثير من مرافق الحياة العامة .

ومما يذكر ، أنه نتيجة للافراط فى الرهبنة والديرية ، أن انتاب الفزع الحكومة الرومانية لكثرة الأفراد الذين هجروا متاجرهم وحقولهم لينخرطوا فى سلك الرهبنة ، فاستنت قانوناً يقضى بتحريم دخول الأديرة على القادرين على الخدمة العسكرية .

وعلى أية حال ، فقد كان للأديرة دورها فى العملية التعليمية . ولا يزال لها دورها بين جوانب التربية المسيحية .

ثانياً — التربية الإسلامية :

الإسلام ؛ دين ودنيا : لم يكن الطابع العام للتربية عند المسلمين ، دينياً محضاً

---

(١) د . محمود عبد الرازق شفشق منير عطا الله سليمان — تاريخ التربية مرجع سابق ص ٥٥

ولادنيوياً محضاً وإنما كان يجمع بين الناحيتين لإعداد المسلم لخيرى الدنيا والآخرة ، وفى كل من القرآن الكريم والحديث الشريف ما يؤكد ذلك ،

يقول الله عز وجل : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

فقد كانت المساجد تتخذ أماكن للعبادة ، إلى جانب اتخاذها أماكن لتصريف شئون الحياة ، ومدارسة علوم الدين والدنيا ، والتاريخ يحفظ لنا كثيراً مما يؤيد ذلك ، فى العصور المختلفة للخلفاء والأمراء والقادة المسلمين ، تنوعت العلوم والمعارف ، ووجد الابتكار والتشجيع والتنافس ، وكان قدر العالم يرتفع بمقدار ما لديه من علم وثقافة فأقبل الناس على العلم يتعلمونه ويعلمونه وكان الواحد منهم يحترف حرفة بسيطة ليتعيش منها ، ثم يطلب العلم لينال بين قومه المركز الممتاز والمكانة المرموقة ، وكان كثير منهم من طبقة الفقراء والعامة ، ثم ارتفع به علمه إلى الذروة من المكانة الاجتماعية الراقية والاحترام الأدبى المجيد .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن المساجد كانت - إلى جانب مهمتها الدينية - مراكز تربوية هامة ، حيث كانت تدرس علوم الدين وعلوم السياسة والقضاء والتشريع وعلوم اللغة من أدب ونحو وبلاغة وغيرها .

وعندما انتهت الفتوحات العربية واختلاط العرب بغيرهم من الأمم ، نتج عن ذلك استثارة النشاط الفكرى والثقافى للعرب وتحمس لهذا الخلفاء والأمراء فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ومن ثم قامت حركة تنافس على كبيرة بين الخلفاء

العباسيين فى بغداد ، والخلفاء الفاطميين فى القاهرة ، والخلفاء الأمويين فى قرطبة[١] .

وكان من بين المساجد التى اشتهرت بعلومها فى دنيا المسلمين ؛ الجامع الأموى بدمشق ، والمسجد الأقصى وجوامع بغداد وقرطبة ، والقيروان ، ثم الجامع الأزهر ، وجامع ابن طولون ، وجامع الحاكم وغيرها . أما نظام الدراسة فى الجامع ، فكان طلاب العلم يجتمعون فى حلقات ، أو فى أروقة يرأسها فقيه أو عالم ، فتلقى الدروس التى كانت تشمل فى أول الأمر تفسير القرآن أو الحديث ، ثم تعددت فشملت علوم اللغة وغيرها ، وكان لكل درس ، مدرس ، وكانت هذه الحلقات تنسب إلى المدرس وتعرف باسمه ، إذ كان يوجد بالجامع الواحد أكثر من حلقة .

ومن مظاهر اهتمام المسئولين بالعلم والمتعلمين ، كان يلحق بالجوامع ، خزانة كتب لتزويد الطلبة بالكتب اللازمة ، فقد عملت فى جامع الحاكم خزانة كتب جليلة ، وكذلك ، عمل ابن طولون فى مؤخرة الجامع ، خزانة شراب ، فيها جميع أنواع الأشربة ، والأدوية ، وعليها خدم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة ، استعداداً لما قد يحدث للحاضرين ساعة الصلاة[٢] .

ومن المعلوم ، أن هذه الجوامع (أو المساجد) ظلت — إلى وقت طويل — تؤدى رسالتها المزدوجة التى تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ولهذا ، كان من المسلمين فى مختلف العصور ؛ الفقيه الطبيب ، والفقيه المهندس ، والفقيه الفلكى ، والفقيه الرياضى ، والفقيه الكيميائى ، والعالم الطبيعى ، والمؤرخ ، والجغرافى ، والرحالة ... إلخ .

---

1) See Khuda Bukhsh; Contrilwtion to the History of Islanic Civilisation.

(٢) أحمد أمين - ضحى الإسلام - جـ٢ ط ١ الطبعة الاولى التأليف والترجمة والنشر) القاهرة : ١٩٣٥ ص١٢ صالح عبد العزيز تطور النظرية التربوية - مرجع سابق . ص ١٥٣

ولقد امتد هذا إلى وقتنا ، ولعل فى تطوير نظم الدراسة والتعليم بالأزهر الشريف وما استحدث به من كليات وما أدخل فيه من علوم وفنون ، خير دليل على ذلك ، بل إنه — فى الحقيقة — عود على بدء ، سبق به الأولون ، وهو ما تتطلبه حياتنا المعاصرة أيضاً .

وهنا ، نرى أن نشير إلى أن علوم العرب والمسلمين ، لم تقتصر عليهم وحدهم ، أو بقيت داخل بلادهم ، ولكنها انتشرت ، عن طريق الوافدين إليهم من بلاد الدنيا رغبة فى العلم ، الذى يقدم لهم عن طيب خاطر ، بل وتكفل لهم الإقامة الطيبة والمعيشة الرغدة ، وكذلك ، امتدت علوم المسلمين عبر البحار ، واخترقت حواجز الطبيعة ، فانتشرت فى بلاد العالم ، شرقاً وغرباً ، ومن حضارتهم أخذت أوربا الكثير ، وعن علمائهم ، أخذت الكثير أيضاً ، فعلماء العرب ، هم الذين احتفظوا بما كان عند اليونان من علوم الرياضة ، والطبيعة ، والكيمياء ، والفلك والطب ، وارتقوا بها ، ونقلوا هذا التراث اليونانى بعد أن أضافوا إليه من عندهم ثروة عظيمة جديدة إلى أوربا ، ولا تزال المصطلحات العلمية العربية تملأ اللغات الأوربية ، وقد ظل أطباء العرب يحملون لواء الطب فى العالم خمسمائة عام كاملة[1] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن أبراج الكنائس المسيحية ، وأبراج نواقيسها ، مدينة بالشىء الكثير إلى مآذن المساجد ، ويعزى انتعاش فن الخزف الرفيع فى إيطاليا وفرنسا ، إلى انتقال صناع الخزف المسلمين فى القرن الثانى عشر إلى هذين البلدين ، وإلى صناعة الإيطاليين إلى بلاد الأندلس الإسلامية ، ولقد أخذ صناع الحديد والزجاج فى البندقية ، ومجلدو الكتب فى إيطاليا ، وصانعو الدروع والسلاح فى أسبانيا . . . أخذ كل هؤلاء فنونهم من الصناع

---

(١) أنظر : هـ . ا . فيشر — تاريخ أوربا العصور الوسطى) ترجمة محمد مصطفى زيادة السيد الباز العرينى . ط ٣ دار المعارف — القاهرة ١٩٥٧ ص ٥٩ — ٦٠ .

د. وهيب إبراهيم سمعان — الثقافة والتربية فى العصور الوسطى — دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ ص ١٥ — ١٦ .

المسلمين ، وكان النساجون فى جميع أنحاء أوربا تقريباً يتطلعون إلى بلاد الإسلام ليأخذوا منها النماذج والرسوم(١) .

وبعد ، فهذه ، هى طبيعة الإسلام ، الخلاقة ، والمبتكرة ، والمتعاونة فى سبيل تقدم البشرية .

وتلك ، هى التربية الإسلامية ، التى تهدف إلى تكامل شخصية الفرد ، وإلى التكامل فى حياة الجماعة والمجتمع .

Encyclopaebi Britann . XVIII, 14 the, edition Asnold, Sir T.W., and Guillaume, A, The Legacy of Islam. (oxford, 1931, p. 121.).

الفصل التاسع

اتجاهات التربية
فى المجتمعات الأوربية

تقديم :

عند حديثنا عن موضوع اتجاهات التربية فى المجتمعات الأوربية ، نجد أمامنا مجتمعات متعددة ؛ فهناك المجتمع الانجليزى ، والمجتمع الألمانى ، وهناك المجتمع الفرنسى والمجتمع الإيطالى.. إلى غير ذلك من نوعيات المجتمعات الأوربية ، ولكل منها ظروفها ، وعواملها التى تقف وراء فلسفتها التربوية ، واتجاهاتها ، ونظمها التعليمية ، ومن ثم ، علينا لتغطية الاتجاهات التربوية فى كل منها على حدة ، أن نتناول بالتحليل والتفسير كل العوامل الثقافية التى تتفاعل داخل هذه المجتمعات ، وبالتالى ، نجد أن مثل هذا العمل قد يستغرق الكثير من الوقت والجهد ، ونحن - من جانبنا - لا نضن بهما على العلم ولكننا نرى أن يكون حديثنا بصفة إجمالية تتخلله بعض التفاصيل حتى تكون الصورة متكاملة أما العصور التى يقع فيها حديثنا ، فهى متنوعة أيضاً ، منها العصور الوسطى (وهذه تقريبية زمنياً إلى حد ما) ، ومنها عصر النهضة (وهو إلى حد كبير معروف زمنياً) ثم هناك العصور الحديثة التى عاشتها أوربا .

والواقع ، أنه لم تكن هناك حدود دقيقة فاصلة بين تلك العصور وبعضها البعض ولكنها كانت متداخلة ، وهى فى نفس الوقت لها سمات التمايز . كل عن الآخر . ونحن فى معالجتنا للاتجاهات التربوية فى أوربا عبر العصور المختلفة ، نستطيع أن نلمس بوضوح - من واقع الدراسة التحليلية - مدى تخلف العصور الوسطى ، ومدى تقدم عصر النهضة ، وكذلك الحال بالنسبة للعصور الحديثة فى أوربا ، حيث تنوعت الاتجاهات ، وتعددت المذاهب التربوية .

وفى ضوء ما قدمنا ، نرى أن نكتفى - فى هذا الفصل - بدراسة نوعية للعصور الأوربية على وجه العموم .

(أ) التربية فى العصور الوسطى

ماذا نعنى بالعصور بـ « العصور الوسطى » ؟

هى العصور التى تقع بين القرن الخامس الميلادى والقرن الثالث عشر الميلادى ، على وجه التقريب ، وذلك كما يرى بعض المؤرخين ، بينما يرى البعض الآخر : أن اصطلاح العصور الوسطى ، يطلق على القرون العشرة ، الواقعة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب (فى النصف الثانى من القرن الخامس) وظهور حركة النهضة الإيطالية (فى القرن الخامس عشر) .

على أن ازدياد الاهتمام بالتقدم الحضارى الذى أصابته أوربا منذ القرن الحادى عشر ، قد أدى إلى الاعتراف حديثاً بأن ثمة حضارة جديدة قوية شهدتها أوربا فى الجزء الأخير من العصور الوسطى .

وهناك فريق من المؤرخين ، يرون اتخاذ عام ٤٦٧ الميلادى (وهو عام سقوط الإمبراطورية الغربية) حداً فاصلا بين العصور القديمة والوسطى ، وعام ١٤٥٣ الميلادى (وهو عام سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين وانتهاء حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا) حداً فاصلا بين العصور الوسطى والحديثة[1] .

وعلى أية حال ، فإن الفترة التى سنتحدث عنها ، سواء من وجهة نظر هؤلاء أو هؤلاء ، هى الفترة التى سادت فيها أوربا عصور التخلف والظلمة الفكرية .

ولقد اتسمت العصور الوسطى (فى أوربا) ببعض الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، كان لها أثرها على النواحى الفكرية والتربوية بصفة عامة .

---

(١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور - أوربا فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ ص

ففى العصور الوسطى ، ظهر الإسلام فى المشرق العربى ثم تمت الفتوحات العربية الإسلامية ، كذلك ، حدثت تطورات وتغيرات سياسية داخل أوربا ، كان لها أثرها على التنظيمات الاجتماعية والدينية ، ثم كانت الحروب الصليبية بين الشرق والغرب .. إلخ ولقد تميزت هذه الفترة من تاريخ أوربا بوجود النظم الإقطاعية ، سواء من قبل الملوك والأباطرة أو من قبل رجال الدين ، مما أوجد التنافس والطبقية فى المجتمع الأوربى . وبالرغم من ذلك ، وجدت اتجاهات اقتصادية وتربوية ، شكلت معالم هامة فى كيان العصور الوسطى ، نحاول — فيما يلى — إلقاء بعض الأضواء على بعض نواحيها :

فى هذه العصور ، مرت بأوربا الغربية ظروف اجتماعية واقتصادية : من بينها ، أن الملوك كانوا يؤجرون قوادهم وموظفيهم الإداريين بمنحهم مساحات من الأرض (أو إقطاعيات) إلى أن صارت هذه الإقطاعيات — فى القرن التاسع الميلادى — وراثية وشبه مستقلة بسبب ما طرأ من ضعف على الملوك ، ومن ثم عجزت الحكومات المركزية عن حمايتها للأجزاء النائية عن عواصمها ، وكذلك أقام الأسقف أو البارون المحلى نظاماً فى مقاطعته وعيشة للدفاع عنها ، وظل محتفظاً بقوته ومحاكمه الخاصة ، ولهذا ، كانت الكنيسة فى الثانى عشر منشأة إقطاعية ذات حكومة دينية ، غرضها تبادل الحماية والخدمات والولاء ، تقوم بها طائفة من رجال الدين ورأسها البابا ، سيدها الأعلى .

كذلك ، كان الحكم الزمنى الإقطاعى ، يتطلب لكى يبلغ تمامه رئيساً أعلى لجميع المقطعين ، وسيداً صاحب السلطان على جميع السادة الزمنيين ، أى أنه كان فى حاجة إلى ملك ، ومن ثم ، كان الملك ، من الوجهة الزمنية ، تابعاً لله ، يحكم بما له من حق إلهى ، بمعنى أن الله أجاز له أن يحكم ، ومن ثم فوضه فى أن يحكم ، أما من الوجهة العملية ، فإن الملك قد ارتفع إلى عرشه بطريق الانتخاب أو الوراثة أو الحرب .

وقد كان كبار الأشراف ورجال الدين ؛ هم الذين يختارون الملوك أو يوافقون على اختيارهم وكان سلطانهم المباشر ، محصوراً فى نطاق أملاكهم الإقطاعية أو ضياعهم (١).

أما عن رجال الدين ، فقد كان مالك الضيعة ـ فى بعض الأحيان ، أسقفاً أو رئيس دير وكان كثير من الرهبان يعملون بأيديهم ، وكثير من الأديرة والكنائس ، تنال حظها من أموال العشور التى تجبى من الأبروشية (الرئاسة المحلية لمجموعة من الكنائس) ولكن المؤسسات الكهنوتية الكبيرة ، كانت تنال الجزء الأكبر من هذه المعونة ، من الملوك والأشراف على صورة هبات من الأرض أو أنصبة من الإيرادات الإقطاعية . وتراكمت هـــذه الهدايا ، حتى أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضى ، ورجالها أكبر السادة الإقطاعيين فى أوربا ، وكان الملك ، هو الذى يعين رؤساء الأساقفة ، ورؤساء الأديرة ، وكانوا يقسمون يمين الولاء له كغيرهم من الملاك الإقطاعيين ، ويلقبون « بالدوق والكونت » وغيرها من الألقاب الإقطاعية ، ويسكون العملة ، ويرأسون محاكم الأسقفيات والأديرة ، ويضطلعون بالواجبات الإقطاعية الخاصة بالخدمة العسكرية، والإشراف الزراعى ، وكان الأساقفة ورؤساء الأديرة الذين يرتدون الدروع والذين يتسلحون بالحراب، من المناظر المألوفة فى ألمانيا وفرنسا ، وهكذا أصبحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعى ، يصل رجالها إلى ثرائهم بوسائل متعددة، من بينها متاجرتهم بالمناصب الكنسية وخدماتها، وبيع صكوك الغفران البابوية وبيع الأدعية . . إلى غير ذلك .

يضاف إلى هذا ، أن بعض رجال الدين ، كانوا يفتقرون إلى ما كان لهم أن يترددوا فيها ، ومن ثم ، قام الناس يهاجمون دنيويتهم ويعيبون عليهم أخلاقهم،

---

(١) د . وهيب إبراهيم سمعان — التربية والثقافة فى العصور الوسطى — مرجع سابق ص ٢٠٤ .

وقد انعكس الهجوم على رجال الدين على الكنيسة أيضاً ، فظهرت موجات من الإلحاد ، كلها يعبر عن الشك فى معتقداتها ، ويحاول هدم وحدتها .

وفى غمرة هذه الأوضاع من الشك والاتهامات ، ظهر جماعة ، يفضلون العزلة عن مفاسد الحياة ولهوها ويؤثرون الزهد والعبادة وهؤلاء هم الرهبان ، الذين آثروا حياة الأديرة والخلاص من الخطايا ، والرغبة فى النقاء الروحى ، مرضاة الرب ، وظهر جماعة من المصلحين الدينيين ، وهؤلاء هم الراغبون فى تصحيح مسار العقيدة ، وصإلاح النظم الكنسية ، ثم الاتجاهات الفكرية بصفة عامة ؛ وامتزجت هذه الإصلاحات بإصلاحات تعليمية أيضاً ، فكانت حركة إحياء العلوم والحركة المدرسية ، وتعاون رجال الدين والدولة فى سبيل نشر العلم والإيمان الصحيح .

وذلك كما حدث فى عهد الإمبراطور « شارلمان » ، فقد كان من المؤمنين بأن نشر العلم يمكن أن عاملا مهماً فى جمع كل الشعوب الجرمانية فى إمبراطورية واحدة مسيحية عظيمة .

وقد كان من أعظم المربين الأوربيين فى تلك العصور « ألكوين » (٧٣٥ — ٨٠٤ م) وتلاميذه ، الذين يعتبرون من المجددين فى النواحى الفكرية والدينية ، على أسس سليمة من التكامل الفكرى والدينى والتربوى بصفة عامة من أجل صلاح المجتمع .

وقد تبع « ألكوين » كثيرون بعده ، كانوا بمثابة رواد لعصرى النهضة والإصلاح ، فيما بعد . وهنا ، لا يفوتنا ، أن نشير إلى أحد معالم العصور الوسطى ، التى تسترعى أنظار الباحثين ونعنى : الفروسية ، وتربية الفرسان :

ربما لا نكون مغالين ، إذا قلنا إن الحروب الصليبية وما تضمنته من اتجاهات دينية ، وما انطوت عليه من نوايا استعمارية ، كانت من أهم العوامل التي أوجدت الفروسية ، فقد وضعت الكنيسة تنظيماتها ، واهتمت بالمصالح الحربية للتيوتون (هؤلاء الذين تأثروا بالمجتمع الروماني وما ساده من روح الحرب) والتي هي في الواقع مصالحها ، إذ كانت الشجاعة الحربية التي يتصف بها الفرسان ــ آنذاك ــ قاصرة على خدمة الكنيسة .

أما النظام التربوي الذي كان متبعاً في إعداد الفرسان ؛ فكان يتمثل في :

(أ) يلتحق الفتى أو الصبي في سن السابعة أو الثامنة من عمره بخدمة أحد الملوك (كوصيف بلغة القصور) حيث يتعلم تقاليد القصر في أنواع الخدمة أو التعامل . . إلى غير ذلك من مكونات الإعداد التربوي حتى سن الرابعة عشرة .

(ب) في الفترة من الرابعة عشرة وحتى العشرين ، يوجه الغلام (أو الشاب الصغير) توجيهاً خلقياً ، ودينياً ، حيث يمارس ألوان الإعداد التي تمكنه من أن يصبح فارساً ، فهو يتعود على تقاليد السلوك الحسن ، ويقضي بعض وقته في الكنيسة والخدمات الدينية ، إذ كان على الفارس الذي يعد نفسه للفروسية أن يقوم بطقوس دينية لتطهيره ، ويجب أن يبارك سيفه على يد أحد أساقفة الكنيسة ، وفي الحفل الديني الذي كان يقام عامة في الكنيسة ، يقسم الفارس أن يدافع عن الكنيسة ، وأن يهاجم الأشرار ، وأن يحترم رجال الكنيسة ، وأن يدافع عن النساء والفقراء ، وأن يحافظ على البلاد وأمنها ، وأن يريق دماءه في سبيل إخوته وأهله وعشيرته[١] .

---

(١) د . محمود عبد الرزاق ، منير عطا الله سليمان — تاريخ التربية — مرجع سابق ص ١٦٩ .

أما الجانب التعليمي (أو المدرسي بالمعنى المعروف) فلم يكن له نصيب كبير في إعداد الفارس ، فقد كان يكتفي بمعرفته القراءة والكتابة ، ودراسة اللغة الفرنسية (لغة الفروسية في العصـــور الوسطى) إلى جانب معرفته الغناء والموسيقى .

ولئن كان هناك مجال للمقارنة بين الرهبنة الديرية في العصور الوسطى وبين الفروسية وتربية الفرسان في تلك العصور ، فمن الواضح أنهما يشتركان في ممارسة الحيـــاة الدينية ولكن قد يختلف أسلوب الممارسة وفقاً للغاية التي يهدف إليها .

والمتتبع لنظام الفروسية ، يلمس بوضوح ـ كما تذكر كتب التاريخ ـ أنها قد كبحت من جماح الخشونة ، وخففت من حدة الصفات البربرية التي شاع أمرها في الحياة وقتئذ ، وقد تم ذلك بالتأثير في نفوس الفرسان ، وجعلتهم ينظرون إلى الخدمة والطاعة وإحترام الذات نظرة جديدة ، ولعل ذلك ، كان من حسنات امتزاج الفروسية بالدين .

ولكن ، بالرغم مما قدمته فروسية العصور الوسطى من أمثلة رائعة في نبل الخلق ، والسلوك الطيب ، والشجاعة الحربية ، إلا أنها لم تخل من بعض الصفات غير الحميدة التي علقت بها كالخشونة ، والعنف ، وسفك الدماء وسوء معاملة العزل من العمال والفلاحين ، بالإضـــافة إلى الإنحلال الخلقي في كثير من الأحيان .

أولا — الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية :

(١) انتشار نظــام الإقطاع :

النزاع بين الملوك والأشراف ، وبين البابوات والأباطرة فى الدولة الرومانية الغربية ـ وجود الإقطاع وانتشاره فى أوربا ـ امتلاك الأرض ، وتبعية من عليها للاقطاعى .

(٢) ظهور المدن :

كانت الضواحى بداية للمدن ، يقيم فيها التجار الصناع ، ويمثلون الطبقة المتوسطة أو البرجوازية ، بعيداً عن سلطة الإقطاعيين والنبلاء .

(٣) التجارة :

أثر الحروب الصليبية فى توسيع التعامل التجارى بين أوربا والشرق ، ثم اهتمام الملوك والأمراء بانتعاش التجارة بكافة السبل ليزداد ثراؤهم ، فقد سارت التجارة وراء الصليب ، بل وربما قادته أحياناً .

(٤) النقابات :

اتسمت العصور الوسطى بظهور النقابات ، وكان أول وجودها فى المدن ، وقد قام بعضها على أساس دينى ، ثم تطورت إلى النواحى الاجتماعية والاقتصادية ، فشملت المهنيين والحرفيين أيضاً ، وقد كان لهذه النقابات أنشطة متنوعة فى تلك العصور ، سواء فى التجارة أو الصناعة ، أو السياسة وغيرها ، فقد كانت بمثابة هيئات متحدة قوية .

ومما يذكر أن كلمة نقابة Guild كانت تعنى ـ فى أول الأمر ـ الاشتراك

فى مال عام ، ثم تطورت ـ فيما بعد ـ فأصبحت تعنى ، الاشتراك فى الجماعة التى تشرف على هذا المال .

(٥) الحياة الدينية ومحاولة الجمع بين الرهبنة والعمل العسكرى :

وتتمثل فى :

(أ) البابوية :

وهى الرياسة العليا للكنيسة .

(ب) التنظيمات الكهنوتية وتشمل .

١ الهيكليين

٢ — فرسان المستشفى

٣ — فرسان التيوتون

— محاولة الكنيسة بتنظيماتها التخفيف من صراعات الإقطاع .

— انتشار الهرطقة والشك وزعزعة الثقة فى رجال الدين بأوربا .

— محاربة الاتجاهات الدنيوية للكنيسة ورجال الدين .

ثانيا — الأوضاع التربوية :

هدف التربية فى العصور الوسطى ، يتمثل فى :

— خدمة الرب والكنيسة والخلق والنفس .

— الازدواج بين مطالب الكنيسة ومطالب الحياة .

جوانبها :

١ ـ حركة إحياء العلوم : بدأت فى عصر شارلمان ق م ـ التعليم فى الأديرة والكنائس (للجميع) . دراسة الفنون العقلية السبعة وهى : الحساب والهندسة والفلك والتناسق والموسيقى والمنطق والفلسفة .

٢ ـ التصوف : علاقته بالأديرة .. الوصول إلى الكمال الروحى والعلمى ـ التأمل مرحلة التصوف : التخلص من شوائب الدنيا ، إضاءة الحياة بالأعمال الطيبة ، الاتحاد الروحى والحياة .

٣ ـ الفروسية : منزلتها الدنيوية تماثل منزلة الرهبنة الدينية ـ الفروسية عمل اجتماعى أقرته الكنيسة ، اقتصرت على طبقة الأحرار الأثرياء ـ سارت جنباً إلى جنب مع الإقطاع ـ المثل العليا فى الطاعة تنقسم إلى مرحلتين :

(١) من سن ٧ إلى سن ١٤ (٢) من سن ١٠ إلى سن ٢١ .

— الجمع بين الفروسية وفنون أخرى .

٤ ـ الرهبنة والديرية : تنوع الرهبنة فى المسيحية ، من أنواعها :

(١) الراهب المتبتل .

(٢) الراهب الجوال .

(٣) المتصوف الزاهد فى صومعته .

(٤) اليسوعى العبقرى الذى يعمل فى المدرسة .

— الرهبنة لها أساس فى العصور القديمة قبل المسيحية ، مثل : قدماء المصريين ـ الإغريق ـ الفرس ـ اليهود .

من سماتها : الزهد وترك الدنيا ـ التهذيب والعمل والتدريب على العمل اليدوى والأدبى .

- تنوع الأديرة فى مهمتها ـ ازدهرت الدراسة فى بعضها وأقفرت فى بعضها الآخر .

— اشتغال نساك الأديرة بنسخ مخطوطات الأدبين اليونانى والرومانى القديمة .

— كان بكل دير ، مكتبة تحتوى على كثير من مقومات العقيدة والفنون العقلية وحياة القديسين

٥ – الحركة المدرسيــة :

— اصطلاح أطلق على الحياة التعليمية والتربية من ق ١١ إلى ق ١٥ م .

- تهدف إلى الإستعانة بالعقل فى الدفاع عن العقيدة والرغبة فى صياغة المعتقدات فى أسلوب منطقى وتنظيم المعرفة وعدم التشكك فى سلطة الكنيسة ، ومحاولة التوفيق بين الفلسفة واللاهوت .

من سماتها : شكلية الحركة المدرسية ـ السطحية فى المرنة ـ الأسلوب المعقد فى التعليم ـ التركيز على المادة وليس قدرة المتعلم ـ الصغار يتعلمون بأسلوب الكبار ـ الوقوف فى سبيل التقدم بشكلياتها ـ لها فضل إثارة الفكر الخامل وبعث النشاط فيه وشحذ العقول على التفكير وكذلك التمهيد لظهور الجامعات .

٦ – الجامعات :

من أشهرها : جامعة بولونيا ، جامعة اكسفورد ، جامعة كمبردج ، جامعة باريس .

ـ بدأت بانتشار بعض المدارس الكاتدرائية فى ق ١٢ ، ق ١٣ م ثم تطورت الجامعات .

ـ كانت تضم مجموعات من الطلبة والأساتذة ـ الصلة التلقائية بين الطالب

والأستاذ ، كان يجمع بينهما الفقر والأجر الزهيد الذى يدفعه للعلم ويقوى الصلة بينهما النشاط الفكرى وحب المعرفة ـ فى القرن ١٥ م ظهرت الحاجة إلى نوع جديد من التربية نتيجة لظهور المدن وتطور المجتمع فى أوربا ـ بوجودها ظهر الصراع بين الواقعين والمثاليين ، التوافق بين الدين والعقل أو بين الإيمان والفلسفة .

– كانت هناك منح للجامعات من أبرزها المنح البابوية كحق التجول والحماية للطلبة والمعلمين وحق الخريجين فى التدريس ـ كان الطلبة فى داخل الجامعات يقسمون فى مجموعات حسب الدول (مثل أروقة الأزهر) وأقسام التخصصات : تمنح درجة الأستاذية (الماجستير) بعد أربع سنوات أو سبع سنوات ، دكتوراة بعد ثمان سنوات بعد الدرجة الجامعية الأولى . أنواع الدراسة : الطب ، القانون ، اللاهوت ، دراسة مبسطة وأجهزة قليلة وآنية بسيطة .

— إفادة أوربا ما كتبه العرب فى العلوم ومنها الطب والحساب والجبر والهندسه والفلك والجغرافيا وغيرها .

المعلمون :

كان معظمهم من رجال الدين — إلى جانب معلمين آخرين بالنسبة المرحلة الأولى أما يعنيه المراحل فكان المعلمون منها أكثر تخصصاً فى المواد والفنون ، وكذلك الجامعات ، كان أساتذتها من العلماء والمفكرين .

(ب) التربية فى عصر النهضة

نعرض ـ فيما يلى ـ لملامح المجتمع الأوربى : خلال القرون : الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادى ، كان المجتمع الأوربى [1] على الوضع الآتى :

أولا : السياسة والحكم :

كانت بداية نفوذ الملوك ، نذيراً بانهيار الإقطاع ، فقد كانت القوة المركزية للملك تطغى على نفوذ الاقطاعيين من النبلاء والأشراف ، بينما كان الحال على نقيض ذلك خلال العصور الوسطى حيث كان النظام الإقطاعى قوياً ونفوذ البابوية عظيماً ، وقد وضح نمو السلطة السياسية المركزية للحكام ونمت سلطة الملك بشكل ملحوظ لاسيما فى كل من انجلترا وفرنسا .

ثانياً : التجارة والاقتصاد:

من المعروف أن التجارة بدأت فى مدن إيطاليا وشمال ألمانيا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر حيث تكونت مراكز هامة للتجارة ، ولكن بعد اكتشافات « فاسكودى جاما وكريستوفر كولمبس وماجلان » حدثت تغيرات خلال القرن السادس عشر حيث اتسع نطاق التجارة بين بلدان أوربا وبين الشرق والغرب ؛ مما أحدث نشاطا تجارياً وإقتصادياً فى كثير من مدن أوربا ، الأمر الذى يمكن بعض هذه المدن من الحصول على الحريات الاقتصادية والاستقلال بنفسها عن السيطرة النبلاء والأمراء الاقطاعيين .

---

(١) هربرت فيشر — أصول التاريخ الأوربى الحديث — ترجمة د . زينب عصمت راشد ، د . أحمد عبد الرحيم مصطفى دار المعارف — القاهرة ١٩٦٢ ص ١٣ .

ثالثاً : طبقات المجتمع .

كان للنشاط التجارى والنمو الاقتصادى أثر فى ظهور جماعات التجار أو الطبقة البرجوازية المشتغلة بالتجارة، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى بدأ تحرر الفلاحين من رق الأرض وذلك بعد القرن الرابع عشر ، وبخاصة بعد التدهور الذى استباح أوربا نتيجة للوباء الأسود الذى أدى إلى ندرة الأيدى العاملة للأرض ، مما ساعد على عملية التحرير هذه .

رابعا : الناحية الدينية :

كانت أمور الكنيسة مضطربة ، حيث توالت وتنوعت عليها الهجمات ، فقد حاول الملوك الحكام بسط نفوذهم عليها ، واحتج الفلاحون والتجار على فداحة الضرائب التى تفرضها عليهم الكنيسة كما ظهر انقسام بين رجال الدين أنفسهم ، استمر مدة طويلة للنزاع على الكرسى البابوى وكان هـــذا من أسباب انهيار سلطة البابوية ، بالإضافة إلى ذلك ؛ سوء تصرف الكنيسة ، كإهمال الواجبات الدينية ومحاولة الإثراء وجمع المال باسم الدين كبيع صكوك الغفران حيث تمحى الذنوب والخطايا مقابل أموال تدفع للكنيسة كل بحسب خطيئته ونوعها ، كل هذه الأسباب أدت إلى ظهور حركات دينية إصلاحية فى تلك الفترة ، كان من أهمها ما قام به « مارتن لوثر » من دعوته إلى الحكام الألمان — وليس البابا — إصلاح الكنيسة وهنا حدث انقسام وثورة دينية على الأوضاع القائمة واحتجاج على ما كان يحدث من الكنيسة ولذا سمى « مارتن لوثر » وأتباعه «البروتستانت» أو « المحتجين » وكان ذلك فى أوائل القرن السادس عشر .

كانت هذه هى ملامح أو صورة المجتمع الأوربى قبل عصر النهضة ، حتى إذا ما بدأت معه تغييرات متنوعة ، كان من أهمها :

مظاهر الحركة الفكرية فى عصر النهضة :

تتضح هذه المظاهر فيما يلى :

١ — إحياء التراث اليونانى والرومانى ، فقد حرص عدد كبير من رجال الفكر على دراسة آداب اليونان والرومان كمصدر أساسى من مصادر الثقافة والمعرفة وهذا العصر يختلف عن العصور الوسطى من حيث الثقافة والمعرفة كانتا من مصدرين ، هما : تعاليم الكنيسة وآراء أرسطو وقليل من آراء أفلاطون .

وقد أثر هذا فى اتجـــاه كتاب عصر النهضة حيث انصرفوا إلى العناية بالأسلوب وجمال الصياغة وجودة التعبير والإنطلاق بينما تخلوا — إلى حد كبير — عن المنهج المدرسى فى البحث أو فى الوصول إلى المعرفة باستثناء الجامعات ، لأن غالبيتها كانت فى بدايتها عنصرا من عناصر التجديد ، أما فى أوائل عصر النهضة فكانت عنصراً من عناصر المحافظة .

٢ — تغلب النظرة الطبيعية على النظرة الدينية : بمعنى أن النظرة إلى الأمور بدأ المنهج العلمى يتحكم فيها ، وأن الإنسان يستطيع أن يصل إلى المعرفة لا عن طريق سلطة الكنيسة فحسب ، وإنما عن طريق الملاحة والمشاهدة والتفكير العقلى أيضاً بالإضافة إلى ذلك ينبغى إدراك حقيقة النفس البشرية بممارسة أنشطة الحياة ليستفيد منها وكذلك الاستمتاع بمباهج الدنيا وتقدير ما فيها من جمال .

٣ — بداية الاهتمام باللغات الدراجة والكتابة بها :

وكان ذلك نتيجة لظهور المدن — فيما قبل واستقلالها بلغتها المحلية (الدراجة)

ونتيجة لحركة الإصلاح الدينى وانتشار المدارس لتعليم قراءة الإنجيل ، ظهرت فى تلك الفترة ، اللغات : الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والألمانية فى حين أنها كانت كلها لاتينية ثم بدأ الكتاب يكتبون لهذه اللغات الجديدة بالرغم من أنها كانت لغة عامية دارجة ومن أشهر الكتاب « دانتى » صاحب الكوميديا الإلهية « وبوكاشيو » فى ديكاميرون » وهى أروع ما كتبه عن الحياة المترفة فى فلورنسا .

أثر العوامل المختلفة (السياسية والاجتماعية والفكرية) على النواحى التعليمية :

من المعروف أن عصر النهضة ، قد اتسم بالصراع بين التفكير الحر وبين رجال الدين والكنيسة ، وقد كانت الكنيسة ، تمثل أفكار العصور الوسطى ، أى أن التفكير العلمى هو الذى أدى إلى تطور الأفكار المدنية وأصبحت جزءاً مستقلا عن الأفكار الدينية . وكان هذا الاتجاه ، نتيجة لتقدم العلوم ، والاعتماد على المشاهدة دون الاقتصار على مدارس الكنيسة ومبادئها ، أى الاعتماد على المنهج العلمى .

كذلك ، بدأت اللغات الحديثة فى الظهور ، نتيجة لظهور القوميات ووجود علاقة وثيقة بينهما ، فقد بدأ الناس يتكلمون ويكتبون بلغاتهم القومية ، وبذلك أصبح المتكلمون بهذه اللغات القومية يتبعون قومية معينة ويتمسكون بها .

وقد وضح أثر هذه العوامل على النحو التالى :

١ — بداية ظهور المدارس الخاصة (بما يعادل المدارس الابتدائية الحالية) سواء فى المدن أو الريف ، ويقوم بالتدريس فيها من يريد ، دون الحصول على موافقة من رجال الدين وذلك ليتمكن الأطفال من التعليم باعتباره وسيلة للاستنارة الفكرية ولفهم تعاليم الدين وليتدرب بمرور الزمن على تحكيم عقله فيما تضمنه

الإنجيل ، (الكتاب المقدس) (١) .

٢ — ظهور الإنتاج الفنى والدراسات الفنية ، فقد تميزت هذه الفترة بهذا النوع من الإنتاج نتيجة للانطلاق من سلطة الكنيسة وقيودها ومحاولة الفنانين أن يعبروا عن أفكارهم وأحاسيسهم تعبيراً نفسياً عن طريق النحت والرسم ، ولو أن محتويات الفن ، كانت فى معظمها متأثرة بالاتجاهات الدينية فالموضوعات نفسها ظلت دينية بمعنى أن التفكير ، ظل متعلقا بالدين ، ولكن الجديد هو الإبداع الفنى فى طريقة التعبير .

٣ — دخول العلوم الرياضية فى دراسة الجامعات ، فمن المعلوم أن الجامعات كانت عنصراً من عناصر المحافظة ولكنها استسلمت تتقبل هذا نتيجة للضغوط التى تعرضت لها فقد بدأت العلوم والرياضة ، تدخل فى نطاق تدريس الجامعات رغم المعارضة العنيفة التى لقيتها أول الأمر ؛ ومع ذلك فإن الجامعات لم تفسح صدرها لهذه العلوم الحديثة (كما كان ينظر إليها) مما أدى فى فرنسا — على سبيل المثال إلى أن تنشىء — إلى جانب جامعة باريس — معهداً جديداً يحتضن هذه الدراسات وهو المعروف باسم « كوليج دى فرانس » بجوار « السربون » وقد تميز هذا المعهد بالأبحاث العلمية ، بينما كانت جامعة باريس تهتم بالدراسات الأكاديمية واللاهوتية .

وقد كانت فرنسا تمثل الزعامة العقلية لأوربا فى العصور الوسطى .

والواقع أن عصر النهضة ، قد شهد كثيراً من التجديد فى مظاهر الحياة كما شهد كثيراً من الاهتمامات التى لم تكن موجودة (أو على الأقل مهملة) خلال العصور الوسطى .

---

(١) مبرو — المرجع فى تاريخ التربية — مرجع سابق حـ ٢ ص ٥١

وكان من أبرز هذه الاهتمامات (١).

— الاهتمام بالحياة الثقافية القديمة ، كما عبر عنها الإغريق والرومان فى آدابهم وفنونهم .

— الاهتمام بنواحى النفس البشرية من وجدان وإنفعال وسلوك مع العناية بالتثقيف الذاتى للانسان بمشاركته فى أنشطة الحياة المحيطة به .

— الاهتمام بالعالم الطبيعى والمسائل الطبيعية والاتجاه إلى دراسة ما فى الحياة من ظواهر ومكونات .

الإصلاح الدينى وأثره التربوى .

صحب عصر النهضة ، إصلاح دينى ، حيث وجه جماعة البروتستانت ، احتجاجهم إلى رجال الدين على تسلطهم فى المسائل الدينية وما كان يسودها من فساد وفوضى كما دعوا إلى وجوب تحكم الفرد لعقله فى تفسير الكتاب المقدس ، على أن هذا الإصلاح قد اتخذ مسارات ثلاثة هى :(٢) .

١ — الناحية الدينية أو اللاهوتية السليمة .

٢ — الناحية الإنسانية ومحاولة التوافق بين الجانبين النقدى والتقليدى .

٣ — الناحية العلمية الفلسفية ، وهذه لم تتضح إلا فى القرن السابع عشر .

ويبدو أن هؤلاء المحتجين (البروتستانت) لم يجدوا استجابة كبيرة لآرائهم أو أنه قد صعب عليهم إقناع غيرهم بما يرون من اتجاهات إصلاحية ، الأمر الذى لم يمكنهم من أن يتركوا آثاراً عميقة وجوهرية فى الاتجاهات الفكرية والعقلية والاجتماعية ، بل لقد تعددت الطوائف الدينية وكثر النزاع بينهما وانعكس هذا

---

(٢) منرو — مرجع سابق ص ٦٤ — ٦٩

Butts. op. cit p.p. 140—142

على التربية حتى بدت شكلية فى مضمونها ، نتيجة لتعدد الجامعات اللاهوتية وسيطرتها ، دون التعمق فى أمور الحياة الاجتماعية ونظمها ، على أنه يمكن القول بأن عناصر التجديد فى التربية أثناء عصر التجديد فى التربية أثناء عصر النهضة كانت تتمثل فى:

الاهتمام بالتربية الرياضية والعنصر الجسمانى إلى جانب الاهتمام بالسلوك والأخلاق أو بمعنى آخر كانت التربية فى بدء عصر النهضة امتزاجاً بين تربية الفروسية والتربية الأدبية كذلك الاهتمام بالعنصر الجمالى ، وقد كان معدوما فى تربية العصور الوسطى وذلك لتغلب مبادىء الزهد والرهبنة فى ذلك الوقت .

ولا شك أن فضل النهضة على التربية ، يتجلى فى تصوير جديد لمعنى التربية الحرة التى تنوعت فشملت التربية البدنية والجمالية والخلقية والأدبية والاجتماعية كما شملت العناصر المعنوية المجردة للأدب واللاهوت وتعاليم الكنيسة ، وكانت هذه التربية تهدف إلى خلق المواطن الحر ، الذى يتميز بذاتية خاصة وبالقدرة على المساهمة فى مهام الحياة اليومية ، مساهمة قائمة على الإلمام بالمعلومات المتعلقة بالحياة ، وذلك للعمل على تحقيق مطالب وطنه وانعاش حياة مواطنيه .

التربية فى العصر الحديث

يتصل حديثنا عن عصر النهضة، وما فيه من اتجاهات متنوعة، سواء كانت تربوية أو تعليمية، بحديثنا عن العصر الحديث.

والعصر الحديث، الذى نعنيه بالنسبة لأوربا، هو الذى يشمل القرون الأخيرة، ربما تصل - فى بعض الآراء - إلى القرن السابع عشر، أو القرن الثامن عشر فى رأى آخر، ويستمر حتى بداية القرن العشرين؛ حيث تبدأ الفترة المعاصرة للفكر التربوى.

على أننا هنا، نكتفى بإبراز أهم الاتجاهات التى مر بها الفكر التربوى، وكذلك النظام التعليمى فى أوربا، بصفة عامة.

وذلك على النحو التالى.

أولا :

الصراع بين الرأسمالية والديموقراطية، وظهور اتجاهات ومدارس تؤيد كل منهما :

لقد ازدهرت التجارة فى أوربا فى هذه الفترات، وظهرت الطبقة الوسطى التى انتشرت نتيجة لاشتغالها بالتجارة.

ثم حدث الانقلاب الصناعى فى أوربا فى القرن التاسع عشر، ثم أدى ذلك، إلى ظهور التكتلات المالية لدى طائفة معينة من الناس لقيام الشركات، وما

مصاحب ذلك من احتكارات ، وكانت نتيجة هذا التطور المادى اتساع الهوة بين الطبقة الرأسمالية وبين بقية الشعب أو الطبقة الكادحة ، ومن ثم ، وجد فى أوربا، نوعان من المدارس يخدم كل منهما طائفة خاصة، وكان الصراع الفكرى والتعليمى قائماً خلال القرن التاسع عشر وأخرياته ، وحتى أوائل القرن العشرين، حول مشكلات ديموقراطية التعليم ، فنجد فى فرنسا وفى انجلترا أثناء تلك الفترة، مشكلة توحيد التعليم فى المرحلة الأولى كذلك ، نجد فى الغرب وفى تاريخ الغرب منذ أوائل القرن العشرين ، المشكلة الخاصة بالتوسع فى التعليم الثانوى والمطالبة بجعله مرحلة عامة ، تهيأ بالمجان لأفراد الشعب .

ثانياً : الدولة تعتبر التعليم واجباً من واجباتها .

فقد بدأت الدولة تحس بمسئوليتها نحو التعليم وتعتبر نفسها مسئولة عنه فبدأت تتدخل فى شئونه وتشرف عليه ، بعد أن كان فى العصور الوسطى وحتى القرن الثامن عشر ، ميدانا من ميادين الكنيسة والهيئات الخاصة ومنذ القرن التاسع عشر بدأت الدولة تتدخل رغم معارضة الكنيسة ، وقد كان هذا التدخل من قبل الدولة ، تدريجيا[1]

ثالثاً : تطبيق العلوم على النظام التعليمى :

بمعنى الأخذ بتطبيق العلوم على النظام التعليمى نفسه وبخاصة علوم التربية وعلم النفس فالتربية ليست عملية عشوائية ، ولكنها عملية هادفة . فهناك وسائل وطرق تدريس ودراسة . ثم هناك الحاجة الملحة إلى إعداد المعلمين وتدريبهم تدريباً خاصاً .

رابعاً : ارتباط التعليم بالقومية :

فقد كان من آثار النهضة ، نمو الروح القومية لدى الشعوب وبالتالى ارتبط التعليم بالقومية واعتبرت الدول ، التعليم ، أداة اجتماعية تهيىء المواطن للنمط للنمط الذى تريده الحياة فى كل دولة من الدول العربية .

Taylov, Harold and others; The Goals of H i : Educaton Harvard univer : y press. cambridridge. 1960. p. 12.

من أعلام الفكر التربوى فى أوربا

١ — جون لوك

بينما كانت مظاهر الحياة ـ فى عصر النهضة ـ تتنوع وتتقدم ، كان الفكر التربوى يتنوع فى اتجاهاته ، ما بين واقعى ، وطبيعى ، ونفسى ، واجتماعى ... وكان لكل اتجاه أعلامه ومؤيدوه ، ومن بين هؤلاء الأعلام « جون لوك » . (١٦٣٢ — ١٧٠٤) وهو مفكر انجليزى ، له كثير من الآراء التربوية .

نشأ لوك فى أسرة مكافحة ، تعلم فى مدرسة وستمنستر والتحق بجامعة اكسفورد حيث درس الفلسفة وكانت خليطا من فلسفة القرون الوسطى والفلسفة الارسطوطالية ممتزجة ببعض العبارات الغامضة والمشكلات المبهمة ، ولكنه بالرغم من ذلك ، أتم دراسته وعين مدرساً للفلسفة اليونانية وفلسفة الأخلاق فى جامعة أكسفورد ، ثم اجتذبت العلوم الطبيعية التى انتشرت فى عصره اهتمام لوك لا سيما وقد كانت تربطه صداقة قوية بعلماء العصر من أمثال : نيوتن و « بويل » فحاول دراسة الطب وبذل فى سبيلها جهداً كبيراً حتى أتمها ولكنه لم يمارس هذه المهنة ممارسة طبيب متفرغ لمهنته وقد كان للأحوال السياسية التى عاشتها انجلترا فى أيامه أثرها فى توجيهه نحو الاشتغال بالسياسة بالإضافة إلى تأثره بآراء السياسيين الذين كان على صلة وثيقة بهم ، وعندما نجحت الثورة الإنجليزية ضد الملك « جيمس الثانى » آخر ملوك أسرة « ستيوارت الاستبدادية ، وتولى وليم أورانج عرش إنجلترا سنة ١٦٨٨ لقب لوك « بفيلسوف الثورة » فقد كان « لوك » يرى ضرورة احترام القيم الإنسانية والحرية الفردية ، سواء فى الدين أو الفكر أو السياسة ، كما نادى بتحرير الفرد الذى كان قد انطمست شخصيته فى ظل من استبداد الكنيسة وتلاشت حقوقه وانصهرت فى نار من طغيان

الملوك ، فأصبحت حياته كلها واجبات بلا حقوق .

والجدير بالذكر ، أنه كان لآراء « لوك » السياسية تأثير واضح فى نجاح الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ، وذلك لتأثر فلاسفة التحرير بها ، مثل فولتير ، ومونتسكيو و « جان جاك روسو » حيث كانوا يعتبرون « جون لوك» نصيراً لسيادة الشعوب على أن أهمية «لوك » لم تكن مقصورة فى ناحية واحدة، ولكنها كانت متعددة النواحى بحيث شملت ميادين : الفلسفة والسياسة والتنظيم الإجتماعى والتربية .

من أشهر كتابات « جون لوك » :

- بعض أفكار عن التربية .
- مقال عن الفهم البشرى .
- توجيه الفهم البشرى .

ويمكن إيجاز آراء « لوك » التربوية فيما يلى :

أولا : بالنسبة للتربية المثالية :

يرى أن الشخصية المثالية ، هى المتحررة من قيود السياسة والدين ، بعيدة عن القيود التى توارثها النبلاء والحكام ؛ فقد كان يهيب بمعاصريه الذين أنهكتهم الحروب الدينية والبغضاء أن يتحرروا دينيا مما فى النفوس ، ليس من سلطة الحاكم والدين مرتبط بما فى عقل الفرد ، وهذا ما يقبله الله ، فالله لا يقبل سلوكا ينتج عن قوة من الحاكم ولن تستطيع وسائل التعذيب ومصادرة الممتلكات

والسجن أن تدبر ما فى نفس الفرد ، ثم يرى تناقضا فى هذا الموقف من « لوك » ذلك أن التربية من أجل الرجل المثالى أو « الجنتلمان » لم تكن مستطاعة لكل الشعب وإنما كانت ممكنة لطبقة مميزة ، ولذلك نراه يقول : إنه إذا استقامت أمور هذه الفئة ، فسوف تستقيم أمور المجتمع كله عن طريقهم .

وهنا يظهر التناقض بين النزعة التحررية وقصر التربية المتكاملة على فئة معينة .

ثانياً : بالنسبة للفضائل : كان يرى غرس الفضائل الاجتماعية فى نفوس التلاميذ : بجانب العلوم التى يدرسونها ، وهو بهذا يؤكد أهمية العنصر الأخلاقى شأنه شأن العنصر العقلى فى التربية السليمة ، إذ أن الرجل المثقف فى نظره ، يجب أن يكون نبيلا ، على مستوى أخلاقى عال ، يمكنه من السيطرة على دوافعه وإنكار ذاته فى سبيل الخير ، والتضحية بالرغبات القريبة فى سبيل الأهداف أو الغايات الصعبة ، كما يجب أن يكون مثابرا ، شجاعا ، مزودا بالعادات الحسنة ، كذلك كان « لوك » يؤمن بالإلهام الإلهى [١] .

ثالثاً : بالنسبة للتربية الخلقية والجسمية : كان يرى أنها تتم بصلاح النشأة وحكمة السلوك والمعرفة ، على أن المعرفة تتوقف على صحة الجسم وحسن الخلق والنشأة الطيبة ، ثم يؤكد اهتمامه بتربية الجسم ، فيقول العبارة المشهورة « العقل السليم فى الجسم السليم » فعندما يكون الجسم قوياً ، يكون قادراً على تنفيذ أوامر العقل ، فالجسم القوى ، قادر على تحمل مختلف الصعاب حتى رغباته .

رابعاً : بالنسبة لتربية الأطفال : كان يرى أن التربية الصحيحة ، تكون بتدريب الأطفال على تقبل أوامر وتوجيهات الآباء والمعلمين مع البعد عن العقوبة

---

1 Lamp recht, Sterling p. Loekeselections, New-york, 1956. p. XXXIII.

البدنية والقسوة كما ينصح « لوك » باستخدام المدح والتشجيع والتقريظ مع الأطفال فهذا مما يؤكد شعورهم بالمحبة والصداقة فى سلوكهم مع الكبار. كذلك، كان يرى ضرورة الاهتمام بالألعاب الرياضية والتربية الجسمية ، فالألعاب الرياضية من أهم العوامل التى تؤدى إلى تكامل الشخصية عند الإنسان ، فهى تقوى الجسم وتنشط الفكر، وتهدىء الانفعالات، وتنفس عن بعض الغرائز المكبوتة فى الإنسان وتقوى فى الطفل بعض القيم الخلقية والاجتماعية كالتعاون والصبر وحب الجماعة بالإضافة إلى تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية بين الفرد والجماعة وخاصة عن طريق النشاط الجماعى ، وهل هذا مما تنادى به التربية الحديثة فى عصرنا الحاضر .

ثم تراه ينصح بإتباع أسلوب معين فى نمو جسم الطفل ، فيقول ، أنه ينبغى لكى ينمو الطفل نموا جسمياً صحيحاً ، ألا يلبس ملابس ثقيلة تدفئه شيئاً وأن يسير ورأسه عارياً ، وأن ينام مبكراً ويستقيظ فى وقت مبكر ، على أن يستغرق نومه ثمانى ساعات ، ومن الأمور المفضلة اتباع مبدأ التقشف .

خامساً : بالنسبة لمحتوى التعليم وأسلوبه (فى عصره) :

كان « لوك » يرى أنه ليس من الضرورى أن يدرس التلاميذ اللغتين اللاتينية واليونانية (وبخاصة اللغة اللاتينية) لعدم جدوى هذه الدراسة إلا بالنسبة لأبناء السادة أو طبقة النبلاء المهندسين (الجنتلمان) أو من هم فى مستواهم الاجتماعى ، بينما تكون عديمة القيمة لابن التاجر مثلا أو للتلميذ العادى ، الذى لا تتيح له الحياة ـ بعد تعليمه ـ فرصة استخدام هاتين اللغتين أو الإفادة من معرفتهما ، وبالتالى فإن دراستهما تكون مضيعة لوقت التلاميذ فى تعلم أشياء لا يستخدمونها فى حياتهم .

بالإضافة إلى ذلك ، فقد دعا جون لوك إلى وجوب تحويل العمل فى مدارس الأطفال إلى لعب حتى يتناسب مع روح الطفل .

وأما عن طرق التدريس ، فكان يرى ألا تكون جافة ونظرته ، بل تكون مرنة ومناسبة لمستوى نمو التلاميذ ونضجهم ، على أن تشمل مهمة المعلم أو المربى تقريب ملكات [١] .

التربية العقلية . وتعليمه حسن استخدام وقته كما يعوده تحمل الآلام ليحقق الكمال فى عمله وفى ضوء ما سبق ، نستطيع أن نقول أن آراء لوك التربوية تعتبر بمثابة إعداد الفرد لمواجهة الحياة بحيث يكون هذا الإعداد شاملا لشخصية الفرد من جميع نواحيها : الجسمية والعقلية والخلقية ، مع البعد عن حشو الذهن بالحقائق الجافة كما كان يرى أن أى علم من العلوم ، لن تكون له أية فائدة بالنسبة للانسان إلا إذا كانت لتلك العلوم ، جوانب تطبيقية عملية ، وعلى ذلك ، فالخبرة ، هى أساس التربية ، وهذا ما ذهب إليه « لوك » ، ومن ثم فإنه يعتبر من بين فلاسفة التربية الواقعيين ، والنفعيين أيضاً .

(1) Essay conoernihg the understahding. II, chap. I, Sec. 2. p. 59

(٢) جان جاك روسو (١٧١٢—١٧٧٨)

ولد « روسو » فى جنيف بسويسرا من أسرة فرنسية الأصل ، بروتستانتية المذهب ، توفى والداه وهو صغير ، فشق طريقه فى الحياة بنفسه وبمعاونة بعض أقاربه ، وتعرض فى حياته الأولى لكثير من ألوان المشقة والهوان ؛ نتيجة لظروف أسرته ومعيشته وقد اشتغل « روسو » ببعض الأعمال فى شبابه وتنقل بين مدن سويسرا وإيطاليا وفرنسا ، واستطاع أن يتعلم الموسيقى ويدرس اللغة اللاتينية ويقرأ لكثير من الفلاسفة والمفكرين مما كان له الأثر فى آرائه وكتاباته ، وقد استقر به المقام فى باريس وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، حيث أخذ يتردد على الفلاسفة ويشاركهم الفكر والكتابة حتى ظهرت له كثير من الكتابات الفلسفية والاجتماعية ، لقى بعضها القبول والتأييد ؛ بينما هوجم البعض الآخر ورفض من قبل المسئولين بصفة خاصة مما عرضه للاضطهاد فى كثير من الأحيان حيث كتب عن العدالة الاجتماعية بجرأة نادرة فى عصره ، ويبدو أن طفولة «روسو» وحياته بين فقراء أحيانا وأغنياء أحيانا أخرى ثم احتكاكه بعناصر الفساد الخلقى على مستوى الأفراد والجماعات وما تعرض له من أساليب المعاملة مع الناس وما عاناه من أمور ، كل ذلك ؛ جعله يكتب بإيمان مصدق ، ويضمن كتاباً عنه خواطره وخلجات نفسه .

ومن أشهر مؤلفات « جان روسو » :

١ — منشأ عدم التساوى بين البشر :

وهو أول ما عرف من كتاباته ، وفيه يبين ظروف المساواة التى كانت تسود المجتمع البدائى ، ووصف البيئة الاجتماعية الأولى التى كان الإنسان الأول يعيشها من حيث الحرية والمساواة ثم زعم « روسو » فى كتابه أن التمدن أو التحضر مصدر من مصادر الشر والفساد للناس فيذكر مثلا ، أن الإنسان البدائى ، كان

يعتاد الآفات وتشتد بنيته بمقاومتها ، ولم يكن يصاب إلا بالقليل من الأمراض فقلما كان يحتاج إلى الأدوية وكانت حاجته إلى الأطباء أقل وإنما تعتل الصحة بالإسراف فى المعيشة ، وبالميول المصطنعة وما ينتج عنها من إجهاد جسمى وعقلى ، ثم أن حياة البشر وما فيها من زراعة وصناعة واكتشاف واستخدام للأدوات المختلفة ومن وجود قوانين وتنظيمات وامتلاك وتملك وقيام الدول ونشوب الحروب ، . . إلى غير ذلك مما يعيشه الناس ، جعل الإنسان الطيب بالطبع ، شريراً بالإجماع وبما أتاحه له الاجتماع من تقدم عقلى وصناعى ، وهكذا أضحى الاجتماعى ضرورياً لحياة البشر ومن العبث محاولة فضه أو العودة إلى حال الطبيعة ، ويعالج « روسو » ذلك بقوله ، أن كل ما نستطيع صنعه هو أن نصلح ما أوجده الاجتماع من مفاسد بأن نقيم الحكومات الصالحة ، ونهىء لها بتربية المواطنين الصالحين .

٢ ـ العقد الاجتماعى :

فكرته الأساسية ، هى تصور « روسو » لوضع السلطة الحاكمة والعلاقة بين الشعب والحكومة ، وهى تقوم فى نظره ، على التعاقد بين الشعب وبين الهيئة التى يختارها الشعب لتحكمه ، ويتعهد فيه الطرفان بالتزامات نحو بعضهما وحقوق وواجبات يرتبط بها كل من الطرفين .

وهذا الكتاب ، يعطينا صورة واضحة عن الأفكار السياسية « لروسو » وفيه دافع عن الفقراء وانتصر للعامة وطالب بالرجوع إلى الطبيعة لتحقيق العدالة الاجتماعية ونادى الحرية والمساواة فلا يمعن الغنى فى غناه ويستمر الفقير فى فقره ومن ثم فلا يشترى الغنى الفقير ولا يبيع الفقير نفسه نتيجة لعوزه وحاجته[١] .

---

(١) دكتور / يوسف كرم — تاريخ الفلسفه الحديثة — دار المعارف — القاهرة ١٩٥٧ ص ١٩٨

وقد عاب « روسو » على فولتير « وصفه لجماهير الشعب وسواده الأعظم بأنهم أغبياء متوحشون ، وأنهم ثيران ، لا يحتاجون إلا إلى متخس ينخسون به ونير يوضع على رقابهم وعشب يأكلونه ، وعارض كثيراً من آرائه وهاجم كتاباته .

٣ ــ أميل :

يعتبر أشهر مؤلفات « روسو » وقد ضمنه كثيراً من آرائه فى التربية ، حيث يضع الوسائل التي يمكن أن ينشأ عليها الطفل منذ صغره حتى يصير شابا متكامل الشخصية ، ثم يعرض « روسو » لتربيته زوجة أميل هذا ؛ والذى أطلق اسمه على الطفل الذى يقوم بتربيته ومن خلال تربية الزوجة ،يعرض «روسو» لكيفية تربية الفتاة ورأيه فى تعليمها .

ويرجع البعض أن « روسو » كتب مؤلفة « أميل » إجابة لسؤال وجهته إليه إحدى السيدات تستفسر فيه عن كيفية تربية أبنائها تربية مثالية .

ضمن « روسو » كتابة المبادىء التربوية التي يراها ؛ وقد ابتدأها بقوله : « كل شيء يأتى حسنا وطيبا من الخالق والطبيعة ؛ ولكنه يبدأ من الفناء والدمار عندما تصل إليه يد الإنسان؛ ونحن نستمد تربيتنا من هذه المصادر الثلاثة: الطبيعة ؛ الإنسان ، الأشياء ، وإذا لم تتلاءم التربية الصادرة عن تلك المصادر ساءت تربية الفرد ، أما إذا توافقت فى تربية فرد دون آخر ، واتجهت نحو الهدف نفسه ، فعندئذ يمكن أن يقال ؛ أن هذا الفرد يتجه اتجاها صحيحاً ويعيش فى ثبات وطمأنينة ، ويقال عنه دون غيره ، أنه يتربى والإنسان يسيطر على اثنتين من هذه القوى أو المصادر . بينما يعجز عن القوة الثالثة وهى قوة الطبيعة ، ويقصد بها النمو الباطنى لملكاتنا والإنسجام فى التربية ، لا يتأتى إلا إذا أخضعنا تربية الإنسان والأشياء للطبيعة .

فالمبدأ الأول فى تربية « روسو » يتمثل فى دعوته إلى الطبيعة الساذجة حتى يعود الإنسان إلى حريته ونموه الكامل ، والمبدأ الثانى يتمثل فى نبذ مقتضيات وضغوط المجتمع المتحضر والمبدأ الثالث ، يؤكد أن الطبيعة خير معلم يتعلم فيها الطفل من تجاربه العديدة فى المحيط الطبيعى والتربية فى نظر « روسو » لا تخرج عن كونها عادة، فالميول الفطرية التى لا يغيرها التكيف أو التزييف أو الايحاء ، هى قوام الطبيعة ، فالتربية وفقاً لقوانين الطبيعة معناها أن الأحكام الغريزية والانفعالات الفطرية والغرائز الطبيعية ، هى أصدق أساس للعمل من التفكير والحذر والخبرة الناشئة عن الارتباط بالآخرين .

ويغلب على الظن ، أن المدلول الأساسى للطبيعة فى كتاب « أميل » هو المدلول الاجتماعى لأنه يدل فى مؤداه على أن حياة الإنسان البدائى ، أرفع من جميع المظاهر الثقافية المتحضرة ، ولكن « روسو » كما أوضح فى مؤلفه « العقد الاجتماعى » ، يبين لنا كيف أن الدولة الطبيعية فى أحسن مظاهرها ، يمكن أن تؤسس على مبدأ سياسى حقيقى، ومن ثم ينشأ نوع نبيل من الحياة الاجتماعية أحسن مما كان سائدا فى القرن الثامن عشر الذى عاش فيه « روسو » .

ومن أجل هذا ، نجد أنه فى كتاب « أميل » يعرض لونا من التربية غير قائم على نمط مجتمعه ، فالتربية — كما يراها — لا تقوم على ما يسير عليه المجتمع ولا على التقاليد المدرسية ، ولا على تجاهل الطفولة ، ولكنها تقوم على معرفة حقيقية للانسان ، وكما بين فى كتابه « العقد الاجتماعى » أن الحقوق الوحيدة للانسان ، أى حقوقه الطبيعية هى تلك الحقوق المستمدة من الطبيعة فكذلك نجد أنه فى كتابه « أميل » يؤكد أن التربية تسيرها هذه القوانين نفسها ، فالرجل الطبيعى ، ليس بالإنسان الهمجى ، ولكنه إنسان تسيره وتحكمه قوانين طبيعية[1] .

---

(١) د. محمود عبد الرزاق شفشق ، منير عطاالله سليمان — تاريخ التربية — مرجع سابق ص٣١٦ .

والتربية من أجل المحافظة على التقاليد ، هى من وجهة نظره، مجرد استبعاد ، إذ عن طريقها ، تهمل طبيعة الطفل وتنسى العوامل التى تساعد على سعادته .

وقد عبر « روسو » عن ذلك بقوله : أن الحكمة البشرية جميعها ، لاتحتوى إلا على تحكمات استبدادية . فعاداتنا لا تعدو أن تكون إذلالا واستبداداً . وكبتا وألما ، فالرجل المتمدين ، يولد ويعيش ويموت فى حالة من العبودية ، هى أغلال الأنظمة المختلفة للمجتمع ، وما المدن ، إلا مقابر للجنس الإنسانى من الناحيتين ؟ الخلقية والطبيعية .

كذلك دعا « روسو » إلى الأخذ بمبدأ التربية السلبية بمعنى أن التربية الأولى التى تقدم للطفل ، ينبغى ألا تتكون من تلقين مبادىء الفضيلة والحق ، ولكن قوامها المحافظة على القلب من الرذيلة ، وعلى العقل من الزلل ، وأن وسيلة التربية ، هى النمو الحر الطليق لطبيعة الطفل . ولقواه ولميوله الفطرية .

ومن المحتمل ، أن « روسو » لم يكن يقصد بالتربية السلبية ، ألا تكون هناك تربية مطلقا ، وإنما أراد أن تكون هذه التربية ، مخالفة لما كان معهوداً من النظم التربوية فى ذلك الوقت .

أما مراحل النمو التى وضعها « روسو » ليمر منها « أميل » وما يقترحه لكل مرحلة فكانت على النحو التالى :(الفصول الأربعة من كتاب «أميل »).

١ ـــ المرحلة الأولى ـ من الميلاد إلى سن الخامسة :

وهى مرحلة التفتح ، وتتميز بالتربية السلبية حيث يترك الطفل فيها حراً حرية كاملة ، لتتفتح مواهبه كالزهرة ، والأب هو المربى الأول للطفل وهو معلمه الطبيعى ، والأم هى مصدر الحنان والرعاية وهى مربيته الطبيعية .

وينصح « روسو » بأن يعيش الطفل فى الريف ، لينمو جسمه وعقله فى

حرية تامة ، كما ينصح بتعريضه للجو وتحريره من اللفائف ، وعدم المغالاة فى العناية به ليعتاد مقابلة صعوبات الحياة فى المستقبل ، وكذلك يترك ليتعلم الكلام بنفسه وتتكون لديه القدرة على التفكير .

٢ — المرحلة الثانية — من سن الخامسة إلى الثانية عشرة :

وهى مرحلة الاستفادة من الخبرات الطبيعية بعيداً عن الكتب ، وفيها يبدأ الطفل الاتصال بعالم المحسوسات فى محيطه الطبيعى ، فيتعلم بنفسه ويستفيد من الخبرات الطبيعية ، وهو يعد حواسه للاتصال المباشر بتدريبها بالإضافة إلى العناية بالتربية الجسمية ، وينصح « روسو » بأن يعود الطفل على الخشونة وإلى جانب تعويده العادات الخلقية السليمة ، وليس من الضرورى أن يتعلم القراءة والكتابة ، أو يعرف شيئا من الكتب ، لأنه سوف يتعلم الكثير من كل شىء يتصل به ، كذلك ينصح بألا يعاقب الطفل ، وإنما يترك للطبيعة لتعاقبه .

٣ — المرحلة الثالثة : من سن الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة :

وهى مرحلة التحليل والمناقشة والعواطف وفيها تنمو قدرة « أميل » على الفهم والتحليل والمناقشة ، وهى مرحلة التفكير وحب الاستطلاع والدراسة والتعليم والعمل والرغبة فى المعرفة . وكل هذه صفات ينبغى الإفادة منها ، وليس معنى هذا ، أن يلجأ إلى الكتب ليتعلم منها فحسب ، ولكن العالم المحيط به هو كتابه ، وحقائق هذا العالم ، هى موضوعات التعليم ، كذلك ينصح « روسو » بالاهتمام بفروع المعرفة التى تتضح فائدتها العملية ، وتكون بدافع من غرائز الفرد ورغبته فى تتبعها ، ثم يؤكد ، أن العقل والقلب والعواطف ، هى كلها أساس اكتساب الخبرات .

٤ — المرحلة الرابعة — من سن الخامسة عشرة إلى العشرين : وهى مرحلة

التربية الوجدانية وفيها بعد « أميل » للحياة مع الآخرين وتكوين علاقات اجتماعية معهم وبالتالى ، فإن محبة الآخرين ، هى الدافع الموجه لسلوكه ، ويكون هدف التربية هو تنمية الوجدان وتقويم الأخلاق وهذا يتأتى عن طريق قراءة التاريخ ودراسة سير الأبطال والعظماء كما ينصح «روسو» بأن يتعرف «أميل» على تعاليم الدين ومبادئه مما يوجه سلوكه وينمى وجدانه ، بالإضافة إلى ذلك ، عليه أن يفيد من احتكاكه بذوى الخلق السىء ، وبالتالى، يجب أن يقوم بزيارة السجون ليعرف نتائج السلوك الخاطىء فيبعد عن الشرور وعليه أن يزور الملاجىء، فيتعلم كيف يعطف على الفقراء ويساعدهم ، وعليه أن يقوم بزيارة المستشفيات ، ليلمس بنفسه أهمية الصحة للانسان وليتعود عمل الخير ، إلى غير ذلك من الأمور التى تعمل على تربية الوجدان ، ومهمة المعلم هنا المتابعة والتوجيه .

تلك ، هى مراحل تربية « أميل » كما يراها « جان جاك روسو » ، حتى إذا ما كبر « أميل » وأراد أن يتزوج يبين « روسو » ما ينبغى أن تكون عليه زوجته والتى اختار لها اسم « صوفى » ، ومن خلال عرضه فى كيفية اختيارها نستطيع أن نتعرف على رأى « روسو » فى تربية الفتاة أو المرأة بصفة عامة، وهو ماضمنه الفصل الخامس من كتاب « أميل » يرى « روسو » أن تأخذ الفتاة دورها فى التربية الطبيعية ، وأن تصل إلى المهارات اللازمة لشئون البيت ، فهى بالإضافة إلى رشاقة الجسم وسلامة البنية ، ينبغى أن تعلم الطهى والتطريز والموسيقى والعناية بالطفل ، وليس من الضرورى أن يتعلم العلوم العقلية ، بل وينبغى أن تتعلم كيف تكون فاتنة وجذابة ، فوظيفتها الرئيسية هى إسعاد الرجل وإرضاؤه والقيام بتربية الأطفال ، ومن ثم ، فإن كل ما تتعلمه ، يجب أن يدور حول إسعاد وخدمة الذكر ، طفلا وصبياً وزوجاً .

وربما يتضح رأى « روسو » بالنسبة لتعليم المرأة فى قوله :

« أن المرأة المثقفة ، وبال لزوجها وأطفالها ، وعائلتها ، وخدمها ولكل فرد

ويعزو بعض المفكرين، موقف « روسو » من المرأة وتعليمها إلى ما قد يكون في حياته من خبرات غير طيبة مع بعض النساء .

إلى جانب ذلك من تراث « روسو » هناك كثير من الآراء التربوية التي ينادي بها أهمها :

١ — أن هدف التربية : هو تكوين الإنسان الكامل وبالتالي فإن من واجب التربية أن تتغلب على ما يعوق نمو الطبيعة الإنسانية أو يؤثر فيها تأثيراً سيئاً .

٢ — أن كثرة الضغوط على الصغار من قبل الكبار بأوامرهم ونواهيهم تفقدهم القدرة على التفكير وتميت عندهم الإحساس بالحياة فلا يستطيعون التعبير عن أنفسهم وإنما يتصرفون إرضاء للغير وخوفا من عقاب الكبار لهم .

٣ — أن دراسة العالم من وجهة نظر الأطفال بميولهم وغرائزهم وعقلياتهم وتفكيرهم على جانب كبير من الأهمية مما يفيد المربين ، فهم يعدون هؤلاء الأطفال للحياة المقبلة ، ومن ثم فعليهم أن يدركوا العالم من منظور الصغار وكيف يرونه وبالتالي يقدمون لهم من المواد الدراسية وأنواع المعرفة ما يناسبهم ويشبع رغباتهم .

٤ — ضرورة الاهتمام بالتربية الجسمية عند الأطفال مع تربية حواسهم والإفادة من حركتهم ونشاطهم واتباع الوسائل التي تبرز هذا النشاط بما يعود عليهم بالفائدة بدنيا وفكريا مع عدم الاهتمام بتعليم الأطفال ، القراءة في صغرهم.

٥ — ضرورة الاهتمام بالدراسات العملية والطبيعية والرياضية ، فذلك أكثر جدوى من الاعتماد على الدراسة في الكتب ، كذلك ليس من الضروري تعليم اللغات أو الآداب .

٦ — ضرورة أن يترك الطفل حراً طليقا، يتجول فى أنحاء الطبيعة فيتعرف بنفسه على ما تحتويه من جمال وإبداع تتجلى فيه قدرة الله خالق كل شيء .

وهذا يدعوه إلى دراسة مكونات الطبيعة من نبات وحيوان وجماد ، وليس من الضرورى الاختلاط بالناس أو الاحتكاك بالبشر ، فالإنسان شرير ، والطبيعة خيرة .

القيمة التربوية لآراء روسو : يمكن إيجازها فيما يلى :

— يعتبر « روسو » أول من وجه اهتمام المربين (فى العصر الحديث) لدراسة الطبيعة .

— أعطى أهمية كبيرة لدراسة الطفل كأساس للعملية التربوية .

— يعتبر اتجاهه ، أساسا للاتجاهات الأخرى التى تدور حول الطفل من نفسه وعلمية واجتماعية .

— أبرز قيمة الاهتمام بالخبرات الحسية فى تربية الطفل مع التقليل من أهمية الكتاب كمصدر أساسى للمعرفة.

— أوضح أن هناك فرقا بين تربية الصغار وتربية الكبار ،فيتصور الأطفال وفهمهم وتفكيرهم ، يختلف كثيراً عن الكبار ، الأمر الذى يستلزم معاملة الأطفال وتربيتهم تربية خاصة أو معينة.

— أعطى أهمية للجانب العاطفى فى التربية دون اقتصارها على الجانب الفكرى وقد أدى هذا إلى وجود الدراسات الخاصة بتكامل الشخصية ، وبالتالى الموازنة بين الجانب الفكرى والجانب العاطفى فى التربية .

هاجم الطرق التقليدية فى التربية ، فقد كانت آراء « روسو » — فى معظمها — رد فعل للتحكم والتشكيك الجانبي الذى كان يسود المجتمع — آنذاك — بصفة عامة ، وتربية الطفل بصفة خاصة ، وما صحب ذلك من سيطرة العناصر والآراء التقليدية .

تعقيب :

لقد وجهت لآراء « روسو » التربوية كثير من الانتقادات ، كان من أبرزها :

— عدم وجود ظروف طبيعية خالصة ، وهى التى يدعو إليها لاستفادة الإنسان من حريته .

— التقليل من أهمية دور المعلم ، إذ لا يمكن أن يترك الطفل — فى أى مرحلة دون تدخل مباشر أو غير مباشر من قبل المعلم فى تربيته .

— تجاهل وجود النمط الاجتماعى الذى يسير عليه المتعلم فى تعليمه وليست المبالغة فى تحقيق الرغبات والميول .

— خطأ الاعتقاد بأن العقل مصدر من مصادر الشر ، بينما هو ميزة الإنسان الكبرى ومعقل تفكيره وينبغى الجمع بين العقل والعاطفة .

تحليل ومقارنة

لقد ظلت النزعة السائدة فى العصور الوسطى الأوربية ينفى قيم الحياة الدنيوية ، تبجل الحياة الآخرة وتنادى بأن الحياة الدنيا ، إن هى إلا إعداد للاخرة بالفهم المحدود لمضمون الدين .

وظل الحال كذلك ، حتى جاء عصر النهضة ، وبدأ الاهتمام بالحياة الدنيا حيث ظهرت مجموعة الاكتشافات الجغرافية ، والعلمية ، كما حدثت تطورات سياسية واجتماعية وقومية إلى جانب ماحدث من اتجاهات فكرية وتربوية ، كان لتلك العوامل أثرها فى إحداثها على أن العصور الوسطى ، لم تخل من وجود بعض الاتجاهات الفكرية والتربوية ولو أنها كانت تظهر من وقت لآخر ، وكان لها من الفوائد مايبرر الأخذ بها آنذاك .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فلعل أهم حدث كان فى العصور الوسطى بالنسبة لأوربا هو وقوع الحروب الصليبية بين الشرق والغرب والتى امتدت نحو قرنين من الزمان احتك خلالها الغرب بالشرق ، ومن ثم كانت هذه الحروب من أبرز مسالك الإسلام والحضارة الإسلامية والعربية - بصفة عامة — إلى أوربا ، فلقد وجد الصليبيون أنفسهم أمام حضارة إسلامية ، ذات إشعاع عظيم ، فبهرهم هذا الإشعاع ، ولمسوا التفوق السياسى والتنظيم الاجتماعى عند العرب ، فعادوا يحملون انطباعاتهم ، وينشرون الدعوة إلى إصلاح شامل ، يبدأ بتحرير الفكر ، وبتسهيل التبادل المادى والفكرى ،

ويصون الحرية الفردية، ويكفل للرعية الرفاهية والطمأنينة[1]. فقد كان الشرق في نهضة شاملة بينما كان الغرب متخلفا ولقد كانت أخطر العلل التي تفتك بالممالك والقوميات الأوربية في العصور الوسطى — كما سبق لنا الحديث — هي النظام الإقطاعي القاسي ، فقد كان الإقطاعيون يمثلون ملوكا بجانب الملوك ، وكانت إقطاعياتهم تمثل دولا وسط الدولة ، كانت الشعوب الأوربية تحت تصرف وحكم هؤلاء الإقطاعيين ، يحكمونها حكم العسف والإرهاق والإذلال . وكان للحروب الصليبية أثر حسن على الملوك والشعوب معاً ، فقد سيطرت على كثير من الإقطاعيين فكرة تكوين الممالك، والإمارات في بلاد المشرق، فأخذوا يجهزون الجيوش، والمعدات الحربية لسفر طويل شاق، وفي سبيل ذلك، كانوا يبيعون المدن والقرى لأفراد الشعب المضطهد، فأخذت هذه الطبقة الدنيا تستنشق نسيم الحرية والانطلاق وتتذوق لذة إمتلاك الأراضي والعقارات .

ولم تكن فائدة الملوك أقل من ذلك ، فقد كان يقوى نفوذهم ، وتتسع دائرة تصرفهم الفعلي شيئا فشيئا بقدر ضعف النظام الإقطاعي ، وكانت قوة الملوك وضعف الإقطاعيين من أهم أسباب ظهور القوميات ، واتحاد الممالك في أوربا .

ولما كان نفوذ الكنيسة سائداً — بصفة عامة — في العصور الوسطى ، وأثناء الحروب الصليبية — بصفة خاصة — فقد أصبح للبابوية سلطة نافذة على الملوك وطبقات الشعب، ومن ثم ، أثرت الكنيسة ورجالها إثراء فاحشا،

---

(١) أغاخان — زكي علي — أوروبا والاسلام — دار الكشوف — بيروت ١٩٤٧ ص ٣٤

مما دعا رجالها إلى الانغماس فى الترف والإغراق فى الشهوات واشتهر الكثير منهم بالفساد الخلقى ، مما دعا مفكرى أوروبا — فيما بعد — إلى الثورة على الكنيسة ، واندلاع حركة الإصلاح الدينى .[1]

وبقيام حركة الإصلاح الدينى ، تبعتها حركات إصلاحية أخرى فى نواحى الحياة كان معظمها نتيجة لمشاهدات الملوك فى البلاد العربية والإسلامية أثناء قيامهم بالحملات الصليبية ، وما نتج عنها . نعم ، لقد كان للحروب الصليبية آثارها الطيبة بالنسبة لأوربا ، حيث أخذت عن الشرق الكثير من العلوم والفنون وفى مختلف مجالات الحياة من تجارة وعمارة وبحارة وغيرها ، حتى قال بعض المؤرخين :

إن أوربا فى عصورها الوسطى ، لم تجتمع على هدف معين مشترك ، هز شعوبها ، وعم جميع طبقاتها ، مثلما اجتمعت على الحروب الصليبية، فقد كانت الحمية تشمل جميع الطبقات ، تدفعها الأغراض المختلفة ، والدواعى المتنوعة، ولكنها كانت تحت هدف واحد، هو الإتجاه إلى المشرق، وقتال المسلمين تحت راية الصليب ، وكانت الدعاية تصل إلى كل أذن . وكان الإحساس المتدفق،والشعور الملتهب ، يشمل كل من وصلته الدعاية، أواستمع إلى الدعاة ، واتصل الناس بالعالم الخارجى ، بعد أن كانوا منعزلين عنه .[2]

وفى تحليلنا الاتجاهات الحياة الفكرية خلال العصور الوسطى، نجد أن النزعة التى ظلت سائدة فيها ، كانت تنفى قيم الحياة الدنيوية ، وتجعل

---

(١) غوستاف لوبون ـ حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعيتر القاهرة ١٩٤٥ ص ٣٢٣

(٢) محمد العروسى المطوى الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب دار الكتب الشرقية تونس ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م ص ١١٣

الحياة الآخرة ، وتنادى بأن الحياة الدنيا ، إن هى إلا إعداد الاخرة، وربما كان الواقع بعيداً عن ذلك .

حتى إذا كان عصر النهضة ، لمسنا الاهتمام بالحياة الدنيا وبحياة الإنسان كدعامة أساسية فيها ، فظهرت المذاهب المختلفة فى اتجاهات التربية ، وبعد أن كانت اتجاهات العصور الوسطى تتلخص فى النواحى الدينية والرهبنة ثم الحركة المدرسية والتربية الفروسية،نجد فى عصر النهضة وماتبعه من عصور حديثة كانت لها سمات الإصلاح والتجديد ، اتجاهات فكرية وتربوية متنوعية ، فهناك :

— الاتجاه الإنسانى ، ومن رواده : بتراوك (١٣٠٤ — ١٣٧٤).

-- الاتجاه النفعى، ومن رواده ؛ فرانسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦).

— الاتجاه الواقعى ، ومن رواده ، جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤).

— الاتجاه الطبيعى ، ومن رواده ؛ جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨)

— الاتجاه النفسى ، ومن رواده ؛ بستالوتزى (١٧٤٦ — ١٨٢٧)

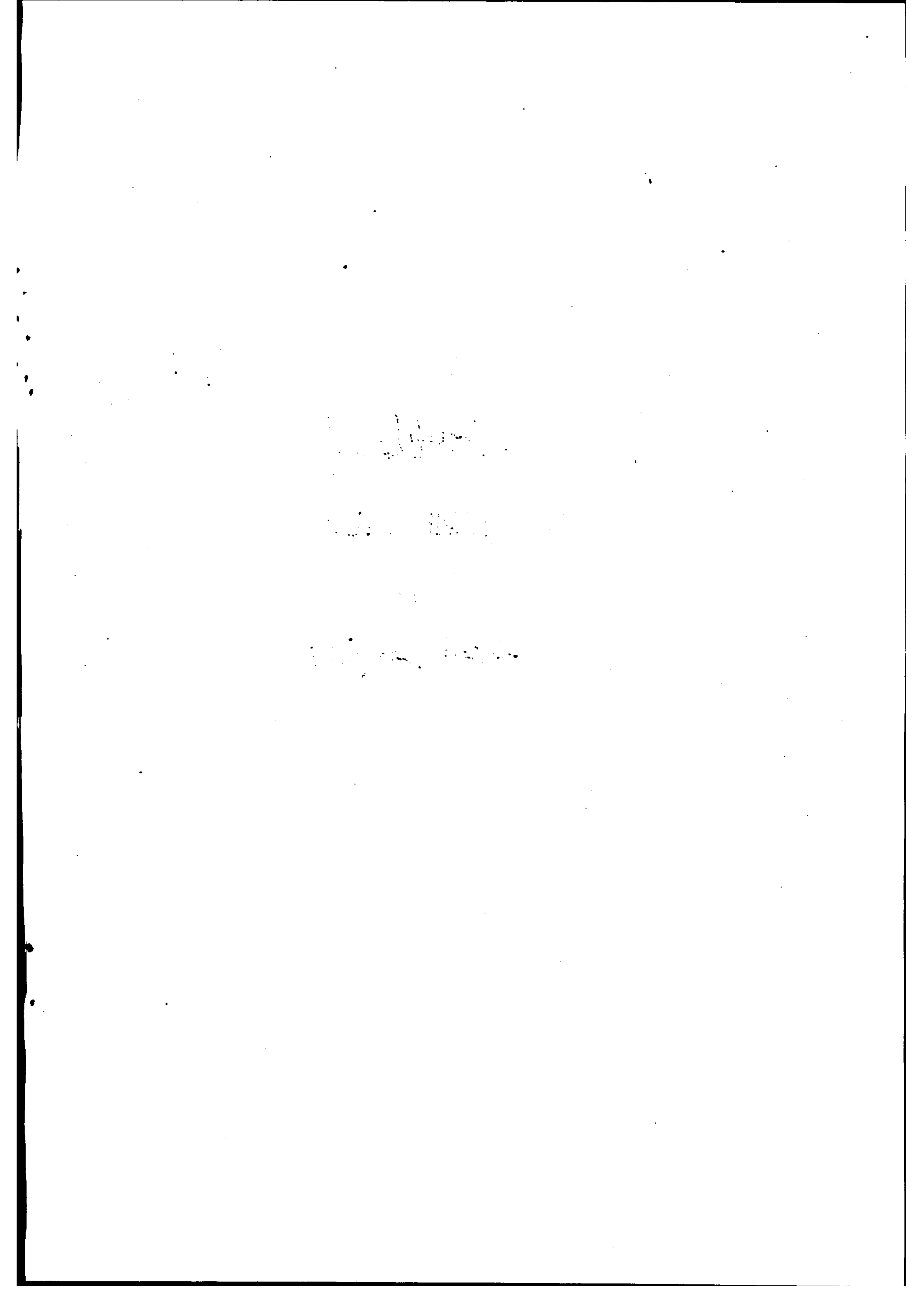
ثم هناك، الاتجاه البراجماتى (وسط بين النفعى والطبيعى) ومن رواده، جون ديوى (١٨٥٩ — ١٩٥٢).

حتى إذا أتينا إلى العصر الحديث ، وجدنا الأوضاع قد تغيرت من

حيث النواحى الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، والتعليمية ، واتجهت أوربا بشعوبها إلى مزيد من العلم والتعليم والأخذ بوسائله المتجددة سواء فى تنظيماته أو فى محتواه ، أو فيمن يقوم بالعملية التعليمية ذاتها ... إلخ وقد ساعد على ذلك ، ظهور اتجاهات جديدة فى مجالات علم النفس والتربية ، بدت صيحاتها تسمع فى أوربا منذ القرون الأخيرة ، ثم ارتفعت هذه الصحيات فى العالم كله ، مع مطلع القرن العشرين .

الفصل العاشر

اتجاهات التعليم
فى
مجتمع مصر الحديثة



تقديم :

عاش مجتمعنا المصرى عصوره الحديثة (منذ القرن السادس عشر وحتى مطلع القرن العشرين) حياة اتسمت بالكثير من التغير والتطور فى نواحى الحياة بصفة عامـــة، وفى النواحى التعليمية بصفة خاصة، وكان للسياسة والأوضاع السياسية وكذلك الأوضاع الاجتماعية دور كبير فى توجيهها .

فى تلك الفترة من الزمن، وقعت بلادنا تحت حكم الأتراك العثمانيين، شأنها شأن بقية شقيقاتها من الدول العربية، التى لم تنج من سطوة الاستعمار التركى، لكن بلادنا المصرية بعد فترة من وقوعها فى قبضة الأتراك، أسلمها هؤلاء إلى أحد ولاتهم مع مطلع القرن التاسع عشر فإذا هى تبدأ حياة جديدة، يحاول خلالها هذا الحاكم أن يأخذ بيدها مما تردت فيه سنوات طويلة، فهو ينزع إلى تحديث الحياة فيها، متخذاً من التعليم سبيلا من سبل تطويرها ولكنه يخفق فى إحداث هذا التطوير بصورته المتكاملة، ذلك أن العوامل الثقافية المختلفة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، فكرية ...) لعبت دوراً كبيرا فى تعويق ذلك التطوير، أو على الأقل، لم يصل فى مداه إلى الغاية المنشودة .

حقيقة، أنه حدثت بعض الطفرات، ولكنها كانت فجة غير ناضجة لأنها كانت متعجلة غير متأنية، ولأن تربتها لم تكن مهيأة بعد، فثمت جذور متآكلة، ومعوقة ينبغى أن تقتلع. وتوالت الأيام، وتولى حكم مصر، خلفاء هذا الوالى، وكان لكل منهم أسلوبه فى الحكم، الذى تلونت به الحياة المصرية، وانعكس ذلك — بطبيعة الحال — على التعليم .

وفى أواخر القرن الماضى — وأثناء حكم أحد هؤلاء الولاة — منيت

مصر بالاستعمار البريطانى الذى أنهك قواها وحاول القضاء على معنوياتها وإبعادها عن تيارات الفكر المتحرر من عبودية القهر والاستذلال .

وظلت الأوضاع كذلك ، حتى قيام ثورتنا المباركة فى الثالث والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ . على أن الحياة المصرية — بكافة مجالاتها — لم تخل — فى أى عصر — من وجود زعامات سياسية وفكرية من بين أبناء الشعب ، تنادى بالإصلاح ، ولكن أساليب القمع والإرهاب كانت تقف أمامها ، محاولة إبعادها عن جادة الصواب والغايات النبيلة التى ينشدها أبناء مصر ، إلى أن قيض الله لها ، صياغة الحياة من جديد ، على أيدى أبنائها المخلصين لتوا كب اتجاهات العصر الذى نعيش فيه ، والذى يتسم بالانطلاق والتحرر والتسابق فى مجالات التقدم المتنوع ، بعد أن نفضت عنها شوائب قرون مضت .

ولما كانت هذه الحقبة من الزمن [من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن العشرين] ذات اتجاهات تربوية وفكرية متعددة ، رأينا تقسيمها إلى فترات ، لكل منها اتجاهاتها وسماتها المعينة ، والتى تميزها عن غيرها .

نحاول فى الصفحات التالية ، أن نعرض — بإيجاز — لتاريخ التعليم فى مصر فى العصر الحديث ، على أن يتضمن حديثنا الموضوعات التالية :

أولا : حالة التعليم قبل القرن التاسع عشر .

ثانياً : حالة التعليم خلال القرن التاسع عشر .

ثالثاً : حالة التعليم فى النصف الأول من القرن العشرين .

أولا :

اتجاهات التعليم فى المجتمع المصرى قبل القرن العشرين

كان المجتمع المصرى خلال القرن الثامن عشر ، نوعا من مجتمعات العصور الوسطى ، فالطبقية والاستبداد والتخلف ، كانت من سمات هذا المجتمع ، كما كان يتكون من :

١ — طبقة عليا، ارستقراطية، تكونت من أقلية مستبدة سياسيا ومستغلة اقتصاديا فالوالى التركى ، والأتراك ، وأمراء المماليك ، وهؤلاء يحكمون عامة الشعب لمصلحتهم الخاصة وكان من مصلحتهم ، تضييق الأفق الفكرى للشعب .

٢ — طبقة متوسطة من بعض كبار التجار ، وعلماء الدين والمشايخ ، وقد اضطر أغنياء هذه الطبقة إلى إظهار ولائهم للوالى والمماليك وذلك بتقديم الهدايا والأموال التى جمعوها من الأهالى وعامة الشعب .

٣ — طبقة دنيا مكونة من صغار التجار والزراع والصناع والحرفيين ،

وكانت تمثل السواد الأعظم من الشعب، وكان يغلب على هذه الطبقة التمسك بالقيم الدينية مع كفاف العيش [١].

أما علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية، فقد كان لهم أكبر الأثر على كل من الحكام والشعب، حيث كان الحكام يستميلونهم إلى جانبهم بما يغدقون عليهم من الهدايا والأموال، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فكان هؤلاء العلماء يستطيعون السيطرة على الشعب والعمل على تهدئته عند ثورته على أوضاع المجتمع وعدم رضائه عن الحكام.

وبطبيعة الحال، تأثر التعليم بهذه الظروف فى المجتمع المصرى حيث كان على النحو التالى :

(أ) تعليم دينى : ويتمثل فى مرحلتين، الأولى : الكتاتيب، الثانية : الأزهر والجوامع الكبرى.

أما الكتاتيب : فقد انتشرت فى كثير من المدن والقرى، بل وألحقت بمنازل الفقهاء وبالمساجد والأضرحة وكانت تعلم الكثير من البنين وقلة من البنات الذين يلتحقون بهذه الكتاتيب فى سن الطفولة وكان منهج هذه الكتاتيب يتركز فى حفظ القرآن الكريم من تعليم القراءة والكتابة وبعض المعلومات عن الحساب، فقد كان بعض تلاميذ الكتاتيب يذهبون بعد حفظهم القرآن إلى « القبانى » لمعرفة بعض المعلومات عن الموازين والمكاييل وتدوين الحسابات وكان الأطفال يظلون فى الكتاتيب دون حدود من السن إلى أن يتموا حفظهم للقرآن الكريم وقد يضطر بعضهم إلى ترك الكتاب ليلتحق بحرفة أو للعمل فى الزراعة [٢].

---

(١) منير عطا الله سليمان وزميلاه تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية. مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ط ١٩٧٢ ص ٥٧

وأما الأزهر والجوامع الكبرى ، (وهى مرحلة التعليم الدينى العليا) :
فكان على هؤلاء الذين يرغبون فى إتمام دراستهم، الإلتحاق بالجوامع أو بأحد الجوامع الكبرى مثل جامع السيد البدوى أو جامع إبراهيم الدسوقى أو جوامع : دمياط ورشيد ، والمحلة الكبرى ، وقوص ، وغيرها .

ولم يكن الطفل – فى معظم الأحوال – يستطيع حفظ القرآن قبل سن السادسة عشرة ، وإذا حفظ معظمه أو أتمه ، كان عليه أن يغادر قريته إلى مدينة بها أحد هذه الجوامع للدراسة حيث يتم حفظ القرآن وبعض المتون فى النحو والفقه ثم يكمل دراسته فى الأزهر والتى تتضمن فى غالبيتها – العلوم العربية والشرعية أو علوم اللغة والدين .

ومن المعروف ، أن الدراسة بالأزهر لم تكن محددة بعدد من السنين بل كان التلميذ حينما يلتحق به ، يستمر فى طلب العلم طالما أراد ذلك ، وكان الأزهر يوفر لطلابه التعليم والإقامة بدون مقابل تشجيعا على الدراسة. ولم يكن بالأزهر – حينئذ – امتحانات نهائية، بل كان الطلبة يحصلون على ما يسمى بـ : « الاجازة » يمنحها لهم الأستاذ ، وكان الطالب له أن يختار استاذه بنفسه ، وقد تنوعت أسباب هذا الاختيار ، فهناك من الطلاب ، من يختار أستاذه لأنه من بلدته ، ومنهم من يختاره لأسلوبه وطريقته فى الدراسة ، ومنهم من يذهب إلى حلقة دراسية مع مجموعة من أبناء بلدته ، وهكذا[1] .

(ب) تعليم الخاصة : (وهو تعليم المماليك أو الحكام) :

كانت طبيعة المجتمع فى ذاك الوقت تحتاج إلى من يحكمه ويدافع عنه

(١) عبد الرحمن الجبرتى – عجائب الآثار فى التراجم والأخبار – القاهرة ١٨٧٩ .

فقام بهذه المهمة ، أمراء المماليك ومن فى طبقتهم ؛ ففى الوقت الذى أنفق فيه المماليك بعض أموالهم وأوقافهم على التعليم الدينى ، نجد أنهم قد أتاحوا لأبنائهم وأتباعهم ، تعليما خاصا يمكنهم من حكم البلاد بالقوة ، فحكم المماليك العسكرى ، كان فى حاجة إلى القوة العضلية ، والمهارة فى استعمال الأسلحة وكان قائما على الاستبداد والظلم ، ولهذا ، لم يكن فى حاجة كبيرة إلى مثل دينية كالتى يعلمها الأزهر لطلابه ، ولهذا قامت تربية هؤلاء الأمراء على فن الحرب أكثر من أى شىء آخر ،فكانوا يقسمون إلى مجموعات فى ثكنات خاصة بهم ويقوم بالتعليم لهم فيها فقيه ، يعلمهم القراءة والكتابة والعقائد الدينية وبعض القرآن حتى سن المراهقة ، فيعهد بهم إلى مدرس للفن الحربى ، يعلمهم الفروسية واستعمال الأسلحة المعروفة فى ذلك الوقت وفنون القتال ، ويبث فى نفوسهم فكرة الإخلاص لسيدهم ، حتى إذا ما بلغوا حدا الإجادة والاتقان ، يلتحقون بخدمة سيدهم ،ويتدرجون فى الرتب المختلفة فإذا أظهروا مهارة وجدارة تحررهم من عبوديتهم له ، منحهم لقب « أمير » ثم يشترون مماليك لأنفسهم وهكذا[1] ، ومن هذا النوع من التربية يمكننا أن نستنتج أمرين :

الأول : أن الحكام الذين اهتموا بالتربية فى المساجد وأنفقوا عليها ، لم يلحقوا أولادهم ولا مماليكهم بها ، وإنما عرضوهم لنوع آخر من التربية العملية وبعبارة أخرى أن هؤلاء الحكام المستبدين ، شجعوا رعاياهم على الحصول على تربية تعلمهم قليلا من العمل ، وكثيرا من القول .

والثانى : أن هؤلاء الحكام ، استغلوا تربيتهم الحربية ، ضد رعاياهم وليست لحماية هذه الرعية .

---

(١) أبو العباس القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٧ ج٣

(ج) تعليم العامة :

(وهو التعليم الذى يمارسه السواد الأعظم من الشعب) لم تنل الغالبية العظمى من الشعب ،شيئا من التعليم ،فقد كان تعليمهم يتم عن طريق الممارسة فشمل تعليمهم الزراعة فى الحقول والصناعة فى حوانيت الصناع والحرفيين والتجارة فى محال صغار التجار ، وكان التعليم الدينى لا يضم إلا نسبة ضئيلة جدا من الشعب مما ساعد على وجود رصيد كبير من الأمية فى مصر ، فيما عدا ما كان يناله العامة من القيم الروحية فى المساجد ومن مشايخ الطرق الصوفية والتى كانت منتشرة فى البلاد ، وكانت تمثل قوة روحية عظيمة ينشر شيئا من الثقافة بين أفراد الشعب .

إلى جانب هذه الأنواع من التعليم ، كان هناك نوع من التعليم ، يمكن ربطه بالتعليم الدينى وهو تعليم الأقباط فى مصر « فقد وفد الكتاب القبطى » حيث يلتحق به الفتى (والفتاة أحيانا) ليتعلم القيم الدينية ويحفظ شيئا من الإنجيل ، ويتعلم قدرا من الحساب ثم يلتحق بصراف أو مساح ليتقن المهنة ثم يتولى عملا أو مهنة أو يلتحق بالدير ومن الملاحظ أن التعليم فى هذه الكتاتيب (كما هو الحال فى كتاتيب المسلمين) لم يكن على درجة كبيرة من التقدم ، كما كانت لا تهتم بعلوم اللغة العربية .

وهكذا ، عمل الانفصال الطبقى فى مصر (فى ذاك الوقت) على وجود ثلاث أنواع من التعليم (تعليم للخاصة ، تعليم للمسلمين ، تعليم للمسيحيين) وهذا ما لا ينبغى أن يكون عليه أبناء الشعب الواحد ، وهو ما تحقق فيما بعد.

ثانياً :

إتجاهات التعليم فى القرن التاسع عشر:

(أ) فكرة عامة :

من الأحداث المعروفة ، أن مصر تعرضت للحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ م أى فى أواخر القرن التاسع عشر وقد كان لها من النتائج الثقافية والعلمية المتنوعة ، ما كان له أثر واضح فى ثقافة المجتمع المصرى ، تلك الثقافة التى استمرت لمدة قرون ، وكانت التربية فى تلك الفترة ، جزءاً من هذه الثقافة دون المدنية كما تؤكد ذلك ، طريقة الحياة التى سادت مصر حينئذ .

وقد أصيبت هذه المدنية — إذا جاز لنا أن نسميها كذلك ، وهى أشبه ما تكون بمدنية العصور الوسطى — أصيبت ، بصدمة عنيفة بسبب الحملة الفرنسية وما صحبها وما أعقبها من نتائج .

والواقع أن عصر الحملة الفرنسية وكذلك عهد محمد على (بعدها) كان بداية لسيادة مدنية جديدة فى مصر ، وهى المدنية الأوربية الحديثة (نسبياً) فهى مدنية لم يتصل بها المصريون إلا عن طريق الحملة الفرنسية وما تلاها من عصور .

ومن المعروف ، أن مصر (حكومة وشعبا) فى أواخر القرن الثامن عشر لم تكن تعرف شيئاً عن مدى التقدم الفكرى والصناعى والحرفى الذى كانت الدول الأوربية قد وصلت إليه ، كما كانت أفكار المصريين وحكامهم عن المدنية الغربية مستمدة مما بقى عالقا فى الأذهان منذ الحروب الصليبية من

تأخر الغرب ، وضعفه حتى أنهم استهانوا بقدوم الحملة الفرنسية وظنوا أنهم قادرون على الإطاحة بها وبمن يتولوها ولكن المدنية الغربية الحديثة قد أثبتت تفوقها بعد أن دارت المعارك بين الفرنسيين والمماليك ، كما هو معروف فى كتب التاريخ .

والحقيقة ، أننا لا ننظر إلى الحملة الفرنسية على أنها معركة بين طرفين متحاربين ولكننا نعتبرها معركة بين ثقافتين ومدنيتين ، ثقافة ومدنية العصور الوسطى ممثلة فى حكام ومماليك مصر ، باستبدادهم وإقطاعهم وتأخرهم العلمى والفكرى وفنهم الحربى القائم على الفروسية ، ثم ثقافة ومدنية الغرب ممثلة فى هذه الحملة الفرنسية والتى تقوم على التقدم العلمى والاختراع والصناعة ، وعلى العلوم الطبيعية والتعليم الحديث .

على أن التعليم الذى كان سائداً فى مصر قبل القرن التاسع عشر وحتى بداية عصر محمد على ، لم يكن قادرا على تحقيق شىء من النهوض الاقتصادى أو المادى باعتبار أن هذا النهوض يقوم على استغلال الموارد الطبيعية ، وإنشاء الصناعات ، ثم على التطبيق العملى لنظريات العلم والفكر ، وبالتالى ينعكس هذا على تقوية الجيش وتنظيمه واستخدام الأساليب الحديثة فى إعداده ، وإمداده .

بالأسلحة الحديثة ، ولهذا إتجهت مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى النهوض بالنواحى الاقتصادية والمادية ، ووجدت أن التعليم يستطيع أن يسهم بنصيب كبير فى إحداث هذا النهوض باعتبار أن التربية والتعليم وسيلة يمكن استخدامها لإحداث تغيير فى طريقة الحياة التى كانت سائدة ، فضلا

غن أنها وسيلة لتجديد النظام الاجتماعى وتغيير فى المدنية المصرية ، وفى إحداث التغير الثقافى بها .

ولعل هذا ، هو أساس ما استحدث فى أوائل القرن التاسع عشر ، من أنواع المدارس والمناهج والكتب ، وكلها كانت تغييرات جوهرية فى نظم التعليم .

(ب) الحياة التعليمية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

كان على الحكومة (والحال كذلك) أن تتقدم بركب التعليم ، ولكنها، لم تجد أمامها سوى الكتاتيب العديدة، ثم الأزهر،ولم تكن هذه المؤسسات التعليمية بما تحويه من نظم للتعليم وأساليب فى ممارسته ، تستطيع أن تحقق هذا التقدم أو الإسهام فيه ، وبالتالى، فكان أمام الحكومة ، طريقان ، عليها أن تسلكهما ، أو على الأقل أن تسلك واحدا منهما :

الأول : إدخال العلوم الحديثة فى الدراسة بالأزهر .

الثانى : إنشاء نظام جديد من التعليم الحديث ، يمكنها من الإفادة من العلوم الحديثة .

وهنا وجدت الحكومة أن الطريق الأول ، أمر شاق ، إذا أريد إدخال العلوم الطبيعية أو الحديثة فى الأزهر ، فهذا لم يألفه الناس (وعلماء الدين بصفة خاصة) فى تلك الفترة، ثم أن الأزهر بمفرده لم يكن كافيا لتخريج العدد الكبير من الموظفين الذين كانت الدولة في حاجة إليهم فى الوظائف المختلفة.

كذلك ، لم يكن ممكنا أن تفتح مدارس أخرى على نمط التعليم فى الأزهر أو يضاف إليها بعض العلوم الحديثة ، ومن ثم ، فقد رأت الدولة (ورضى علماء الأزهر والدين) أن تبقى الدراسة بالأزهر كما هى عليه ، بينما

ينشأ نظام من التعليم الحديث على النمط الأوربى فى كثير من ملامحه ومحتواه ، الأمر الذى أوجد انقساما فى التعليم ، وعلى ذلك وجد نظامان للتعليم :

١ — نظام الأزهر .

٢ — النظام الحديث .

وترتب على ذلك ، ازدواج التعليم فى مرحلته الأولى ، حيث :

١ — أنشأ محمد على ، المدارس الابتدائية الحديثة .

٢ — استمرت الكتاتيب كما كانت ، ثم تطورت ، فيما بعد حتى أصبحت مدارس التعليم الأولى وقد بقى هذا الازدواج فى المرحلة الأولى منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، حيث تمكنت الدولة من إلغائه ، وتوحيد التعليم فى المرحلة الابتدائية .

على أن بعض النقاد ، قد عابوا على حكومة محمد على ، إنشاء التعليم الحديث ، ومن رأيهم أنه كان يمكن إدخال العوم الحديثة فى الأزهر باعتبار أن الأزهر ، جزء من ثقافة مصر وجزء من مدنيتها ، والعلوم الحديثة تعتبر غريبة عن مصر ، وأنه من الأفضل إضافة الحديث إلى القديم ينتج منهما — مع مرور الزمن — نظام تعليم قومى مرتبط بثقافة مصر ، والواقع أن الأزهر — فى ذلك الوقت — لم يكن مستعداً لقبول العلوم الحديثة ، فقد وقف منها موقف الحذر وعدم الرضا ، بالإضافة إلى أنه لم يكن من الممكن ، إدخال العلوم الحديثة فى الأزهر لتخريج جميع أنواع الموظفين ، ولهذا لم يكن هناك مفر من وجود الازدواج فى هذه الظروف التى مرت بها البلاد .

ويمكن توضيح إتجاهات التعليم ونظامه فى تلك الفترة ، على النحو التالى :

بدأ محمد على نظامه التعليمى من أعلى إلى أسفل أو من القمة إلى القاعدة، حيث بدأ بالتعليم العالى (أو المدارس الخصوصية كما كان يطلق عليها) فقد كان مهتما به إهتماما شديدا وخاصة أنه كان يخدم أغراضه بطريقة مباشرة، فكانت المدارس العليا التى أنشأها تعمل على إعداد الفنيين اللازمين لجيشه ، وهى مدارس عسكرية ، تخرج ضباطا وفنيين للجيش ومدارس مدنية لخدمة الأغراض العسكرية بطرق مباشرة أو غير مباشرة،وكان النوع الاول يتمثل فى مدارس: الجهادية ، الخيالة ، المشاة ، المدفعية ، البحرية ، الحربية العليا ، الموسيقى العسكرية وغيرها ، ويتمثل النوع الثانى فى مدارس : الطب ، الصيدلة ، الهندسة ، الألسن المحاسبات وغيرها[1] .

ثم تلى ذلك ، التعليم الثانوى :

(أو المدارس التجهيزية كما كان يطلق عليها) حيث بدىء بإنشاء مدرستين تجهيزيتين أحداهما فى القاهرة والأخرى بالإسكندرية ومدة الدراسة بهما تتراوح بين أربع وخمس سنوات دراسية ، ولكن لم تفتتح إلا مدرسة القاهرة لعدم وجود نوعية التلاميذ المطلوبة .

وأخيراً ، أنشئت المدارس الإبتدائية (أو مدارس المبتديان كما كان يطلق عليها) وحددت سن القبول بها بين السابعة والثانية عشرة على أن تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات وقد تصل إلى أربع سنوات، وقد أنشئت هذه المدارس فى القاهرة والأقاليم وكان معظم نظارها من خريجى الأزهر .

---

(١) أمين سامى — التعليم فى مصر ، القاهرة ١٩١٧ ص ٧

وإلى جانب تلك المدارس ، وجدت الـكتاتيب ، التي كان محمد على يتصيد منها الطلاب ليزود بهم المدارس التي أنشأها ، غير أن الأهالى لم تـكن لهم دراية أو ثقة بالنظام التعليمى الجديد مما جعلهم يخشون إلحاق أبنائهم بالـكتاتيب حتى لا ينتزعوا منها قسراً ليلتحقوا بالمدارس الجديدة التي انشأها محمد على ، بالإضافة إلى مصادرته للأوقاف المخصصة لها والأموال الموقوفة للانفاق عليها ، مما أدى إلى اختفاء بعض الـكتاتيب والمدارس القديمة ، وترتب على ذلك ، تزايد نسبة الأمية فى مصر [١].

وهـكذا بدأ محمد على سياسته التعليمية بما يمـكن أن نطلق عليها «سياسة الهرم المقلوب » بمعنى أن الأساس فى التعليم ، هو المرحلة الابتدائية لأنها قاعدته ثم التدرج حيث المرحلة الثانوية وأخيراً تأتى المرحلة العالية وهى قمة السلم التعليمى ويلتمس له البعض العذر فى ذلك ، لأنه كان فى حاجـــة إلى أخصائيين للمرافق الحديثة التي أوجدتها الدولة ، ولم يـكن من المستطاع ، الانتظار حتى يمر هؤلاء فى مراحل الإعداد التي أوجدها محمد على .

كذلك ، أرسلت الدولة ، البعوث العلمية إلى الخارج حتى تحصل على حاجتها من الاخصائيين فى أقرب وقت ممـكن ، وكان للأزهر فضل فى إمداد هذه البعوث بطلابه وإلى جانب إمداد المدارس العليا (الخصوصية) بحاجتها من الطلاب ، والتي كان يقوم بالتدريس فيها مدرسون أجانب (لاسيما من الفرنسيين لوجود علاقات طيبة بين محمد على وفرنسا) وكان المدرس يدخل الفصل أو مـكان الدراسة ومعه المترجم فى أغلب الأحيان — فيلقى الأستاذ درسه ثم يقوم المترجم بتعريبه للتلاميذ ، إلى جانب من كانت لهم الخبرة

---

(١) أبو الفتوح رضوان ، تطور التعليم الإبتدائى فى مصر ، صحيفة التربيه ، العدد الرابع مايو ١٩٥٥ ص٣٦

بالتدريس من رجال الأزهر الذين كان يستعان بهم فى أنواع المدارس الأخرى أيضاً.

ويلاحظ أن هذا النوع من التعليم (فى عصر محمد على) كان جامدا فى تقاليده ونظمه، جافا فى نظرته إلى التلميذ، متشددا فى كثير من تنظيماته وتعاليمه، تقليديا فى مناهجه وامتحاناته.

وضمانا لحسن إدارة التعليم والإشراف عليه من قبل الحكومة، أنشىء ديوان المدارس سنة ١٨٣٧ .

ليتولى تنظيمها ورسم سياستها التعليمية والانفاق عليها مع دقة الإشراف. وبينما كان محمد على، يعنى بالتعليم الحديث بصفة عامة، فإنه لم يكن يولى الأزهر أو الكتاتيب أى عناية، بل أهملهما، لأنهما لا يستطيعان مد بالقوى البشرية المطلوبة لإمبراطوريته التى كان يحلم بها، كما حاول أن ينال من الأزهر ورجاله فى بعض الأحيان، وبالرغم من ذلك، فقد أفاد من الازهريين كثيرا، سواء كطلاب للبعثات والمدارس أو كمعلمين فيها.

وفى تحليلنا للتعليم من واقع ما حدث:

نجد أنه كان من أهم دوافع التعليم الحديث بالنسبة لمحمد على، هو تعجله فى إحداث التغيير بالصورة التى يراها، وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن من سمات التعليم فى تلك الفترة: الاهتمام بالنواحى العسكرية وما يمكنها من التقدم، سواء عن طريق العلوم الطبيعية أو الرياضية أو الفنية أو عن طريق المعلمين اللازمين لها ثم تجميد التعليم الدينى يضاف إلى ذلك وجود التعليم الأجنبى، حيث قامت بعض الإرساليات الأجنبية التى وفدت إلى البلاد بإنشاء مدارس لطوائفها أو جالياتها كمدرسة الأمريكان أو المدرسة الأرمنية أو المدارس

الكاثونيكية وغيرها وقد لقيت هذه المدارس تشجيعا من جانب والتحق بها — فيما بعد — بعض المصريين [١] .

كذلك ، فإن من سمات هذه الفترة ، انقطاع الصلة أو (على الأقل ضعفها) بين ما وجد من (تجديد) فى التعليم وبين تراث الماضى، إذ أن هذا التجديد لم يحظ بتقبل المجتمع له . مما جعله لا يتسم بالمواكبة الجماعية من المواطنين ، حتى أننا لا نغالى إن قلنا ، أنه كان تقدما حكوميا ، وليس تقدما اجتماعيا.

وإذا أضفنا إلى ذلك ، ما حدث من اضطرابات سياسية وخلافات بين محمد على والسلطان وماتبع هذا من تخفيض فى عدد الجيش (وهو الذى تنشأ المدارس من أجله) وبالتالى تخفيض عدد طلاب المدارس المختلفة ، وتخفيض ميزانية الدولة ، نتيجة لاستنفاذ الكثير من الأموال فى فتوحات محمد على ، ثم تكتل القوى الإمبريالية ضده ، بالإضافة إلى سوء إدارة المدارس والفوضى التى سادتها وفشل بعض البعثات بسبب ضعف مستواها إذا أخذنا كل هذه الاعتبارات فى حسابنا ، فإنه لا يكون من الغريب ، أن نشهد انهيار التعليم فى أواخر عصر محمد على ، الذى بدأ بتطلعات تقدمية ، ولكنه انتهى بما لم يعمل له حساب وهو نشر الثقافة بين أفراد الشعب وهذا هو الهدف الأساسى من التعليم وبالرغم من قيام بعض المحاولات لإصلاح التعليم فيما بين عامى ١٨٤١ و ١٨٤٨ ألا أنها باءت بالفشل .

(ج) الحياة التعليمية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر :

يمكن تناول هذه المرحلة على فترتين : الأولى من عصر خلفاء محمد على

(١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر، عصر محمد على ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨ ص٦٧٢

إلى بداية الاحتلال البريطانى لمصر ، والثانية تبدأ مع هذا الاحتلال وتستمر حتى عهد الاستقلال المشروط فى سنة ١٩٢٣ .

(ا) أما عن الفترة الأولى : عصر خلفاء محمد على إلى بداية الاحتلال البريطانى لمصر :

فقد كادت حركة التقدم والنهضة العلمية التى بدأها محمد على تندثر فى أواخر أيامه ثم تابعت تأخرها فى عهود خلفائه وبخاصة فى عهد عباس ، فقد أغلق معظم المدارس التى بقيت من أيام محمد على ، كما ألغى المدارس الحربية، وفى الوقت الذى استدعى فيه كثير من البعثات كانت فى الخارج ، عاد بعد فترة وأرسل بعثات أخرى جديدة على أن عهد سعيد لم يكن أحسن حالا من عهد عباس ، فقد ساء حال التعليم بإلغاء ديوان المدارس وإسناد ماتبقى من مدارس إلى ديوان الجهادية ولم يكن للبعثات التى أوفد غالبيتها إلى فرنسا أثر يذكر فى إصلاح التعليم ويمكن اعتبار هذه الفترة ، فترة نكسة فى التعليم نتيجة لتذبذب سياسته وتخبطها فقد كانت تلغى المدارس، لكى تفتح مدارس جديدة بدلا منها ، ثم لا تلبث أن يستغنى عنها هى الأخرى ، وتأرجحت سياسة إرسال البعثات بين الاستمرار فيها والحد منها عدة مرات ، كذلك تذبذب الإشراف على التعليم بين ديوان المدارس والجهادية ، وخضع الإثنان لرغبات الحكام الذين لم يؤمنوا بحق الشعب فى التعليم ، بل أنهم كانوا يستكثرون على المصريين أن يتعلموا ، فهم - فى نظرهم — من الفلاحين الذين لا يليق لهم العمل إلا فى الحقول وخدمة السادة الأتراك، ومن ثم اقتصر التعليم على أبناء الترك دون أبناء المصريين ، مما يدل على ضعف الثقة بالعقلية المصرية ووصمها بالتخلف والجمود إلا أن التعليم فى عهد إسماعيل ، قد حظى باهتمام المسئولين وأعيد إليه نشاطه وخطى خطوات كبيرة، فقد اتجه المفكرون

المصريون من أبناء المدارس الحـــديثة والتعليم الحديث نحو الديموقراطية فى التعليم والتوسع فيه والمطالبة بالمزيد من الإصلاحات والنهوض بالتعليم الشعبى وتدعيم تعليم البنات ، ثم محاولة إدخال العلوم الحديثة فى الدراسة بالأزهر ، وقد كان من بين زعماء الفكر فى هذه الفترة، رفاعة الطهطاوى، على مبارك، الشيخ محمد عبده وغيرهم ممن أثروا الفكر التربوى بكثير من الآراء السديدة والاتجاهات الرشيدة .

لقد شهدت تلك الفترة حركة واسعة ونهضة شاملة فى معظم نواحى الحياة ، فقد نشط التعليم الرسمى والأجنبى وعنى بالتعليم الأهلى ، واتجهت النيات إلى إصلاح التعليم عامة ، وإلى إعداد المعلم وتدعيم تعليم البنات ، وانفصلت المدارس العسكرية عن المدارس الفنية والمدنية ، وأعيد فتح عدد من المدارس الصناعية التى كان قد بدأها محمد على ، كذلك أنشئت مدرسة لدارسة الآثار المصرية ، وأخرى للحقوق والإدارة ، ومدرسة لإعداد المعلمين عرفت بـ « دار العلوم » والمدرسة السنية لتعليم الفتاة ، وصدر أول قانون لإصلاح الأزهر وتنظيم الدراسة فيه سنة ١٨٧٢ كما أنشئت دار الكتب ، ودار الأوبرا ، وبصفة عامة سادت البلاد مظاهر التقدم والتنور ، وكان للاتصال الدائم بين مصر والغرب (لا سيما بعد إفتتاح قناة السويس) أثر كبير فى ذلك .

وأخذ الاتجاه نحو الديمقراطية يتزايد لدى زعماء الفكر ، فقد رأوا أن تعليم أفراد الشعب ونشر الثقافة والتنور بين جماهير الشعب ، هو خير وسيلة لضمان النظام الديمقراطى، ولتكوين رأى عام مستنير، وبالتالى ليكون وسيلة من وسائل مقاومة الفساد والاستبداد (فى الوقت المناسب) .

وتدعيما لهذا الإتجاه ، تقدم ، « على مبارك » بلائحته المعروفة باسم اللائحة الرجبية (لأنها صدرت فى شهر رجب سنة ١٢٨٤ هـ — نوفبر سنة ١٨٦٨ م) وقد ضمنها العديد من المقترحات لإصلاح التعليم وبخاصة التعليم الشعبى ، وضرورة إشراف الدولة عليه (اصلاح المكاتب الأهلية وإنشاء مدارس ابتدائية) وفى سنة ١٨٨٠ تكونت لجنة لإصلاح التعليم ، عرفت باسم « قومسيون تنظيم المعارف » وقدمت تقريرا لمجلس النظار ، أشارت فيه إلى ضعف موظفى الحكومة وعجزهم عن القيام الطيب بأعمالهم وضعف طلبة المدارس العليا ، وأرجع هذا التقرير ، هذا الضعف إلى ضعف مستوى التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ثم ذكر التقرير أنه بالنسبة لهذه المشكلة وبالنسبة للفوائد التى تعود على الفرد من التربية ، فإنه يجب أن ينشر التعليم بين جميع المواطنين ، على أن يتم ذلك تدريجيا حتى يصل إلى سكان الريف ، وإقترح التقرير (١) .

— إنشاء مدرسة ابتدائية من الدرجة الثالثة فى كل قرية ، ومدرسة إبتدائية من الدرجة الثانية فى كل قرية كبيرة أو فى كل قسم من مدينة ، وعدد من المدارس الإبتدائية من الدرجة الأولى فى بنادر المديريات .

— ويقصد بالمدرسة الابتدائية من الدرجة الثالثة ، مدرسة تتكون من فرقة واحدة بها حوالى ٦٠ تلميذاً ومدرس واحد و« عريف » ويشتمل منهجها على القرآن الكريم والدين والقراءة والكتابة ومبادىء الحساب والموازين والجغرافيا والصحة والتربية البدنية .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى مصر — الجزء الثالث ـ القاهرة ١٩٤٥ ص١٩٢

— ويقصد بالمدرسة الإبتدائية من الدرجة الثانية ، مدرسة مكونة من فرقتين بها حوالى ١١٠ من التلاميذ وبها معلمان وعريفان ويشتمل منهجها على المواد السابقة بالاضافة إلى النحو والتاريخ وعلم الأشياء (التاريخ الطبيعى) والرسم ومبادىء الهندسة .

— ويقصد بالمدرسة الابتدائية من الدرجة الأولى ، مدرسة بها أربع فرق دراسية بها حوالى ٢٢٠ تلميذا وأربعة معلمين وعدد مناسب من العرفاء ، ويشتمل منهجها بالإضافة إلى كل ماتقدم ، على :

الزراعة والمساحة والتاريخ الطبيعى ، مطبقا على الزراعة (فى الجهات الريفية) وأمساك الدفاتر والحساب التجارى والتجارة والأشغال اليدوية (فى الجهات المدنية) كما تعلم بها اللغات الاجنبية لمن يريد الالتحاق بالمدارس الثانوية .

— كذلك أقترح التقرير ، أن تنشأ للذين لايرغبون فى التعليم الثانوى فصول تكميلية توجه الدراسة فيها توجيها فنيا (تجاريا أو صناعيا حسب البيئة) .

ولا شك أن هدف التعليم خلال عصر إسماعيل ، كان محاولة لتكوين المواطن المستنير ، ونشر هذا التنور بين عامة المواطنين ، بينما كان الهدف من التعليم خلال عصر محمد على هو تخريج عدد من الفنيين والموظفين فى دواوين الحكومة ومقاومة محاولات التنوير ، وقد كان من المحتمل أن يستمر التعليم فى عصر إسماعيل فى تقدمه ونموه ، لولا ماحدث من ظروف سياسية ومالية سيئة ، وضعت فى طريقه العراقيل وقللت من حركته بل وعطلت مساره ، ثم كان الاحتلال البريطانى لمصر الذى غير من مجريات الأمور بها .

وأما عن الفترة الثانية ، وهى الاحتلال البريطانى ، فقد اتسمت سياسته التعليمية بالفشل إلى حد كبير ، ذلك أن سياسة التنور والديمقراطية التى كانت قد بدأت قبل الاحتلال تعارضت مع مصالحه ونواياه ، وليس من مصلحته أن يتنور الشعب فهو يرى أن الشعب الجاهل أسلس قيادا ، ولذلك اتجهت سياسته التعليمية إلى الحد من نشر التعليم وتضييق فرصه وعــدم السماح بالالتحاق به إلا لعدد قليل من التلاميذ بقدر ماتحتاج الحكومة من الموظفين الكتابيين أما الوظائف الفنية كالهندسة والطب فقد قام بها فنيون انجليز وبالتالى ، لم تكن هناك حاجة إلى التوسع فى القبول بالمدارس الفنية العالية .

كذلك عملت سلطات الاحتلال على تشجيع المدارس الاجنبية وانتشار نشاط الارساليات التبشيرية التى وفدت إلى مصر بكثرة ، يتعلم فيها أبناء الجاليات وأبناء الموسرين من المصريين ، فالتعليم المصرى الحديث لاتشجعه سلطات الاحتلال خشية من انتشاره ومساعدته على تنوير الشعب وعلى عكس ذلك تشجيع التعليم القديم فى الكتاتيب والأزهر ، لأنها تعتبره تعليما دينيا لغويا يبعد التلاميذ عن الآراء الحديثة التى قد تدفعهم إلى العمل على الاستقلال والتحرر من الاستعمار أن الأمور لم تستقر كماأرادهاالمصريون (قبل الاحتلال البريطانى) ولم يقدر لاصلاحات التعليم أن تنفذ وتستمر كما أرادها زعماء الفكر منهم ، وقد صحب الاحتلال : اضطرابات وأحداث ، فقد حلت بالبلاد ضائقة مالية وقامت الثورة العرابية وأصيب التعليم المصرى بنكسة ثانية كالتى حدثت فى أواخر عهد محمد على ولكن الشعب المصرى مالبث أن قاوم سياسة الاحتلال وبدأ حياة جديدة .

ولعل من أوضح مظاهر تسلط الانجليز فى سياسة التعليم بمصر خلال فترة الاحتلال ماياتى : (١)

أولا : الحد من فرص التعليم أمام المصريين ، وكان من بين وسائل ذلك :

١ — فرض المصروفات الباهظة، فقد كان التعليم المصرى قبل الاحتلال بالمجان سواء فى الأزهر أو المدارس الحـــديثة بل كانت داخلية وبالمجان أيضاً وعند وقوع الاحتلال ، فرضت المصروفات الباهظة وألغيت المجانية فلم يستطع التعليم إلا الأغنياء .

٢ — التشدد فى الامتحانات ، فقد صحبت الدراسة فى الأزهر والتعليم الحديث فى القرن التاسع عشر ، الامتحانات ولكنها كانت بسيطة بحيث لايرسب فيها إلا الضعاف من التلاميذ حقيقة وكان من هدفها تشجيع التلاميذ على الدراسة والدعايـــة للتعليم ، وفى عهد الاحتلال ، تشددت الادارة الانجليزية فى الامتحانات وصعوبتها حتى أصبحت عقبة فى سبيل تخرج التلاميذ من المدارس ، وعاملا مثبطا بكثير من المصريين فى إلحاق أبنائهم بالتعليم .

ثانيا : محاولة القضاء على اللغة القومية كلغة للتعليم :

فقد حاول الانجليز إبطال اللغة العربية كلغة يتلقى المصريون بها تعليمهم وإحلال الانجليزية محلها ، لقد كانت جميع المواد — فيما عدا اللغة العربية

(1) Ismail El-Kallani, YHunred Years of Edueation in Egypt, p. 14.

Alu Al-Fotouh, A-Radwan. OLd & New Forces in Egyptian Educationr. pp. 99—103

تدرس باللغة الانجليزية وكان التعليم يبدأ بها من السنة الأولى الابتدائية وحتى نهاية المرحلة التعليمية وكان ينظر إلى اللغة العربية كلغة أجنبية وظل الحال كذلك حتى سنة ١٩٠٧ عندما بدأ احلال اللغة العربية محل الانجليزية بالتدريج عندما تولى سعد زغلول وزارة المعارف بعد رحيل « كرومر » الانجليزى الذى رسم السياسة التعليمية لسلطات الاحتلال وكان فرض اللغة الانجليزية يمثل صعوبة أمام التلاميذ المصريين وبخاصة الصغار منهم ، الذين لم يكونوا قد تعلموا اللغة العربية ولم يجيدوها بعد ، الأمر الذى قلل من اتقان اللغة العربية ، مع الضعف فى اللغة الانجليزية لصعوبة دراسة المواد بها ، ولاشك أن الاستعمار ، كان يهدف إلى إضعاف الروح القومية فى نفوس التلاميذ .

ثالثاً : الحد من التوسع فى التعليم بأنواعه : ويدل على ذلك المؤشرات الآتيــــــة :

١ — تجميد النمو التعليمى ، مما أدى إلى انتشار الجهل وارتفاع نسبة الأمية بين المواطنين .

٢ — قلة المدارس الفنية (زراعية ، صناعية ، تجارية) وعدم كفاءتها وكان خريجو هذه المدارس يقومون بأعمال أدارية أو فنية لخدمة مصالح سلطات الاحتلال .

٣ — مقاومة إنشاء الجامعة المصرية عندما أخذ قادة الفكر يدعون إليها سنة ١٩٠٥ ولكنها لم تنشأ إلا فى سنة ١٩٠٨ بعد خروج « كرومر » من مصر وكانت فى أول أمرها أهلية ، وقد اعتمدت فى مواردها على تبرعات الأهالى والأغنياء وبعض الجماعات الأخرى غــــير

الحكومية ، وظلت تعمل كجامعة للعلوم الانسانية (كلية الآداب وكلية الحقوق) دون وجود الكليات العلمية وغير قادرة على القيام بخدماتها كاملة ، إلى أن تحولت إلى جامعة حكومية فيما بعد — وأطلق عليها أسم الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ (وهى المعروفة الآن بجامعة القاهرة) .

— عدم الاهتمام بتعليم الفتاة ، بحجة أن غالبية المصريين يعارضون فى تعليم بناتهم ، أو على الأقل التعليم الثانوى واستمرارهن فى التعليم

— التقتير فى الانفاق على التعليم إذ كانت الميزانية المخصصة لذلك ، تتناقص طوال فترة الاحتلال ، مما لايدع مجالا للتوسع فى التعليم وبالتالى فى إعداد المعلمين .

رابعاً : المركزية الشديدة والتسلط فى إدارة التعليم :

ويمكن الاستدلال على ذلك مما يلى :

١ — الأوامر الصارمة والتعليمات المشددة التى تتصف بالعنف والقسوة من قبل الانجليز ، فقد كان رؤساء المصالح الحكومية منهم وكان « دانلوب » هو الذى يدير سياسة التعليم وكان نظام المدارس نظاما عسكريا جافا بعيداً عن روح الديمقراطية ، كما كان النظار من الانجليز .

٢ — محاولة إظهار السلطات الاستعمارية بالعمالقة والمصريين بالأقزام ، وما تبع ذلك من التعالى والغرور (بالنسبة للانجليز) والذلة والخضوع (بالنسبة للمصريين) ، فالهدف هو إعداد موظفين صغار ، يستطيعون التفاهم مع رؤسائهم الأنجليز دون مناقشة أو تفكير ، فضلا عن شغل المناصب السنية بالإنجليز .

٣ — وضع النظم الارهابية لإجراء الامتحانات ، والموحية بالشك وعدم الثقة بالتلميذ وقد تضمنت لوائحها كيفية صياغة أسئلتها بطريقة تبعدها عن استعمال الفكر أو القدرة على التمييز السليم .

٤ — وضع المناهج والمقررات الدراسية ثم استخدام طرق التدريس الكفيلة بتنفيذها مع أصدار القوانين المنظمة للتعليم دون عرضها على قاعدة شعبية تدلى فيها برأيها وتعمـــل على تحقيق مطالب جماهير الشعب .

تلك هى سياسة التعليم فى عهد الاحتلال ، والتى ترتب عليها ، تدهور التعليم الحديث ، غير أنه بتولى « سعد زغلول » وزارة المعارف سنة ١٩٠٧ ، بدأ معه عهد جديد فى السياسة التعليمية فقد استأنفت الزعامات الفكرية نشاطها من جديد ، وحلت اللغة العربية محل الانجليزية فى التعليم ، وزيدت الميزانية المخصصة له ، ثم قامت الجهود الوطنية لتعيد للتعليم حركته ، وتخطو به خطوات إلى الإمام ، ولو أنها قد تعثرت فى بعضها إلى حد ما ، ولكن بعد حصول مصر على استقلالها (المشروط) وصدور دستور سنة ١٩٢٣ بدأت حياة تعليمية من نوع جديد . وهو ما سنتناوله فى المرحلة التالية .

• • •

ثالثا : إتجاهات التعليم فى النصف الأول من القرن العشرين « من ١٩٢٣ – ١٩٥٢ »

(أ) عرض عام : فى هذه الفترة ، وبعد انتهاء ثورة مصر بزعامة سعد زغلول سنة ١٩١٩ تم حصول مصر على الاستقلال النسبي أو المشروط سنة ١٩٢٣ ، قامت المحاولات وكثرت الجهود لبعث نواحى الحياة فى مصر من جديد ، لا سيما الحياة التعليمية ، فصدرت القوانين المشرعة للتعليم وتنظيمه وفى مقدمتها مشروع التعليم الالزامى سنة ١٩٢٥ تم محاولة توحيد المرحلة الأولى حيث كان هناك ثلاثة أنواع من مدارس هذه المرحلة ، هى :

— المدارس الالزامية بما تقدمه من تعليم نصف يومى لمدة خمس سنوات .

— المدارس الأولية ذات اليوم الكامل ومدتها أربع سنوات .

— المدارس الإبتدائية ذات اليوم الكامل ومدتها أربع سنوات .

وكانت المدارس الالزامية هى أسوأ هذه الأنواع من حيث نوعية التعليم فى حين أن المدارس الإبتدائية كانت أحسن الأنواع الثلاثة وكان التعليم فيها بمصروفات وكانت تدرس بها اللغة الأجنبية وتؤدى إلى التعليم الثانوى ثم العالى.

كذلك ، أستعانت الحكومة المصرية بالخبراء الأجانب لدراسة نظام التعليم المصرى والنظر فى تطويره وكان من بينهم ، كلاباريد السويسرى ، ومان البريطانى ، وقد قدم كل منهما تقريرا فى ذلك ، ثم تنافس الأفراد والجماعات فى أنشاء المدارس والعمل على أنهاض التعليم من كبوته التى تردى فيها أثناء السيطرة الأجنبية عليه ، فبالإضافة إلى جهود الحكومة المصرية وتشريعاتها فى سبيل النهوض بالتعليم رغب كثير من المواطنين فى مشاركتها ذلك للاسهام فى

نشر التعليم باعتباره سبيلا من سبل مقاومة الاستعمار والقضاء على ما أصاب البلاد من تخلف .

ومن أمثلة الجهود الشعبية :

مدارس الجمعية الخيرية المصرية الاسلامية ، جمعية التعليم المصرية ، جمعية العروة الوثقى ومدارس الحزب الوطنى ، الصباحية للتلاميذ والمسائية للعمال ، جمعية التوفيق القبطية ، جمعية المساعى المشكورة ، وكان بعض المدارس فنية بهدف التقدم الصناعى ونشر الثقافة الفنية بين المواطنين .

وإلى جانب إنشاء الجامعة المصرية ، عاودت حركة إصلاح التعليم الديني سيرتها ، فصدرت القوانين المنظمة للتعليم فى الأزهر ومراحل الدراسة فيه ، كما افتتحت الأقسام الليلية لمكافحة الأمية ، فعملت المدارس ثلاث فترات يوميا ، فترتين فى الصباح للصغار وفترة فى المساء للكبار ، إلى غير ذلك من الجهود البناءة فى مجال التربية والتعليم .

لقد كان الفكر التربوى فى هذه الفترة ، على وعى تام بالدور الكبير الذى يمكن للتعليم أن يلعبه لتثبيت ما تم الحصول عليه من الاستقلال ، ولكن العقبات التى وضعت فى طريقه ، عرقلت مضيه فى هذا السبيل ، ولم تكن فاعليته فى تثبيت الاستقلال وتدعيمه على النحو الذى أرادته جماهير الشعب ، فقد كانت معظم الجهود التى تبذل تتأرجح فى مسارها بين المد والجزر ، فتارة يتدخل القصر الملكى بمناوراته وأعوانه من أنصار التخلف والجمود لتحقيق أهواء خاصة ، وتارة تتدخل السياسة الحزبية المتناحرة وما يتبعها من ركود أحيانا وطفرة أحيانا أخرى وتارة تتعرض البلاد لبعض الضغوط الاستعمارية بطريقة أو بأخرى ، ...

الأمر الذى جعل الثقافة المصرية فى مهب الريح ، فقد حاول البعض إذابتها

فى ثقافة عالمية غربية الطابع ، والبعض الآخر يتجهون بها جهة عربية ، بينما يرى آخرون صبغها بالصبغة الاسلامية أو جعلها مصرية خالصة فى حين كانت الرأسمالية والاقطاع يحاولان التقليل من فاعليه التعليم ، الذى نشطت حركته ، للافادة من الأيدى العاملة ، وأستغلال القوى البشرية فى الانتاج لصالح هذه الفئة التى تمثل أقلية من الشعب المصرى ، كذلك فإن التعليم الفنى ، لم يكن على المستوى الذى يمكنه من الاسهام فى دعم الاقتصاد المصرى فطلابه يلتحقون به دون رغبة أو استعداد ، وأقسامه لا صلة بينها وبين ما يوجد من مصانع أو ورش أو أسواق ، وإنما يتم كله داخل المدارس دون ممارسة فعلية أو ارتباط بمواقع العمل والانتاج فى المجتمع .

حتى مجانية التعليم التى نادى بها المصلحون، كان يتمتع بها من لا يستحقونها بينما حرم منها كثيرون من أبناء الشعب الكادح .

كان هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد اتسم محتوى التعليم بالجمود والتخلف ، سواء فى مناهجه وإزدحامها بالمواد الكثيرة ، أو طرق تدريسه ، أو امتحاناته وتقويمه نتيجة لرواسب الماضى وما عاناه الشعب خلال فترة الاحتلال ، يضاف إلى ذلك ، عدم الثبات على سياسة تعليمية محددة نتيجة للوزارات الكثيرة والمتعاقبة وعدم الاستقرار السياسى للدولة حتى أضحى التعليم متخلفاً عن التقدم المنشود .

على أنه يمكن أعتبار الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ فترة تخطيط وتخريب فى مجالات التربية والتعليم ، بل لا نغالى إذا قلنا أنها كانت بمثابة عملية إنضاج للفكر الجماهيرى ، واستثارة للرأى العام فى المجتمع المصرى ، كعامل من بين العوامل التى مهدت لقيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، وما تبعها من نهضة عمليه وتعليمية شاملة .

(ب) الاتجاهات التربوية في هذه الفترة .[1]

لقد برزت في أفق التعليم المصري في تلك الفترة بعض الاتجاهات التي تهدف إلى إصلاحه وكان لكل منها أسلوبه في معالجة هذا الإصلاح والتي تعتبر من الملامح المميزة للتعليم في النصف الأول من القرن العشرين ، من هذه الاتجاهات :

١ — بالنسبة لآراء المفكرين: ويمثلها كل من: نجيب الهلالي، طه حسين واسماعيل القباني .

— نجيب الهلالي : (١٩٣٥ — ١٩٤٣) ويتمثل رأيه في سياسة الأبعاد الثلاثة بمعنى أن تطوير التعليم ينبغي أن يسير في اتجاهات أو أبعاد ثلاثة ،هي الطول ويعني استمرار الإلزام حتى يشمل التعليم العام،أي مراحل التعليم قبل العالي أو الجامعي، والعرض، ويعني إتاحة فرص التعليم لكل طبقات الشعب دون أي تمييز ، والعمق ويعني جودة التعليم ونوعه وكيفية مناسبته لقدرات التلاميذوميولهم كما كان من رأيه أن يتنوع التعليم الثانوي ليواجه الاحتياجات الفردية والاستعدادات الشخصية للتلاميذ ، فيقسم إلى ثانوي عام (أو أكاديمي) وثانوي فني ، زراعي ، وتجاري وصناعي . وربما كان لطه حسين دخل في رأي الهلالي فقد عمل مستشارا فنيا لوزارة المعارف (١٩٤٢-١٩٤٤) عندما كان الهلالي وزيرا لها .

— طه حسين :

ويتمثل رأيه في سياسة « الكم » وجعل التعليم كالماء والهواء، بمعنى

(١) أنظر د . محمد منير مرسي — إدارة وتنظيم التعليم العام — مكتبة عالم الكتب — القاهرة ١٩٧٤

إتاحة فرص التعليم لكل من يريد وبالمجان فالتعليم ـ فى رأيه — ليس ترفا وإنما هو حاجة من حاجات الحياة وضروراتها ، وقد ترتب على ذلك ، زيادة هائلة فى إعداد تلاميذ العام، مما نتج عنها انخفاض فى مستوى التعليم ونوعيته الأمر الذى جعل هذه السياسة محل انتقاد ومآخذ حيث اهتمت بالكم على حساب الكيف فى التعليم .

اسماعيل القبانى :

ويتمثل رأيه فى سياسة « الكيف » ويعنى جعل التعليم فى المرحلة الأولى إلزاميا لجميع الأطفال ، ، ثم يبدأ اختيار من يصلحون للاستمرار فى التعليم الثانوى الذى يؤدى إلى التعليم العالى، على أن يتم عملية الاختيار باستعمال مجموعة من الاختبارات النفسية على مرحلتين ، الأولى استطلاعية عند سن ١٢ سنة، والثانية تأكيدية عند سن ١٤ سنة ، يوجه بعدها الطلاب إلى التعليم النظرى أو الفنى حسب قدراتهم واستعداداتهم وميولهم ، أى أن التعليم الثانوى فى نظره ، ليس تعليما للجميع وإنما هو للصفوة المختارين ، فهذا ـ فى رأيه ـ أجدى للتعليم وقد عبر القبانى عن رأيه هذا ،فى مجموعة من التقارير والمقالات فيما بين سنة ١٩٢٤ و١٩٤٧ وقبل أن يصبح وزيرا للمعارف فى الفترة من سنة ٥٢ إلى ١٩٥٤ .

٣ — بالنسبة لطبيعة التعليم :

ظهرت بعض الاتجاهات العلمية فى الفكر والتطبيق التربوى ، كان من أهمها محاولة الأخذ بالتجريب التربوى : أراد المفكرون فى مصر أن تنال التربية فيها حظا من التقدم العلمى والنفسى الذى ظهر فى عدد من البلدان الغربية فى أواخر القرن التاسع عشر بهدف الخروج بالعملية التربوية من داخل

الفصول الدراسية إلى المجتمع وواقع الحياة ، والمواءمة بين ميول التلاميذ ومتطلبات المجتمع .

وكان أن بدأ معهد التربية العالى للمعلمين (الذى أنشىء عام ١٩٢٩) – وهو كلية التربية جامعة عين شمس الآن – بدأ بإجراء بعض التجارب باتباع أساليب التربية الحديثة السليمة ، مع ملاءمتها للبيئة المصرية وشمل ذلك خطة الدراسة ومحتوى المناهج وطرق التدريس وميول التلاميذ ، واتخذت بعض الفصول أو المدارس مجالا للتجريب وألحقت بمعهد التربية فى سنوات متعاقبة أو متباعدة أحيانا طبقا لنزعات التأييد والمعارضة، وطبقت فيها الأساليب التربوية الجديدة التى رآها المختصون من أمثال : القبانى والكردانى والقوصى وفؤاد جلال وغيرهم ممن أسهموا إسهاما فعليا فى هذا التجريب ، وعرفت مدرسة النقراشى النموذجية (سنة ١٩٣٩) والمدرسة الثانوية النموذجية بالقبة سنة ١٩٤٢ ومدرسة الأورمان النموذجية سنة ١٩٤٥ وغيرها بتطبيقها للاتجاهات الحديثة واستطاعت هذه المدارس أن تشع على الحياة التعليمية فى مصر إشعاعات جديدة، كان لعدد كبير منها أثره الحسن، وأن وقف التطبيق فى بعض الأحيان عند حدود الشكلية مما جعلها لا تثمر ما كان يرجى لها من تغيير فى أساليب التربية والتعليم فى مصر تغييرا جذريا .

كذلك ، شهد التعليم المصرى فى الأربعينات تجارب مختلفة فى التعليم الريفى بهدف الإصلاح الاجتماعى والثقافى ، فأنشئت المدارس الريفية الأولية وهى التى تلحق بها مزارع صغيرة . كما أنشئت بها ورش للنسيج والسجاد والكليم والجلود والصناعات الريفية ، وأعد لها من يلزمها من المعلمين فى مدارس المعلمين الريفية التى أنشئت من أجل هذا الغرض وكان فى مقدمة

المهتمين بهذا النوع من التعليم : محمد عبد الواحد خلاف ومحمد فريد أبو حديد و د. أحمد عبد السلام الكردانى .

— محاولة الأخذ بالقياس والتجريب النفسى :[١]

كان لإسماعيل القبانى فضل القيام بأبحاث نفسية واختبارات متعددة ، منها اختبارات الذكاء واختبارات القدرات والإمكانيات العقلية للإفادة منها فى تفهم العقلية المصرية ومايترتب على ذلك من توجيه للعملية التعليمية فى مدارس مصر ، وإلى جانب وسائل القياس العقلى المتعددة ، اهتم القبانى بالاختبارات الموضوعية لقياس التحصيل الدراسى وما يتصل به من مهارات ، وقد شارك القبانى كثير من رواد علم النفس التربوى فى مصر ، ممن كان لهم أثر ملموس فى هذا المجال .

— محاولة تقصى مشكلات التعليم :

رغبة فى التغلب على ما يعترض التربية والتعليم من مشكلات وحتى تكون الحكومة على بينة من أحوال التعليم، أنشئت الإدارة المختصة بذلك، وقد تنوعت مسمياتها طبقا لطبيعة عملها ، كما يراه المختصون ، فكانت على النحو التالى :

فى سنة ١٩٢٩ أنشىء مكتب البحوث الفنية والهيئة الفنية العليا .

فى سنة ١٩٤٠ أدمجت الإدارتان السابقتان تحت اسم هيئة البحوث الفنية .

فى سنة ١٩٤٤ سميت الهيئة السابقة باسم المكتب الفنى لمشروعات التعليم الجديدة .

---

(١) د. أحمد زكى صالح — القبانى وعلم النفس — صحيفة التربية — يناير ١٩٦٤ ص ٢٨

فى سنة ١٩٤٦ أنشئت « إدارة البحوث الفنية وقد أسند إليها كثير من المهام التعليمية .

فى سنة ١٩٤٧ أنشئت المراقبة العامة للبحوث الفنية والمشروعات .

فى سنة ١٩٤٩ تغير اسم المراقبة السابقة وسميت « المراقبة العامة للمشروعات والإحصاء .

٣ — بالنسبة لنظام التعليم :

بذلت محاولات جادة نحو القضاء على ازدواج المرحلة الأولى من التعليم ،منها :

— إلغاء اللغة الأجنبية من منهج السنة الأولى الابتدائية سنة ١٩٣٨ .

— بدىء التفكير فى توحيد التعليم الإلزامى والتعليم الابتدائى تدريجيا من سنة ١٩٤٠ .

— ألغيت المصروفات المدرسية من التعليم الابتدائى سنة ١٩٤٤ .

— ألغيت اللغة الأجنبية من منهج السنة الثانية الابتدائية سنة١٩٤٥ مما يتيح الفرصة لتلاميذ المدرسة الأولية أن يلتحقوا بالتعليم الابتدائى.

— قرر المجلس الأعلى للتعليم أن تكون المرحلة الأولى ٦ سنوات تبدأ من سن السادسة إلى الثانية عشر دون لغة أجنبية ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٦ .

— عممت مجانية التعليم العام (ماقبل الجامعى) فى مصر سنة ١٩٥٠ .

— صدر قانون التعليم الابتدائى فى سنة ١٩٥١ وبموجبه أدمجت المرحلة الأولى وأطلق عليها اسم « المدرسة الابتدائية » .

— شهدت مراحل التعلم العام (أولى ، ابتدائى ، ثانوى) خلال النصف الأول من القرن العشرين عدة تعديلات من حيث عدد سنوات الدراسة بها ونظمها ومناهجها وامتحاناتها والمؤهلات الدراسية التى تمنحها ، إلى أن قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وبدأت سياسة تعليمية جديدة تتضمن توحيد المرحلة الأولى من التعليم وتنظيم السلم التعليمى على النحو التالى ·

— المرحلة الابتدائية ومدتها ٦ سنوات دراسية تبدأ من سن السادسة للأطفال من الجنسين

— المرحلة الإعدادية ومدتها ٣ سنوات دراسية .

— المرحلة الثانوية ومدتها ٣ سنوات دراسية .

على أن تتنوع الدراسة بعد المرحلة الإعدادية إلى ثانوية عامة وثانوية فنية . ثم تبدأ الدراسة الجامعية أو العالية بعد المرحلة الثانوية بنوعيها وفقا لاعتبارات متعددة .

٤ — بالنسبة لإدارة التعليم :

كانت إدارة التعليم ، إدارة مركزية صارخة منذ بداية التعليم الحديث فى القرن التاسع عشر غير أن الأمور فيما بعد — تغيرت وبدأت محاولات متتالية للتخفيف من قيود المركزية وأعبائها ، وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين بعض هذه المحاولات ، التى كانت على النحو التالى :

لقد تركزت السلطة فى الديوان العام لوزارة المعارف منذ أوائل القرن العشرين ، بل أنها كانت كذلك منذ إنشاء ديوان المدارس فى سنة ١٨٣٧ والذى تغير اسمه إلى « نظارة المعارف العمومية سنة ١٨٧٨ ، ثم إلى

وزارة المعارف العمومية سنة ١٩١٥ وأخيراً إلى وزارة التربية والتعليم من سنة ١٩٥٣ .

كانت الوزارة هى التى تتولى رسم السياسة التعليمية وخطط الدراسة وتقرير المناهج الدراسية ، وتقوم بامتحانات النقل والامتحانات النهائية ، وهى التى تتولى الانفاق على التعليم وتقدر ميزانيته كما تقوم بتعيين وترقية وتنقلات العاملين فيه من نظار ومدرسين وموجهين وإداريين وفنيين ومستخدمين وفى إطار السياسة العامة للدولة وظلت كذلك حتى العقد الأول من القرن الحالى .

(ا) وفى سنة ١٩٠٩ :

أنشئت مجالس المديريات طبقا لتقسيم القطر المصرى إلى عدة مديريات، وحينئذ رؤى إشراك هذه المجالس فى بعض أمور التعليم وبخاصة التعليم الأولى كنوع من تخفيف المركزية وأصبح من حق المجالس فرض ضريبة تعادل ٥٪ من الضرائب على الأطيان لاستخدامها فى الخدمات العامة ومن بينها التعليم أو قصرها على التعليم إذا لزم الأمر ، مع إشراف الوزارة عليها ومساعدة بعضها ماليا ، وفى سنة ١٩٣٤ حددت مسئولية مجالس المديريات فى التعليم الأولى والإلزامى دون غيره وتخصيص اعتماداتهـــا المالية له .

(ب) فى سنة ١٩٣٩ :

قسم القطر المصرى إلى مناطق تعليمية ، لم تشمل كل المديريات حسب التقسيم الإدارى ، وفى بادىء الأمر كانت كل منطقة تشتمل على أكثر من مديرية روعى فيها الجوار والتقارب الجغرافى ،وذلك بهدف التخفيف من قيود

المركزية فى الوزارة وبخاصة الشئون الإدارية والمكاتبات والاستفسارات مع بعض المسئوليات فى أمور التعليم ، ثم تطور هذا الوضع - فيما بعد - فوحدت فى كل مديرية منطقة تعليمية وفى سنة ١٩٥٥ صدر قراران وزاريان يستهدفان تنظيم المناطق التعليمية على غرار تنظيم وزارة التربية والتعليم ، وقد أخذا بمضمونهما إلى حد كبير .

(ج) فى سنة ١٩٥٦ :

بدىء التفكير فى محاولة أخرى للتخفيف من أعباء المركزية وقيودها والتغلب على معوقاتها وذلك بأن تقسم المنطقة التعليمية إلى مجموعة من المراقبات التعليمية ، تختص كل منها بقطاع جغرافى ، تتولى فيه إدارة التعليم والإشراف عليه ، وقد اختيرت منطقة الجيزة التعليمية مكانا لهذا التجريب ، على أن تتكفل لها الإمكانيات المالية والفنية ، حتى يمكن التخلص من الروتينات والعقبات التى تعترض مسائل التعليم ، كما يخول لها الحق فى التعيينات والترقيات والتنقلات التى تراها ، وبالتالى تكون نموذجا يحتذى به فى سائر المناطق التعليمية .

وبالفعل بدىء فى هذه المحاولة فى ابريل سنة ١٩٥٧ ، ولكن يبدو أن الخلط أو التعارض بين اختصاصات الوزارة وصلاحيات المنطقة ، قد حال دون نجاحها كما ينبغى بالإضافة إلى تأخر الاعتمادات وصدور بعض القرارات المنظمة لها ، قد ساعد فشل التجربة وبالتالى إنهائها سنة ١٩٦٠ .

(د) فى سنة ١٩٦٠ :

صدر قانون الإدارة المحلية، على أساس إنشاء نظام لامركزى على المستوى القومى للوزارات إلى المستوى الإقليمى للمحافظات إلى المستوى المحلى لمجالس

المدن والقرى ، وقد صدرت القوانين والقرارات المنظمة لذلك ، وقد نص نظام الإدارة المحلية على أن تتولى المجالس المحلية (فى المحافظات والمدن والقرى) إنشاء وتجهيز وإدارة المدارس الحكومية الداخلة فى نطاقها بأنواعها المختلفة، فيما عدا المدارس التجريبية والتعليم العالى — فى إطار السياسة العامة للدولة .

ثم بدىء فى تنفيذ تنظيمات الحكم المحلى فى سنوات متتالية ، وأصبح لكل محافظة من محافظات الجمهورية مديرية للتربية والتعليم تعتبر صورة مصغرة فى تنظيماتها لمثيلتها فى ديوان الوزارة وكذلك ، تضمنت كل مديرية، من الإدارات والقطاعات التعليمية ، مايضمن التخفيف من أعباء المركزية على أنه يمكن القول بأن إدارة التعليم فى مصر الآن ، تسير على مبدأ : « مركزية التخطيط ، ولامركزية التنفيذ » .

٥ — بالنسبة لإعداد المعلمين:

(١) معلمو المرحلة الأولى :

كانت غالبية المعلمين بهذه المرحلة حتى أوائل القرن العشرين من الحاصلين على الشهادة الابتدائية ، فكان المعلم يعين فى المدرسة الابتدائية التى تخرج فيها ؛ كما كان يقوم تلاميذ الفرق النهائية فى المدرسة الابتدائية بالتدريس فى السنتين الأوليتين فيها ، ولم يكن الإعداد المهنى متوافراً لمن يقوم بالتعليم فى هذه المرحلة ، فكانت الكتاتيب والمدارس الأولية تمثل نسبة كبيرة من هذا التعليم. ومع مطلع القرن الحالى، بدأ اهتمام الدولة بإعداد معلمى المرحلة الأولى فأنشئت أول مدرسة للمعلمات الابتدائية سنة ١٩٠٠ هى معلمات السنية ، ثم مدرسة للمعلمات التعليمية سنة ١٩٠٣ وهى مدرسة المعلمات ببولاق بالقاهرة ، كذلك أنشئت أول مدرسة للمعلمين الأولية سنة ١٩٠٤ وهى مدرسة معلمى عبد العزيز بالقاهرة أيضاً . وتتابع بعد ذلك إنشاء المدارس فى أنحاء

القطر المصرى ، وكانت مدة الدراسة بهذه المدارس تتراوح بين سنة واحدة وثلاث سنوات دراسية ، وقد تعرضت على مدى أكثر من نصف قرن ، للتغيير والتبديل والتطوير ما بين مسمياتها ، وسنوات الدراسة بها ومناهجها والشعب التخصصية بها ، حتى استقر بها الحال على نظامها القائم فى الوقت الحاضر ، فأطلق عليها ابتداء من الستينات « دور المعلمين والمعلمات » ومدة الدراسة بها خمس سنوات بعد الحصول على الشهادة الإعدادية ، تكون الدراسة فى السنوات الثلاث الأولى منها دراسة عامة تقترب من مستوى الدراسة بالمرحلة الثانوية وتكون الدراسة بالسنتين الأخيرتين ، تخصصية فى شعب متنوعة .

(ب) معلمو المرحلة الإعدادية والثانوية :

من المعروف أن أول معهد أنشىء لإعداد المعلمين فى مصر فى العصر الحديث هو مدرسة المعلمين الناصرية (دار العلوم) سنة ١٨٧٢ لتخريج معلمين لتدريس اللغة العربية فى المدارس الإبتدائية والثانوية ، وكانت مدة الدراسة بها عند إنشائها خمس سنوات : وفى سنة ١٨٨٠ أنشئت مدرسة المعلمين العامية (أو النورمال) وتغير اسمها إلى مدرسة المعلمين التوفيقية سنة ١٨٨٨ وكان الغرض من أنشأها تخريج معلمين لتدريس اللغة الفرنسية والعلوم بالمدارس الأميرية. وفى سنة ١٨٨٩ أنشئت مدرسة المعلمين الخديوية لإعداد معلمين لتدريس اللغة الانجليزية وبعض العلوم الأخرى ، وأعيد تنظيمها سنة ١٩٠٥ (بعد إلغاء مدرسة المعلمين التوفيقية) وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات ، خفضت إلى ثلاث فى سنة ١٩٠٩ ، قسمت الدراسة بها إلى قسمين ، أحدهما لتخريج معلمى الآداب والثانى لتخريج معلمى العلوم وقد تغير اسمها بعد ذلك إلى مدرسة المعلمين السلطانية ثم مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٣ وفى سنة ١٩٢٨

رؤى إلغاؤها تدريجيا ليحل محلها معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٢٩ (والذى تطور إلى أن أصبح كلية التربية جامعة عين شمس الآن) وكانت الجامعة المصرية قد أنشئت عام ١٩٢٥ وأنه يمكن الإفادة من طلاب كليتى الآداب والعلوم بها فى تدريس المواد التى كانت تدرس بمدرسة المعلمين العليا بعد إعدادهم مهنيا وتربويا لمدة عامين بمعهد التربية .

معهد التربية العالى للمعلمين :

أنشىء بالقاهرة عام ١٩٢٩ وكان به قسمان :

١ — قسم لإعداد مدرسى التعليم الابتدائى (مايعادل الإعدادى الآن) ويقبل الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية ومدة الدراسة به ٣ سنوات لمختلف التخصصات .

٢ — قسم لإعداد مدرسى التعليم الثانوى ويقبل خريجى كليتى الآداب والعلوم ومدة الدراسة به سنتان .

وقد أدمج القسمان فى سنة ١٩٣٧ ، ثم أنشىء بالمعهد قسم للدراسات العليا بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة القاهرة فى سنة ١٩٤١ (كما أنشىء على غراره معهد آخر فى الاسكندرية سنة ١٩٤٥) .

وفى سنة ١٩٥١ عدل نظام الدراسة بالمعهد على أن تكون الدراسة به سنة واحدة وضم إلى جامعة عين شمس وفى سنة ١٩٥٦ تحول إلى كلية للتربية تقبل خريجى كليات الجامعة لإعدادهم للتدريس بالمرحلتين الإعدادية والثانوية بعد سنة دراسية واحدة يمنح الخريج بعدها الدبلوم العامة فى التربية ، ومن حقها منح الدبلوم الخاصة فى التربية بعد سنة دراسية أخرى ، ثم درجتى الماجستير والدكتوراه فى فروع التربية وعلم النفس .

وفى سنة ١٩٧٠ أدمجت كلية التربية جامعة عين شمس وكلية المعلمين التى كانت قد أنشئت بالقاهرة سنة ١٩٥٢ بدلا من مدرسة المعلمين العليا لإعداد معلمى المرحلتين الإعدادية والثانوية من حملة شهادة الثانوية العامة بقسميها العلمى والأدبى لمدة ٤ سنوات وأدمجت الكليتان فى كلية واحدة هى كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة الآن) وهى الكلية الرائدة فى المجال التربوى على مستوى الوطن العربى كله وتضطلع بمهام تربوية متنوعة منها : إعداد المعلمين والدراسات العليا ثم تتابع فيما بعد إنشاء كليات التربية فى كثير من المحافظات بالجمهورية لمواجهة القيادة فى العمران والتعليم وتحاول هذه الكليات أن تنهج نهج الكلية الأم وتحذو حذوها فى المجالات التربوية .

معهد التربية العالى للمعلمات

أنشىء بالقاهرة عام ١٩٣٣ لإعداد معلمات مراحل التعليم العام ، على غرار معهد التربية العالى للمعلمين ، وكان به قسمان :

١ — قسم لإعداد مدرسات للتعليم الابتدائى من الحاصلات على شهادة الثانوية ومدة الدراسة ٣ سنوات للتخصصات المختلفة .

٢ — قسم لإعداد مدرسة المرحلة الثانوية من خريجات الكليات الجامعية ومدة الدراسة به سنتان . وفى سنة ١٩٥٠ عدل نظام الدراسة وأنقصت مدة الدراسة إلى سنة واحدة ثم تحول إلى كلية للبنات بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ ، بقسميها التربوى والعام ومدة الدراسة بكل منهما أربع سنوات للحاصلات على شهادة الدراسة الثانوية العامة بقسميها العلمى والأدبى ، كما تعد للدراسات الليا التخصصية والتربوية .

أما معلمو ومعلمات ، التربية الرياضية ، والتربية الفنية ، والتربية الموسيقية ، ومدرسات الفنون الطرزية والاقتصاد المنزلي :

فقد انشئت المعاهد الخاصة بكل فئة — في بادىء الأمر — كأقسام ، أو شعب ملحقة بمعهد التربية العالى للمعلمات (أو ملحقة بمدرسة ثانوية كالمعهد العالى للتربية الرياضية للمعلمات ، فقد ألحق — أول الأمر سنة ١٩٣٧ بمدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات ببولاق بالقاهرة) فى سنوات الثلاثينيات وبعضها فى الاربعينيات ثم تطورت هذه الأقسام أو الشعب فأصبحت معاهد مستقلة وعدلت نظم الدراسة بها وسنواتها الدراسية (على مدى سنوات متتالية) وأصبح كل منها ، يعد فئة معينة من المعلمين أو المعلمات من الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية وهذه المعاهد تجمع إلى جانب الدراسة التخصصية بها ، الدراسة التربوية للمهنية .

وبعد ، فتلك هى رحلة التعليم فى مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين ، أو جزناها على النحو السابق ، حتى إذا قامت ثورة مصر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما تحمله — فى سنواتها — من الخير لمصر ، ومن إعادة بناء الحياة فيها ، رغبة فى مزيد من التقدم ، أعيد تخطيط التعليم فيها ، على أسس جديدة وفى ضوء سياسة تعليمية رشيدة تستهدف المضى قدما فى مجالات التربية والتعليم بصفة عامة وكذلك الاهتمام بإعداد المعلمين بكافة تخصصاتهم ، مسايرة لاتجاهات العصر على الصعيد العالمى ، انطلاقا من الاعتبار الذى يؤكد دور العلم كوسيلة هامة من وسائل الاستثمار فى الحياة .

وقد خطت الدولة فى سبيل تحقيق ذلك ، خطوات كبيرة ، موفقة .

* * *

من أعلام الفكر التربوى فى مصر الحديثة

١ — رفاعه رافع الطهطاوى : (١٨٠١ — ١٨٧٣)

— من رواد النهضة العلمية الحديثة وفى مقدمة المهتمين بأمور الثقافة والتربية والتعليم فى القرن التاسع عشر .

— ولد سنة ١٨٠١ فى طهطا بمحافظة سوهاج بصعيد مصر . من أسرة مشرية صميمة رقيقة الحال .

— تلقى دراسته الأولى فى كتاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى القاهرة فى سنة ١٨١٧ حيث التحق بالأزهر ودرس به علوم اللغة العربية وعلوم الدين والشريعة الإسلامية .

— أتم دراسته سنة ١٨٢٢ وعمل بالتدريس بالأزهر لمدة عامين ثم اختير إماما لأحدى فرق الجيش أيام محمد على .

— فى سنة ١٨٢٦ سافر إلى باريس بفرنسا على رأس بعثة مصرية ومتوليا مهمة الوعظ . والأقامة بها ، يزكيه فى هذا علمه وخلقه وشهادة أساتذته بكفاءته ونبوغه .

— فى سنة ١٨٣١ عاد إلى مصر بعد أن أتم بعثته بتفوق وبفكر مفتوح وعقل راجح .

— أكسبته أقامته فى باريس وحياته فى مجتمعها كثيرا من الخبرات الفكرية ، والاجتماعية والسياسية ، مما صقل مواهبة وزاد فى وعيه .

— عمل - بعد عودته - مترجما بكلية الطب (مدرسة الطب آنذاك) ثم

رئيسا لهيئة الترجمة بها ، قام بتدريس بعض المـــواد فى مدارس الجيش .

— تولى إدارة مدرسة الألسن منذ أنشائها سنة ١٨٣٥ وعليه تتلمذ كثيرون من أبناء عصره حيث قاد حركة ترجمة كبيرة فى مختلف نواحى العلم والمعرفة مثل : الطب والتشريح ، والطبيعة والزراعة والفلسفة والمنطق والتاريخ والجغرافيا والرحلات وغيرها مما أشرف على ترجمته إلى اللغة العربية حتى وصل عددها إلى نحو ٢٠٠٠ كتاب مترجم . خلال نحو عشر سنوات ، إلى جانب تخرج ما يزيد عن مائة من المترجمين المهرة .

— تولى ـ بعد ذلك ـ وظائف متنوعة ، سواء بالعمل أو الإشراف أو الإدارة ، منها : مجالات متعددة فى التربية والتعليم . والصحافة ، كرئاسة تحرير جريدة الوقائع المصريةفى سنة ١٨٤٢ حيث أعاد تنظيم تحريرها وموضوعاتهابجرأة حكيمة وأفق واسع، كما اشترك فى تحرير مجلة روضة المدارس منذ إنشائها سنة ١٨٧٠ .

— كذلك عمل رفاعه الطهطاوى ديوان المدارس وقام بدور كبير ف تنظيم تدريس اللغة العربية بالمدارس ، واختيار المعلمين الأكفاء ، وكان خير معين لعلى مبارك فى لجنة المدارس التى كانت تشرف على تنظيم التعليم[١] .

— له عدة مؤلفات منشورة ، منها :التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية منظوم فى مصطلح الحديث ـ نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز

(١) أنظر تاريخ التعليم الحديث فى مصر وأبعاده الثقافية — د . سيد إبراهيم الجيار

تخليص الابريز فى تلخيص باريز — مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية — المرشد الأمين للبنات والبنين .

— أما المخطوطات التى تركها ، فمن بينها : فى علم الكلام — فى المذاهب الدينية — فى الأسكندر الأكبر — نبذة فى العلوم والسياسة والصحة .

آراؤه التربوية :

من العوامل التى أثرت فى فكر وآراء رفاعة الطهطاوى ما يأتى :

(ا) ظروف الحياة التى عاش فيها (النتائج العلمية للحملة الفرنسية — رغبة المسئولين فى تحديث الثقافة) مما ساعد على ميلاد فكر جديد وثروة علمية وثقافة جديدة لبلاده .

(ب) تلقى تعليميه فى مصر على أيدى أفذاذ عصره من العلماء والمتعلمين ، ذوى الأفق الواسع والبحث عن مصادر العلم والمعرفة من أمثال الشيخ حسن العطار وغيره .

(جـ) دراسته فى الخارج ، وتفتح ذهنه ، ونبوغه ، ورغبته فى الاسهام فى نهضة بلاده وتقدمها .

أما آراؤه فى التربية ، فمن أهمها :

١ — أنه يرى التربية لا تقتصر على العناية بالفرد من حيث الاهتمام بنواحيه الحسية والعقلية ، أو تحقيق نموه المتكامل فحسب ، ولكنها أيضا عملية اجتماعية ، ينبغى أن نشتق أهدافها ، ومقوماتها ، وموجهاتها من حياة الجماعة التى تعيش فيها[1] .

---

(١) د . أبو الفتوح رضوان — رفاعة رافع الطهطاوى — أول رائد التربية والتعليم مصر الحديثة مجلة الرائد — يناير ١٩٥٩

٢ — أنه يدعو إلى تحكيم العقل فى أمور الإنسان وحياته، فالعقل يهدى إلى المعرفة والعلوم والفنون وهى الوسيلة الوحيدة فى التصور والتصديق وتميز الحقائق على وجه دقيق ، فالإنسان قادر بعقله على تمييز الحق من الباطل .

ولعل هذا ، تأكيد لامتزاج العقل بالعقيدة فى فكر رفاعه الطهطاوى .

٣ — أنه يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية ، سواء بالنسبة للبنين أو البنات وأن الوازع الدينى ،عامل هام لتقويم النفس وسلامة الخلق.

٤ — أنه يدعو إلى الأخذ بالعلوم الحديثة والاستفادة الفكرية وعدم الاقتصار على دراسة العلوم اللغوية (العربية) والدينية (الشرعية) كما كان يرى بعض علماء الأزهر ورجال الدين . والنظرة القاصرة إلى مفهوم الدين ، وأن كثيرا من العلم والمعرفة ، أخذها الأوربيون عن العرب والمسلمين ونقلوها إلى لغاتهم الأجنبية .

٥ — من رأيه ضرورة الاهتمام بتعليم الفتاة ، لفائدة ذلك بالنسبة لها ولأبنائها مع الاهتمام بشئون بيتها ، كما يدعوها إلى مداومة الاطلاع بدلا من أضاعة الوقت فيما لا يفيد .

٦ — من رأيه ، ضرورة تدريس التربية الوطنية للتلاميذ ، ليعرفوا ما يعيش فيه مجتمعهم من ظروف ، وليعرفوا كيفية ممارستهم لحقوقهم وأدائهم لواجباتهم .

٧ — من رأيه ، تعليم طلاب المدارس ، التربية السياسية ، فمن حق الشباب أن يعرفوا كيف تحكم بلادهم ، وهذا من وجهة نظره — يدعم الصلة بين الحاكم والمحكومين ويوثق العلاقات بين أفراد الشعب ، نتيجة تفهمهم لأمور بلادهم وما يتعلق بمصالح وطنهم [١].

---

(١) راجع مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب المصرية . رفاعة الطهطاوى .

٨ — يدعو إلى وجوب وجود علاقه طيبه بين المعلم وتلاميذه ، فهم بالنسبة له بمثابة أخوة أو أبناء ،وأنه ينبغى اتباع الوسائل التشجيعية (أو الحوافز) لمضيهم فى تحصيل العلم ، مع ضرورة احترام المعلم ، واطاعته فى توجيهاته ونصحه لتلاميذه .

٩ — يرى عدم استخدام العقوبة البدنية (الضرب) فى تعليم الناشئين ، وينصح المعلم بالصبر فى تعليمهم ، والعطف مع الحزم فى معاملتهم ، مع إتاحة فرصة لهم للترويح من عناء الدرس من وقت لآخر .

١٠ — يرى ضرورة قيام التوجيه التربوى على أسس ، ومبـــادىء ، تستهدف صالح التلميذ باعتبار أن التربية عملية إعداد الحياة ، وأن التوجيه يقصد به تغيير يمكن صاحبه من مواكبة الحياة بنجاح .

(٢)على مبارك (١٨٢٢ — ١٨٩١)

— ولد فى قرية برنبال بمحافظة الدقهلية بدلتا النيل سنة ١٨٢٢ .

— حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية — تعلم الخط والحساب على يد كاتب المساحة .

— وفد إلى القاهرة ليلتحق بالتعليم المدنى الذى كان بادئا فى ذلك العصر فالتحق بالمدرسة التجهيزية (الثانوية) سنة ١٨٣٦ .

— التحق بمدرسة المهندسخانة سنة ١٨٤٠ وكان أول دفعته عند التخرج منها .

— سافر إلى فرنسا فى بعثة دراسية سنة ١٨٤٥ وهى البعثة التى أوفدها محمد على وشملت أبناءه لتلقى العلم فى الخارج ، وسميت ببعثة الأنجـــال .

— لعب دورا كبيراً — خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر — فى تحضر وتمدين الأمة المصرية ، فقد كان مديرا للتعليم ، والأشغال ، والسكك الحديدية فى وقت واحد ، يواصل العمل ليلا ونهارا حتى ليفكر فى الليل بما سيقوم به فى النهار ، وقد كان الركيزة الأولى التى اعتمد عليها الخديو إسماعيل فى نهضة مصر ، وفى تطوير حياتها المادية والمعنوية [١] .

— قام بأعمال وإنشاءات وأصلاحات كثيرة ، كما أشرف على منجزات فى مجالات : التعليم والرى والسكك الحديدية وتخطيط المدن وتنظيمها بكفاءة وعلم ، وحب لوطنه ، لاسيما فى فترة تحول مصر من بلد

(١) راجع . على مبارك وآثاره — د . محمد أحمد خلف الله . ص ٥٤

شرقى متواضع فى مظاهر المدنية والتحضر ، إلى بلد يضارع كثيرا من البلاد الأوربية المتقدمة فى ذاك الوقت .

— ساعده على نجاحه فى حياته وأعماله ، نبوغه الفطرى ، وأتساع فكره ورجاحة عقله ، وحبه للعلم ، والعمل فى خدمة بلاده .

— تولى الوزارة مرتين ؛ الأولى فى سنة ١٨٨٣ وكان وزيرا للاشغال والثانية فى سنة ١٨٨٨ وكان وزيرا للمعارف .

من أعماله : —

١ — فصل بين التعليم المدنى والتعليم العسكرى ، حيث جمع المدارس المدنية فى مؤسسة واحدة واتبعها لديوان المدارس ، وجمع المدارس العسكرية فى مؤسسة واحدة وأتبعها لديوان الجهادية .
(فى أيام سعد)

٢ — له جهود كثيرة ومتنوعة فى إنشاء المدارس ، والإرتفاع بمستواها العلمى (حيت عنى بمناهجها) ومستواها التعليمى (حيث عنى بمعلميها وكيفية إعدادهم) لما لذلك من أهمية كبيرة .

٣ — أنشاء دار العلوم لتخريج معلمين للغة العربية ، ولم تكن من قبل أسما لمدرسة ، وإنما كانت أسما لقاعة المحاضرات الملحقة بدار الكتب ، فحولها إلى مدرسة لتخريج المعلمين سنة ١٨٧٢ .

— ٤ أنشأ دار الكتب ليرجع اليها المعلمون للاستعانة على التعليم كما فى مدارس البلاد الأجنبية ولتجميع الكتب والمخطوطات المتنوعة ، وتلبية لرغبة « الخديو اسماعيل » فى أنشاء كتبخانة عمومية ، تجمع

الكتب المتفرقة فى النواحى المختلفة كدواوين الحكومة والأوقاف ، والمساجد ، وغيرها .

ه — كان يرى أن التعليم وسيلة من وسائل التوجيه والبعث الجديد لشعب مصر ، وأنه الوسيلة لتكوين الرأى العام المستنير الذى يلبى حاجات النهضة ، ويحرص على الدفاع عنها ، ولعل هذا ، كان الأساس الأول فى صدور « لائحة رجب » المعروفة لإصلاح التعليم سنة ١٨٦٨ .

بالإضافة إلى ذلك ، كان « على مبارك » صاحب فكرة طبع الكتب الدراسية ليتمكن التلاميذ من متابعة تعليمهم ، وتيسيرا لهم على مداومة أطلاعهم على ما درسوه ، وكان يباشر بنفسه تأليف وطبع كتب المدارس أثناء نظارته لمدرسة المهندسخانه وملحقاتها .

آراؤه التربوية : من آرائه فى التربية مما يأتى :

أولا — كان ينادى بتعميم التعليم فى أنحاء مصر وبخاصة فى الريف ، وكان ينظر إلى التعليم على أنه حق لكل مصرى ، وأنه السبيل لاستنارة الشعب وتقدمه فالعلم للجميع.

ثانيا ـ كان يدعو إلى الأخذ بالعلوم الحديثة ، وإلى تطوير أساليب التعليم وضرورة فاعليته للحياة ، فهذا أقوم لأمور الدين والدنيا ، وألا يكون التعليم متخلفا .

ثالثا : كان يدعو إلى تطوير المناهج وإلى ايجابية المواد الدراسية التى يتعلمها وضرورة تطبيقها على نواحى الحياة ، فالعلم للمجتمع ،وقد اتضح هـــذا فيما وضعه من مناهج ، حيث ربط الحساب

بتطبيقه على التجارة ، والهنـدسة بتطبيقها على المساحـة ، وهـكذا [1] .

رابعاً : يرى ضرورة الاهتمام بتعليم الفتاة ، ومساواتها فى ذلك بالفتى ، فتعلمها ضرورة لنهضة الوطن وتقدمه ، وأنشئت (فى عهد إسماعيل) مدرستان بالقاهرة أحداهما « المدرسة السنية » .

(وكانت هناك من قبل بعض المدارس الأجنبية يتعلم فيها بنات الجاليات المقيمة فى مصر)

خامسا : يرى ضرورة الاستعانة بوسائل الأيضاح مما يدعم العملية التعليمية ، ويؤكد المفاهيم لدى التلاميذ ، وحيث يمتزج العلم بالمحسوس، ويمتزج الفكر بالمشاهدة .

مؤلفات على مبارك : ترك على مبارك كثيراً من المؤلفات المتنوعـة ذات القيمة العلمية النافعة ، من أهمها :

١ — الخطط التوفيقية :

وهو دائرة معارف مصرية ، تتناول خطط مصر ، وآثارها وجغرافيتها وتاريخها فى عصورها القديمة والحديثة وفيه يقتفى أثر المقريزى فى خططه المعروفة « بخطط المقريزى » .

وتقع الخطط التوفيقية فى عشرين مجلدا ، شملت بلاد القطر المصرى جميعها وهو مرجع هام فى تاريخ مصر ، العلمى ، والهندسى ، والإجتماعى ، والعمرانى والسياسى أيضاً :

(٢) علم الدين :

ووهو كتاب أو قصة فى اربعة أجزاء ، تدل على تنوع ثقافة على مبارك

---

(١) د . أبو الفتوح رضوان — على مبارك تلميذاً ومربياً — مجلة الرائد — مايو ١٩٦٨

وعمقها ، وتدور أحداثها حول شخصيتين رئيسيتين الشخصية الأولى ، شخصية عالم مصرى أزهرى يسمى علم الدين ، والثانية شخصية رجل انجليزى حضر إلى مصر وتعلم اللغة العربية ، وتقع أحداث هذه القصة فى مصر وأوربا ، شملت نحو مائة وخمسة وعشرين مسامرة ، حيث تخيل المؤلف فى هذه المسامرات الشيخ الأزهرى ، يتصل بمظاهر الحضارة الأوربية خلال طوافه فى أوربا ، يصحبه المستشرق الانجليزى[1] .

٣ — تذكرة المهندسين : ويشمل فنونا كثيرة مما يحتاج إليه المهندسون .

٤ — تقريب الهندسة : وهو كتاب فى الحساب والهندسة العسكرية .

٥ — الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان .

٦ — نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر : وهو دراسة قيمة عن النيل وواديه وسكانه وهناك كتب أخرى ألفها أو اشترك فى تأليفها ، إلى جانب النشاط الثقافى المتنوع .

(١) أنظر الموسوعة العربية الموسعة — دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

تحليل ومقارنة

عندما نتصفح تاريخ التعليم المصرى فى عصوره الحديثة ، نجد أنه مر بمراحل متنوعة ، فهو تارة يتسم بالجمود والتخلف (أيام الإحتلال العثمانى) وتارة يتسم باليقظة بعد الغفوة (فى عصر محمد على) وثالثة ، نراه يرتد إلى النكوص والجمود (فى أيام عباس وسعيد) ورابعة ، يعود إلى النهوض ويعلو مناره فيضىء جنبات الحياة فى مصر « فى عصر إسماعيل » وخامسة ، يصاب بانتكاس مساره وانطفاء مناره « فى أيام توفيق والاحتلال البريطانى » ثم نراه ، مع انتهاء الربع الأول من القرن العشرين « بعد حصول مصر على الدستور سنة ١٩٢٣ » يجدد مساره بعد أن انطلق من قبضة الاستعمار الإنجليزى ، وما أراده له « كرومر » و « دانلوب » من سياسة تعليمية بغيضة فقامت الحكومة تساندها الجهود الشعبية بإصلاح التعليم فتنوعت مراحله وأنشئت الجامعة المصرية « سنة ١٩٢٥ » وتعددت مناهجه ، وتطلعت مصر إلى مواكبة الإتجاهات الحديثة فى مجال التربية والتعليم بعد أن فرض عليها التخلف حيناً من الدهر .

وتستمر أوضاع التعليم المصرى . « حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » بين تخطيط وتجريب مرة ، وبين إضافة وتعديل أو حذف مرة أخرى ، حسبما يرى أهل السياسة ، أو زعماء الفكر فى مصر ، وفى ضوء ما كان يتفاعل من قوى ثقافية فى المجتمع المصرى .

ثم بقيام ثورة يوليو ، بدأ التعليم طوراً جديداً فى حياة الأمة المصرية ،

نقلها من عصور التأخر إلى عصر العلم والتكنولوجيا وبعوضها مافاتها فى عهود غابرة .

ويمكننا أن نستوضح حقيقة اتجاهات التعليم المصرى — فى تلك الفترة — من خلال المقارنة الموجزة التالية .

بالنسبة لما قبل القرن التاسع عشر :

كان كل نوع من التعليم يخدم غرضاً معيناً ، فقد كان تعليم المماليك يهدف إلى تخريج طبقة من العسكريين ، تعمل على إخضاع الشعب لحكمهم الجائر .

وهدف التعليم الدينى إلى إعداد طائفة من علماء الدين والقادة الروحيين للأمة وتركزت ثقافتهم فى الناحيتين الدينية « بالمفهوم الضيق للدين » واللغوية ، بغض النظر عن العلوم الحديثة .

أما بقية أبناء الشعب ، فقد تمكنت فئة قليلة منهم من الالتحاق بالكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد وظلت جموع الشعب بدون تعليم ، حيث تمارس عملها فى الحقول وحوانيت الحرفيين وبعض شئون التجارة .

بالنسبة لمجىء الحملة الفرنسية :

لم يتأثر التعليم المصرى كثيراً بوجود الحملة الفرنسية وذلك لقصر مدة هذه الحملة ، من جهة ، ولم يحاولوا إصلاحه بقدر تقدمهم له ، من جهة أخرى ، ومع ذلك . كانت لها نتائج ثقافية وفكرية ، استطاعت — فيما بعد — أن تؤتى ثمارها ، وأن تفيد التعليم المصرى .

بالنسبة لعصر محمد على :

من المعلوم ، أن التعليم كان فى خدمة الجيش ، ومن أجل هذا ، وجدت المدارس العسكرية ، والمدارس العليا (كالطب والهندسة وغيرهما) لخدمة الجيش ، حيث بدأ محمد على سياسته التعليمية بها . وهو ما نعبر عنه بسياسة الهرم المقلوب ، إذ اهتم بالتعليم العالى أولا وجاء التعليم الإبتدائى فى مؤخرة إهتمامه ، والصحيح أن يكون العكس ؛ إلى جانب إغفال التعليم الدينى وبطء حركته .

وبالرغم من أن محمد على ، هدف إلى تحديث التعليم فى مصر ، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير ، بالاضافة إلى وجود ما يسمى بالازدواج الثقافى فى المجتمع المصرى « تعليم مدنى وتعليم دينى » ويعلل أعلام الفكر التربوى فشل سياسة محمد على التعليمية بجملة أسباب ، من بينها ، إنقطاع الصلة بين ما أراد هذا الوالى وبين واقع المجتمع المصرى وطبيعة الحياة فيه ، ثم تعجله فى تحقيق أهدافه .

بالنسبة لخلفاء محمد على :

لم تحدث إصلاحات تذكر فى أحوال التعليم أثناء حكم خلفاء محمد على ، فيما عدا ، عصر إسماعيل ، حيث تمت إنجازات ثقافية وتعليمية كثيرة ، فقد أصلح التعليم بصفة عامة والتعليم الشعبى بصفة خاصة ، فضلا عن ازدياد صلة مصر بالغرب ، وتشجيع إنشاء المدارس الأجنبية بها ، مما كان له الأثر الواضح فى شئون التعليم ونوعياته . وإلى جانب ذلك ، وجد الاهتمام بتعليم الفتاة ، وأدخلت بعض الاصطلاحات على التعليم الدينى ، شملت نظام التعليم

فى الأزهر ، وعنى بالتعليم الفنى إلى حد ما[١] ، وعلى وجه العموم يمكننا القول بأن أوضاع التعليم فى عهد إسماعيل وحتى وقوع الاحتلال البريطانى كانت تتسم بالاتجاه القومى أو الشعبى .

بالنسبة لفترة الاحتلال البريطانى :

هدفت السياسة الاستعمارية التى اتبعتها إنجلترا فى مصر إلى تجهيل الشعب المصرى ، واتخذت لذلك سبلا متعددة ، فالشعب الجاهل — فى نظرها — أسلس قياداً ، حيث يظل بعيداً عن الحركات الفكرية ومايتبعها من التطلع إلى الحرية ، وبالتالى طرد المستعمر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن القلة التى كانت تلتحق بالمدارس ، إنما تعد للخدمة فى دواوين الحكومة والعمل فى وظائفها المتواضعة ولكن برغم ما كانت تضعه سلطات الاحتلال من عراقيل أمام تعليم المصريين ومحاولة هدم الحياة الفكرية بمصر ، كانت هناك جهود قومية أرست لبنات قومية فى صرح التعليم المصرى .

بالنسبة للفترة من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٥٢ .

كان للعوامل الثقافية « السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية » التى عاشها المجتمع المصرى فى هذه الفترة ، صداها على الحياة التعليمية بصفة عامة ، فمصر ، لم تكن قد تخلصت بعد عن ارتباطها بالانجليز « برغم حصولها على الاستقلال المشروط » والتركيب الاجتماعى ، لا يزال طبقياً فى تكوينه ، وارتبط ذلك بالاقتصاد إلى حد كبير ، وبالتالى ، تأثرت التعليم بهذه العوامل ولكنها ، كانت تتجه فى مجملها الوجهة التى سارت عليها من قبل حيث

---

(١) د . عبد الواحد وافى — عبد الرحمن بن خلدون — وزارة الثقافة والأرشاد القومى (أعلام العرب) مكتبة مصر — القاهرة ١٩٦٢ ص ١٣٥ .

الاتجاهات القومية والشعبية ، وأتيحت الفرصة لإجراء بعض التعلايلات فى نظم التعليم ومناهجه ، كما أتيحت الفرصة أمام قادة الفكر « حينئذ » للاسهام فى توجيه السياسة التعليمية .

بالنسبة للفترة من قيام ثورة ١٩٥٢ وحتى الآن .

لعل واقع حالة التعليم المعاصرة فى مصر ، وما يتسم به من تقدم متنوع وشامل ، خير دليل على نجاح التفاعل المثمر والبناء بين العوامل والقوى الثقافية لمجتمعنا « سياسية ، إجتماعية ، إقتصادية ، فكرية » وبين إتجاهات الدولة ، وتلاحم الفكر بين القادة وجماهير الشعب ، مما دفع بالحياة فى مصر ، قدماً إلى الأمام ، وكلها شواهد صدق ، لا تحتاج إلى دليل .

بالنسبة لقادة الفكر :

زخر مجتمعنا المصرى بالعديد من رواد الفكر على مدى عصوره المتعاقبة وقد حظى فى عصره الحديث بنخبة من أبنائه كانت لهم آراؤهم السديدة ونواياهم الطيبة ومساعيهم المشكورة . فى توجيه سياسة التعليم وشئون التربية والثقافة ، بصفة عامة ، نذكر منهم : رفاعة الطهطاوى ، على مبارك ، قاسم أمين ، الشيخ محمد عبده ، نجيب الهلالى ، طه حسين ، إسماعيل القبانى ، وغيرهم .

المراجع

١ — د . أبو الفتوح رضوان – القومية العربية – الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٦٨ .

٢ — د . أبو الفتوح رضوان – تطور التعليم الإبتدائى فى مصر – صحيفة التربية – العدد الرابع – مايو ١٩٥٥ .

٣ — أبو الفتوح رضوان – رفاعة رافع الطهطاوى – أول رائد للتربية والتعليم فى مصر الحديثة مجلة الرائد – يناير ١٩٥٩ .

٤ — أبو الفتوح رضوان – على مبارك تلميذاً ومربياً – مجلة الرائد – مايو ١٩٥٨ .

٥ — أبو العباس القلقشندى – صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٧ ح ٣ .

٦ — أبو خلدون ساطع الحصرى – دراسات مقارنة عن ابن خلدون .

٧ — أحمد أمين ، زكى نجيب محمود – قصة الفلسفة اليونانية .

٨ — د . أحمد بدوى ، د. محمد جمال مختار – تاريخ التربية والتعليم فى مصر – الجزء الأول العصر الفرعونى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٤ .

٩ — د . أحمد بدوى – فى موكب الشمس – الجزء الأول – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٦٤ .

١٠ — د . أحمد بدوى ـ فى موكب الشمس ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٩٥٠ .

١١ — أحمد زكى صالح ـ القبانى وعلم ونفس ـ صحيفة التربية ـ يناير ١٩٦٤ .

١٢ — أحمد شلبى ـ تاريخ التربية الإسلامية .

١٣ — أحمد عزت عبد الكريم ـ تاريخ التعليم فى مصر ـ الجزء الثالث ـ القاهرة ١٩٤٥ .

١٤ — أحمد عزت عبد الكريم ـ تاريخ التعليم فى مصر ـ عصر محمد على ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٣٨ .

١٥ — أزمة التعليم فى عالمنا المعاصر تأليف ف . كومبز ـ ترجمة د . أحمد خيرى كاظم ، د . جابر عبد الحميد جابر ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٨ .

١٦ — أغا خان ـ زكى على ـ أوربا والإسلام ـ دار المكشوف ـ بيروت ١٩٤٧ .

١٧ — الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ـ د . محمد منير مرسى ـ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ .

١٨ — الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ المؤتمر الخامس نوفمبر ١٩٦٩ بحث بعنوان وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر د . سيد عويس .

١٩ — الأيديولوجيا والتربية د . عبد الغنى عبود ـ دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٦ .

٢٠ — التربية المقارنة تأليف : نيقولاس هانز ـ ترجمة يوسف ميخائيل

أسعد ـ مراجعة د . أبو الفتوح رضوان ـ دار النهضة العربية ١٩٦٦ .

٢١ — التربية والتكنولوجيا فى معركة التصنيع ـ حمدى مصطفى حرب ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦١ .

٢٢ — التعليم العام فى البلاد العربية د . محمد منير مرسى ـ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٢ .

٢٣ — التعليم فى إسرائيل د . منير بشور ، خالد مصطفى الشيخ يوسف مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ـ بيروت١٩٦٦ .

٢٤— التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى (استراتيجيات تنمية الموارد البشرية) تأليف ـ مزدربك هاربسون ، تشارلز مايرز ـ ترجمة د . ابراهيم حافظ مراجعة وتقديم محمد على حافظ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦ .

٢٥ — الدولة والدين ، أسعد رزوق ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٨ .

٢٦ — الغزالى ـ إحياء علوم الدين ـ مطبعة مصر ـ ١٣٠٦ هـ . ج ١ .

٢٧ — اللغات الأجنبية ـ دورها الثقافى فى المجتمع الجديد د. نعيمة محمد عيد ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٥ .

٢٨ — المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى ـ محو الأمية الوظيفى فى خدمة التنمية والإنتاج فى البلاد العربية ـ مرس الليان ١٩٧٠ .

٢٩ — أمين سامى ـ التعليم فى مصر ـ القاهرة ١٩١٧ .

٣٠ — أنظر د . محمد منير مرسى ـ إدارة وتنظيم التعليم العام ـ مكتبة عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ .

٣١ — بول منرو المرجع فى تاريخ التربية ـ ترجمة صالح عبد العزيز ح١

٣٢ — تاريخ التربية والتعليم ـ د . سعد مرسى أحمد ـ د . اسماعيل على ـ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ .

٣٣ — جامعة الدول العربية ـ الإدارة الثقافية ـ المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الكويت ١٩٦٨ .

٣٤ — جامعة الدول العربية ـ الإدارة الثقافية ـ مشكلات التخطيط التربوى فى البلاد العربية المؤتمر الثقافى العربى السابع ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٣٥ — جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافيـــة ـ مشكلات التعليم الجامعى فى البلاد العربية الحلقة الأولى بنغازى ـ مايو ١٩٦١ .

٣٦ — د . جميل صليبا ـ مستقبل التربية فى العالم العربية ط ٢ بيروت مكتبة الفكر الجامعى بيروت ١٩٦٧ .

٣٧ — حسين عبـــد الله محضر ـ الجديدة الادارة المدرسية ـ دار الشروق ـ جده ١٣٩٥/١٩٦٢ .

٣٨ — حوليات الثقافة العربية ـ أبو خلدون ساطع الحصرى ـ القاهرة ١٩٤٩/١٩٦٦ .

٣٩ — دراسات فى التربية المقارنة د . وهيب سمعان ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٥ .

٤٠ — دراسات مقارنة فى التربية ونظم التعليم ـ منير عطا الله سليمان ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤ .

٤١ — د . رءوف سلامه موسى ـ فى أزمة العلم والجامعات .

٤٢ — د . سعد مرسى ـ د . سعيد اسماعيل ـ تاريخ التربية والتعليم ـ مكتبة عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ .

٤٣ — د . سعد مرسى ـ د . سعيد اسماعيل ـ تاريخ التربية والتعليم ـ مكتبة عالم الكتب القاهرة ١٩٧٤ .

٤٤ — د . سعد عبد الفتاح عاشور ـ أوربا فى العصور الوسطى ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

٤٥ — د . سيد إبراهيم الجيار ـ تاريخ التعليم الحديث فى مصر والعادة الثقافية دار الثقافة ـ قاهرة ١٩٧١ .

٤٦ — سيد محمود الهوارى ـ الادارة ، الأصول والأسس العلمية ـ جامعة بيروت العربية ط ٣ ١٩٦٦ .

٤٧ — سليم حسن ـ مصر القديمة :

٤٨ — سليم حسن ـ مصر القديمة جـ ١٤ .

٤٩ — صالح عبد العزيز ـ تطور النظرية التربوية ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٤٧ .

٥٠ — صحيفة التربية السنة الثالثة والعشرون ـ نوفمبر ١٩٧٠ ـ العدد الأول ـ القاهرة د . يوسف صلاح الدين قطب ص ٥ كلمة المحرر .

٥١ — صحيفة التربية ـ السنة الثالثة والعشرون ـ نوفمبر ١٩٧٠ ـ العدد الأول ـ مقال بعنوان : عصر العلم التكنولوجيا ـ د . إبرهيم بسيونى عميرة .

٥٢ — عباس محمود العقاد ـ إبراهيم أبو الأنبياء (من مطبوعات دار الهلال) .

٥٣ — د . عبد الرحمن بدوى ـ أفلاطون .

٥٤ — د . عبد الله عبد الدايم ـ التخطيط التربوى أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته فى البلاد العربية ط ٢ ـ دار العلم الملايين ـ بيروت ١٩٧٢ .

٥٥ — علم النفس الاجتماعى د . حامد عبد السلام زهران ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٢ .

٥٦ — على السلمى ـ السلوك الإنسانى فى الادارة ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٣ .

٥٧ — على أسلام ـ فلاسفة اليونان ـ سقراط ـ أفلاطون ـ أرسطو .

٥٨ — على عبد العليم محجوب ـ الادارة العامة ـ وتنمية المجتمع ـ مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ـ سرس الليان ١٩٦٢ .

٥٩ — د . على عبد الواحد وافى ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى (أعلام العرب) ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٦٢ .

٦٠ — فتحية حسن سليمان ـ التربية عند اليونان والرومان ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٧ .

٦١ — فتحية حسن سليمان ـ مذاهب فى التربيـــة ـ بحث فى المذهب التربوى عند الغزالى دار الهنا ١٩٥٦ .

٦٢ — قضايا التعليم فى عهد الأحتلال ـ د . سعيد إسماعيل على ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤ .

٦٣ — كاندل . ا . ل التعليم فى أمريكا ـ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦١ ترجمة د . وهيب سمعان .

٦٤ — محمد أحمد خلف الله — على مبارك وآثاره — مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧ .

٦٥ — د . محمد قدزى — دراسات فى نظم التعليم — مكتبة مصر — القاهرة ١٩٥٨ .

٦٦ — د. محمد الهادى عفيفى فى أصول التربية ـ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤ .

٦٧ — د . محمد الهادى عفيفى، د . سعد مرسى أحمد — قراءات فى التربية المعاصرة عالم الكتب القاهرة ١٩٧٣ .

٦٨ — محمد الغنام — التربية فى البلاد العربية ـ المركز الأقليمى لتخطيط التربية وإدارتها فى البلاد العربية — بيروت ١٩٧١ .

٦٩ — محمد الغنام ـ تعليم الأمة العربية — دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٦٩ .

٧٠ — محمد العروسى المطوى الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب — دار الكتب الشرقية تونس ط١ ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .

٧١ — د . محمد رشدى خاطر — من تجارب الأمم الأخرى فى مكافحة الأمية — الجزء الأول مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — سرسر الليان ١٩٦٢ .

٧٢ — د . محمد رشدى خاطر ـ مكافحة الأمية فى بعض البلاد العربية ـ مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ـ سرسر الليان ١٩٦٠ .

٧٣ — د . محمد زكى شافعى ـ التنمية الاقتصادية ـ معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٦٦ .

٧٤ — محمد سليمان شعلان وآخرون- الإدارة المدرسية والإشراف الفنى مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ .

٧٥ — محمد عطية الابراش - التربية الأسلامية وفلاسفتها (ط ٢) القاهرة ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م

٧٦ — محمد على حافظ - التخطيط للتربية والتعليم - الدار القومية - القاهرة ١٩٦٥ .

٧٧ — محمد عليش -أصول التنظيم والأدارة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهره ١٩٦٣ .

٧٨ — د. محمد فاروق البنهان- مبادىء الثقافة الإسلامية- دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٤ م/١٣٩٤ هـ

٧٩ — د . محمد فاضل الجبالى - آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية - الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .

٨٠ — د . محمد منير مرسى - الأدارة التعليمية ، أصولها وتطبيقاتها - عالم الكتب - القاهرة ١٩٧١ .

٨١ — د . محمود طه ابو العلا - جغرافية العالم الاسلامى — دار المعارف - القاهرة ١٩٦٦ .

٨٢ — د . محمود عبد الرازق شفشق، منير عطا الله سليمان- تاريخ التربية دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٨ .

٨٣ — د . محي الدين صابر - الادارة المحلية ودورها فى تنمية المجتمع مجلة تنمية المجتمع — المجلد الثامن من العدد الثانى ١٩٦١ سرس الليان .

٨٤ — د . منير عطا الله سليمان ، رشدى لبيب ، محمود عبد الرازق شفشق تاريخ ونظام التعليم فى ج . م . ع - مكتبة الأنجلو المصرية ط ٣ القاهرة ١٩٧٣ .

٨٥ — محو الأمية الوظيفى فى خدمة التنمية والانتاج فى البلاد العربية المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى سرس الليان - منوفية ج . م ع . ١٩٧٠ .

(ا) مقال بعنوان التنمية الزراعية فى البلاد العربية . ا . د . أحمد سعيد حسنين .

(ب) مقال بعنوان تخطيط القوى العاملة . ا . د عبد الله عبد الدايم .

٨٦ — د . نازلى صالح ، عبد الغنى عبود - فى التربية المقارنة - عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٤ .

٨٧ — هربرت فيشر - أصول التاريخ الأوربى الحديث - ترجمة د . زينب عصمت راشد د . أحمد عبد الرحيم مصطفى - دار المعارف ١٩٦٢

٨٨ — هـ . ل جريفث - التخطيط التربوى فى البلاد النامية - ترجمة محمد نبيل نوفل مراجعة د . عبد الفتاح جلال - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦١ .

٨٩ — ول ديورانت - قصة الحضارة الرومانية - ترجمة محمد بدران - الادارة الثقافية جامعة الدول العربية .

٩٠ — ول ديورانت - قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران حـ ٢ .

٩١ — د . وهيب سمعان - التربية والثقافة فى العصور الوسطى - دار المعارف ١٩٦٢ .

٩٢ — د . وهيب سمعان ـ التعليم فى الدول الاشتراكية ـ الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٢ .

٩٣ — د . وهيب سمعان ـ الثقافة والتربية فى العصور القديمة ـ دار المعارف القاهرة ١٩٦١ .

٩٤ — د . وهيب سمعان وآخران ـ دراسات فى المناهج ـ مكتبة الأنجلو المصرية القاهره ١٩٦٦ ط ٢ .

٩٥ — د . يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الحديثة ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٧ .

المراجع

1— Aaron, R.I. John Locke, Oxford University Press, 1937.

2— Abu Al-Foutouh, A. Raduan, Old & New Forces in Egyptian Education.

3— Butts, Freeman, A Cultural History of Education, (New York) McGraw-Hill, 1941.

4— Butts, op. cit.

5— Davidson, Thomas, Aristotle and Ancient Educational Ideals. Scribner's (NewYork 1901)

6— Davidson, Thomas, A History of Education, Boston : Houghton Miffin Co., 1920.

7— Eby Frederick & Arrowood, C.F., The History and Philosophy of Education —Ancient and Medieval (New York), Prentice Hall 1946.

8— Essay Concerning the Understanding—II, chap. I.

9— G. Maspers, The Dawn of Civilization Egypt and Chaledea

10- Guizot, F., History of France (London 1972)

11- Gwym, A., Roman Education from Cicero to Quintilian, Oxford 1926.

12- Hambly W. D., Origins of Education among Primitive Peoples (London, Macmillan & Co, 1926)

13- Heyworth-Dunne, An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, Luzac, 1938.

14- I.N. Thut : The Story of Education.

15- Ismail El-Kabbani, A Hundred Years of Education in Egypt.

16- Jullien Leopold, Semailler Francaises, Le Magazine Egyptien Le Caire, Mai 15,1926.

17- Kandel, I. L , The Study of Comparative Education in Educational Forum XX 1955.

18- Lamprecht, Sterling P. Locke-Selections (New York) 1956.

19- Lane Poole, Mohammedons Dynastics.

20- McCormick, P. J., History of Education.

21- Monroe Paul, A Text Book in the History of Education (New Yoık, The Macmillan Co, 1933)

22- Painter, S., A History of the Middle Ages (New York) 1954.

23- Robinson, J. H. & Smith, B. P., Our World Today and Yesterday.

24- See : A.H. Fahmy, The Education Ideas of the Moslems in the Middle ages.

25- See : Bury, J. B., History of the Later Roman Empire (2 vols) London 1923.

26- See : Monroe, Text-Book in the History of Education.

27- See : Plato, Republic, III.

28- See : Wilkins, A.S., Roman Education (Combridge 1905)

29- Taylor, H.C., The Medieval Mind (vol I) London 1930.

30- Taylor, Harold and others, The Goals of Higher Education, Harvard University Press, Cambridge 1960.

31- Thomas Woody, Life and Education in Early Societies.

32- Thomas Woody, Life and Education in Early Societies, (New York) The Macmillan Co, 1949.

33- Trait, H. D. Social England (New York) 1902.

34- White, Leslie, Culturological Psychologican Interpretation of Human Behaviour, American Sociological Review, 12-686-698 (December 1947).

فهرست

القسم الأول

القسم الثانى